العدد 08، إبريل 2018، السنة الثانية
معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

مَراود

عام زايد

مجلة شهرية منوعة تعنى بالتراث الثقافي

بالتراث نشمو

شعار الدورة الـ 16 من أيام الشارقة التراثية

جمهورية التشيك ضيف شرف «الأيام»

الشارقة ضيف شرف معرض باريس الدولي للكتاب

الشارقة تجمع تراث العالم

ملف الشهر

الأيام التراثية.. 15 عاماً من الاحتفاء بالتراث

التراث الإماراتي إلى العالمية

عدد خاص

متحدون مع التراث UNITE4HERITAGE

MARAWED Issue, 08 (APR 2018), The Second Year

Issue, 08 (APR 2018) The Second Year
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE
معهد الشارقة للتراث

YEAR OF ZAYED

MARAWED

A Monthly Magazine Concerned With The Cultural Heritage

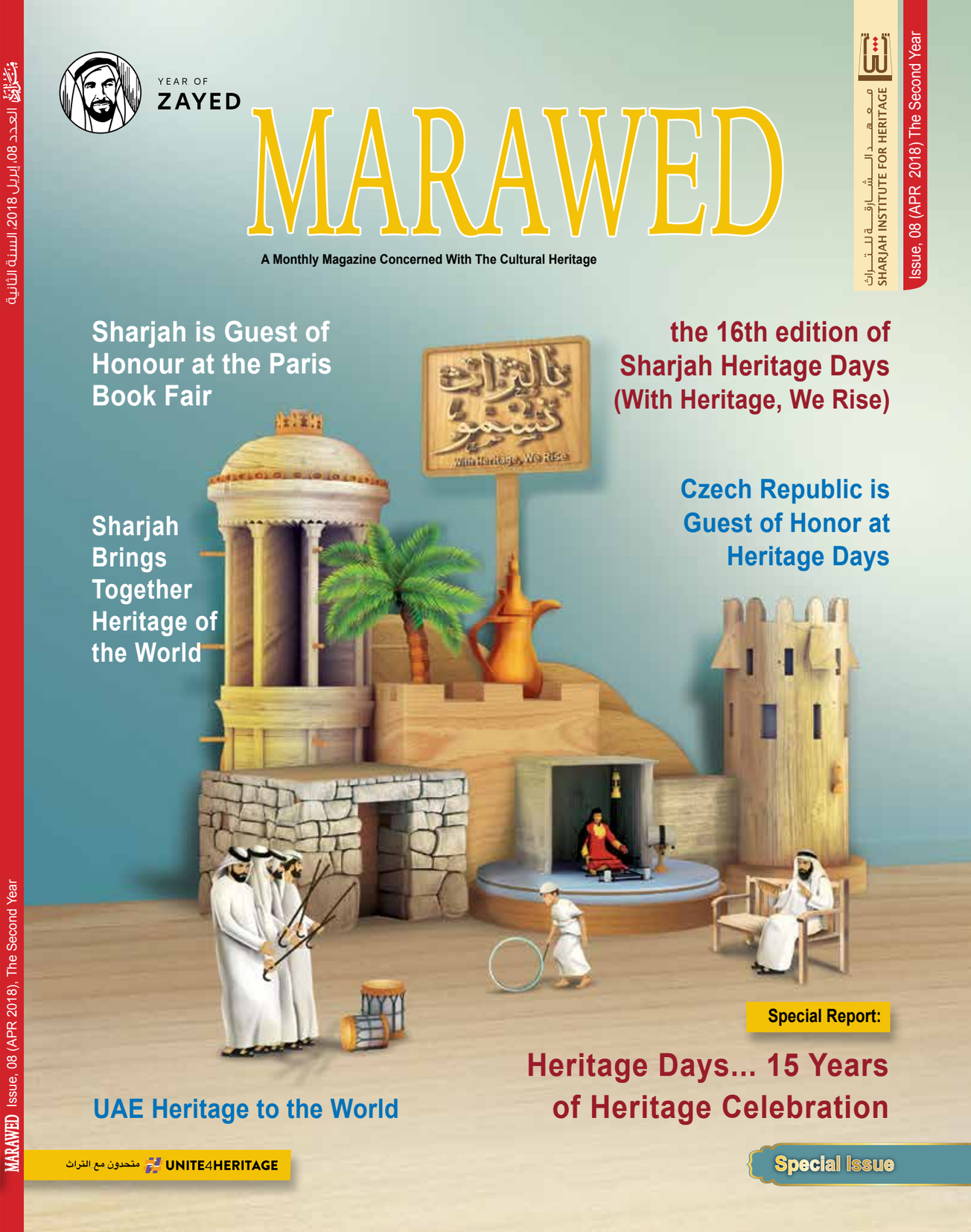

the 16th edition of Sharjah Heritage Days (With Heritage, We Rise)

Sharjah is Guest of Honour at the Paris Book Fair

Czech Republic is Guest of Honor at Heritage Days

Sharjah Brings Together Heritage of the World

Special Report:

Heritage Days... 15 Years of Heritage Celebration

UAE Heritage to the World

Special Issue

متحدون مع التراث UNITE4HERITAGE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

065014898 - 0567927270

m.bounama@sih.gov.ae

أيقونة الغلاف من تصميم: آمنة آل علي

مراود

صدر حديثاً

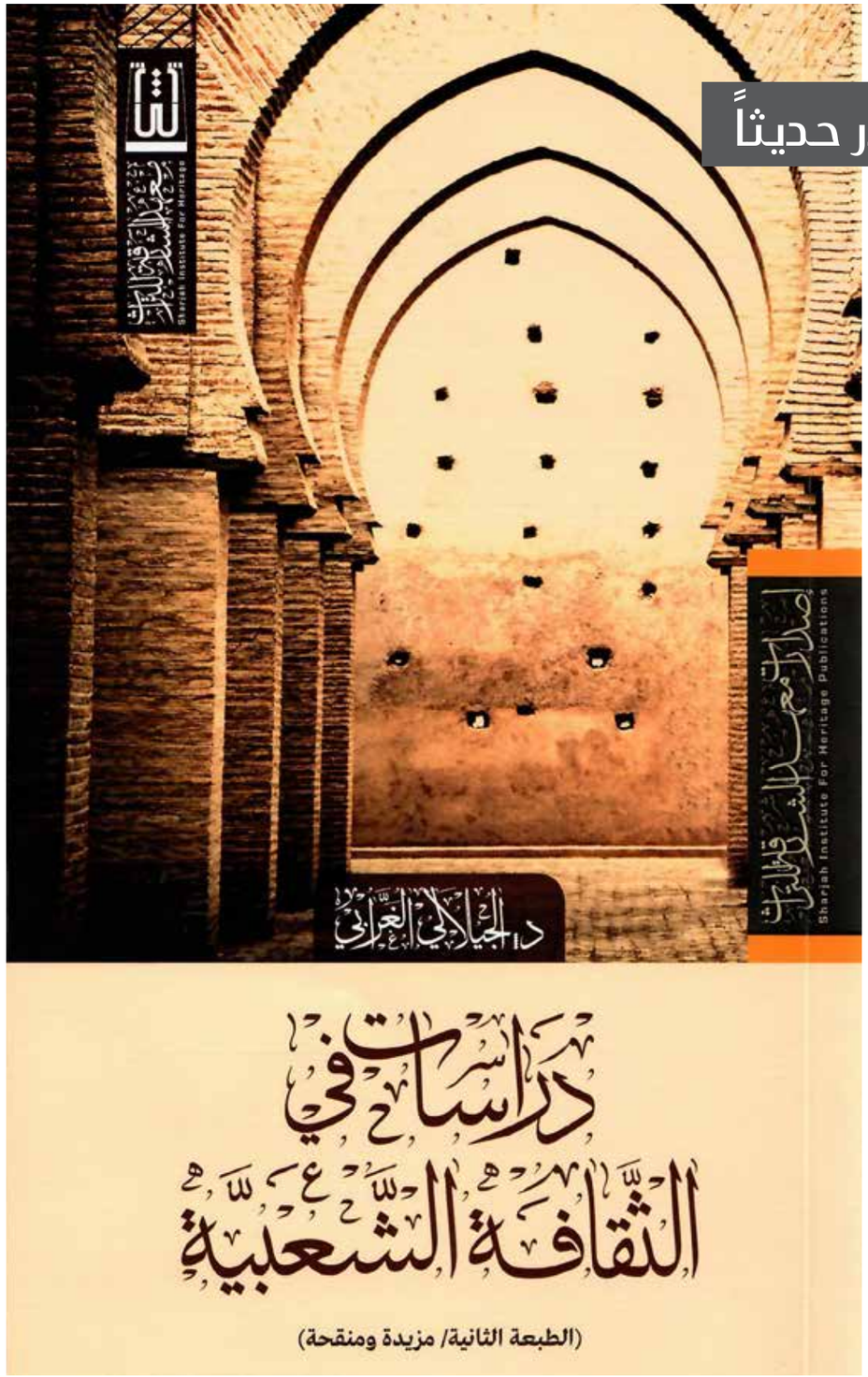

بالتراث نسمو

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

في شهر إبريل من كلّ عام، تزدان الشارقة بأيامها التراثية الجميلة، وتنتشر احتفالاتها في كل أرجاء الإمارة، انطلاقاً من قلب الشارقة، حيث المَعالمُ والشواهد التاريخية والتراثية لا تزال شاخصةً وشاهدةً على الماضي الجميل، والتراث الأصيل، وصولاً إلى المناطق الوسطى والشرقية، بفضل دعم وتشجيع صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، وهي هديةُ الشارقة للتراث، وجسرٌ يجمع ثقافات العالم، بما تحويه من تنوّعٍ وثراء، ومعها تفوحُ النسماتُ العطِرة، والذكرياتُ العبِقة لتراثنا الجميل.

وقد أسهمت «الأيام التراثية» عبر دوراتها المتعاقبة، في إبراز القِيم الجمالية لمفردات التراث الإماراتي وعناصره، وحرصت على ترسيخ القيم والتقاليد والعادات الإماراتية، عاكسةً بذلك دورَ الشارقة الحضاريّ والثقافيّ والريادي، في إبراز صورةٍ حيّةٍ ونابضةٍ بمفردات التراث الشعبي الإماراتي، بصوره وأشكالِه كافةً، وقيمهِ الجمالية، وبجهود معهد الشارقة للتراث في المحافظة عليه من الضياع والاندثار.

تأتي الدورةُ السادسةَ عشرةَ من الأيام التراثية بحلّة جديدة، ومميزة تحتَ شعارِ «بالتراث نسمو»، وهو شعارٌ جامعٌ مانع، يتّسقُ مع شعار معهد الشارقة للتراث، في صون التراث والمحافظة على الهُوية الثقافية، والخصوصية المحلية. وقد أفردنا في هذا العدد ملفاً خاصاً يحتفي بعقد ونصف العقد من «أيام الشارقة التراثية»، متوقفين عند أبرز المحطات التي مرّت بها، ودورها في التعريف بالتراث الإماراتي والترويج له.

سلّط العدد الضوء على مشاركات معهد الشارقة للتراث الدولية والعربية، والفعاليات التي نظمها خلال الفترة الماضية، والتي من بينها: المشاركة في معرض باريس الدولي للكتاب، واستضافة أسبوعي التراث النمساوي، والأردني، ومشاركات دولية وعربية، طاف فيها وفد المعهد عواصم عربية وغربية، معرّفاً بالتراث الإماراتي.

كما ضم العدد عدداً من الموضوعات التراثية الغنية التي أثرت محتواه، منها دراسة بعنوان: محمد السويدي في مجموعته الشعرية «أساور في ذراع القمر»، وإضاءة على قصيدة «أشعر ابضربات» للشاعر سالم بن عبيد، وشذرات من سيرة الشاعر غانم القصيلي، وتحليل أدبي وفني لقصيدة «بسمتك يا زين» للشاعر معضد بن دين الكعبي، والتي غناها الفنان الإماراتي عبدالعزيز الشراري، بالإضافة إلى عرض توثيقي لـ«فن الونّة»، الذي يعتبر واحداً من الفنون الشعبية الإماراتية المرتبطة بفن «العيالة» المشهور، وإن اختلف عنه في الإيقاع واللحن والوقت الذي يؤدى فيه.

واحتوت أبواب العدد كذلك على العديد من المقالات والمقاربات الثقافية المهمة، منها: كنوز إماراتية، «البروكار الدمشقي» .. التاج الذي يزيّن عرش سورية، الشيخ السويسري (إبراهيم بوركهارت) وأمثاله الشعبية المصرية، الزليج الأندلسي المغربي، الجُرّاد لون غنائي نسائي بدوي تونسي، العروس الشفشاونية.. الحناء والحرمل لطرد السحر، المرأة ورواية الأمثال الشعبية، الغوص في الذاكرة الشعبية النبطية، اكتشاف التراث العربي.

واستعرض حوار العدد تجربة الموسيقار العراقي نصير شمة، معرّجاً على رؤيته الموسيقية وخلفيته الفكرية ومساره الفني.

وتحدث العدد عن ذاكرة المكان التراثي، من خلال تتبّع رائحة التراث الإماراتي في سوق الشناصية التاريخي، مستعرضاً ما تعالق في ذاكرة سكان المنطقة من ذكريات جميلة تحيل إلى أهمية السوق، ومكانته التجارية قديماً.

رحلةٌ في عوالم التراث، وتطوافٌ في حنايا الذاكرة الشعبية الإماراتية بما تنطوي عليه من أدب وفن ولحن، وصور تراثية عتيقة تتجلى ملامحها في الحكاية الشعبية، والحرف التراثية، والعادات القولية، يجدها القارئ في هذا العدد الجديد والمفيد.

محتويات العدد

الشارقة ضيف شرف معرض باريس الدولي للكتاب

10

ملف الشهر
الأيام التراثية.. 15 عاماً من الاحتفاء بالتراث

19

التراث الثقافي الإماراتي إلى العالمية

56

ملامح المشروع الثقافي
للدكتور عبدالعزيز المسلّم

72

5
الافتتاحية

16
انطلاق أيام الشارقة التراثية

54
الشارقة تجمع تراث العالم

64
فن الوَنّه
علي العشر

66
محمد السويدي في مجموعته الشعرية أساور في ذراع القمر

70
شرائع عاطفية تراثية
د.منصور جاسم الشامسي

58
«مرحبا» تحتفي بأسبوع التراث الفنلندي في الشارقة

60
الشاعر غانم القصيلي
عتيج القبيسي

62
«بسمتك يا زين»
علي العبدان

78
سيف بن سعيد الزبادي.. راوي تراث البحر

80
«البروكار» الدمشقي التاج الذي يزيّن عرش سورية

84
السينما تخلّد جمال «تاجوج»

88
ألوان وفنون من تراث
الجزائر المكنون

92
الشيخ السويسري «إبراهيم بوركهارت»
وأمثاله الشعبية المصرية

96
نصير شمة: أشعر بين أوتار العود
وأنغامه سرد حكائي بمثابة التاريخ

100
الزليج
الأندلسي المغربي

104
«الجَرَّادْ» لون غنائي نسائي
بدوي تونسيّ: خصوصيّاته
وامتداداته العربيّة

108
العروس «الشغشاونية»
الحناء والحرمل لطرد السحر

110
المرأة ..
ورواية الأمثال الشعبية

112
الغوص في الذاكرة الشعرية
النبطية

116
كيف تعرفتُ على
كتب التراث؟

118
سوق الشناصية.. عين شاهدة
على تاريخ الشارقة العريق

122
مخيلة المكان لا تهذي

126
شرفة

مراود

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مدير التحرير
د. منّي بونعامة

الهيئة الاستشارية
عتيج القبيسي
علي العبدان
د. محمد لملوكي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

مجلة شهرية منوعة
تعنى بالتراث الثقافي
تصدر عن

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

الشارقة ضيف شرف معرض باريس الدولي للكتاب

التقى صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في العاصمة الفرنسية باريس، الرئيس إيمانويل ماكرون، رئيس الجمهورية الفرنسية، خلال زيارته جناح الشارقة المشارك في معرض كتاب باريس.

وجال الرئيس الفرنسي يرافقه صاحب السمو حاكم الشارقة في جناح الإمارة، التي حلّت ضيفاً مميزاً في الدورة الـ38 من المعرض، المنعقدة في الفترة ما بين 16 و19 مارس، تقديراً لإسهاماتها ومبادراتها في دعم الثقافة والمثقفين في الوطن العربي والإسلامي، ونهوضها بالحراك الثقافي في مختلف مجالاته الأدبية والفنية، وجهودها في دعم الترجمة، ومن بينها الترجمة إلى اللغة الفرنسية.

وتعرف الرئيس الفرنسي من صاحب السمو حاكم الشارقة، إلى أبرز المؤسسات والجهات الداعمة للكتاب والكُتّاب في دولة الإمارات بشكل عام، وفي إمارة الشارقة على وجه الخصوص، والمشاركة ضمن جناح الإمارة في معرض كتاب باريس، كما بيّن سموه له دور الشارقة الرائد في خدمة المجتمع، وجعله أقرب للكتاب، من خلال مبادراتها المختلفة التي تقوم بها.

وتفضل صاحب السمو حاكم الشارقة، بإهداء الرئيس الفرنسي في ختام جولته في جناح الإمارة عدداً من إصدارات سموّه التاريخية، وأعماله الأدبية المترجمة إلى اللغة الفرنسية.

وكان صاحب السمو حاكم الشارقة، قد زار معرض كتاب باريس بمعية قرينته سمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي، رئيس المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، وبحضور الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي، مؤسّسة ورئيسة جمعية الناشرين الإماراتيين ومؤسّسة ورئيسة مؤسسة كلمات.

وتفقد سموه جناح الشارقة، الذي ضم عدداً من المؤسسات التي تعنى بالكتاب والنشر، وهي: هيئة الشارقة للكتاب، دائرة الثقافة، معهد الشارقة للتراث، دارة الدكتور سلطان القاسمي، مؤسسة الشارقة للإعلام، اتحاد كتّاب الإمارات، جمعية الناشرين الإماراتيين، المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، مكتبات الشارقة، ثقافة بلا حدود، مبادرة 1001 عنوان، منشورات القاسمي، مجموعة كلمات، وجائزة اتصالات لكتاب الطفل.

وخلال اللقاء الذي جمع سموه بالأدباء والمثقفين، حرص سموه على تفقد أحوالهم، وتناول اللقاء مناقشة عدد من الموضوعات الودية ذات الاهتمام المشترك في المجالات الثقافية، وسبل تطوير الواقع الثقافي في الوطن العربي.

وتسلّم سموّه إهداءات من الكتب والإصدارات الأدبية لعدد من المثقفين والأدباء.

ونظمت الجهات الثقافية والمؤسسات الحكومية المشاركة ضمن الجناح عدداً من الأنشطة والبرامج والندوات الثقافية والأدبية، كما شهد الجناح من العروض الحيّة للحرف الشعبية وصناعة الدمى والأكل الشعبي، كما عرضت للزوار ومرتادي المعرض أبرز إصدارات تلك المؤسسات وخدماتها في مجال النشر.

حضر الافتتاح كلّ من معالي نورة بنت محمد الكعبي، وزيرة الثقافة وتنمية المعرفة، ومعالي فرانسويزي نيسين، وزيرة الثقافة الفرنسية، ومعالي محمد المر، وسعادة عمر سيف غباش، سفير دولة الإمارات العربية المتحدة لدى فرنسا، والدكتور خالد العنقري، سفير المملكة العربية السعودية لدى فرنسا، وسعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للكتاب، وسعادة عبدالله محمد العويس، رئيس دائرة الثقافة، وسعادة أحمد بن ركاض العامري، رئيس هيئة الشارقة للكتاب، وسعادة علي إبراهيم المري، رئيس دارة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وسعادة نورة النومان، رئيس المكتب التنفيذي لسمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي، وعبدالله علي مصبح النعيمي، المندوب الدائم لدولة الإمارات لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو)، وسعادة محمد حسن خلف، مدير عام مؤسسة الشارقة للإعلام، وسعادة راشد محمد الكوس، المدير التنفيذي لجمعية الناشرين الإماراتيين، وحبيب الصايغ، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، وعبدالعزيز تريم، مستشار الرئيس التنفيذي مدير عام «اتصالات» في المناطق الشمالية، والدكتور علي بن تميم، مدير عام «أبوظبي للإعلام»، وعدد من المسؤولين في المؤسسات الاتحادية والمحلية ورؤساء التحرير بالصحف والمحلية.

حاكم الشارقة يلتقي وفد المنظمة الدولية للفنّ الشعبي

التقى صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، رئيس وأعضاء المجلس التنفيذي للمنظمة الدولية للفن الشعبي، وذلك في مكتب سموّ الحاكم، بحضور سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وهانز هولس، نائب مدير المنظمة الدولية للفن الشعبي ونائب عمدة مدينة أندوف في النمسا، وإيما هوفر، نائبة رئيس المنظمة من الصين، وفابريزو كاتانو، رئيس فرع المنظمة في إيطاليا، وجير نيقوف، مدير الفرق الشعبية في المنظمة، والدكتورة معصومة المطاوعة، من المكتب الرئاسي بمملكة البحرين.

ورحب سموه بضيوف الإمارة من المنظمة الدولية للفن الشعبي، مشيراً سموه إلى جهود الشارقة في العديد من المجالات الثقافية، وشؤون التراث الشعبي وفنونه، ودعم الإمارة للجهود العالمية لمختلف المؤسسات في مجال حماية التراث الإنساني بمختلف أنواعه، والتعاون مع المنظمات التي تعمل على حماية الفنون الشعبية والتراث في مختلف أنحاء

العالم، وهو ما يُشكّل استراتيجية تعمل عليها الإمارة بشكل دائم ومستمر.

واطلع صاحب السموّ حاكم الشارقة، خلال اللقاء، على الجهود العالمية التي تقوم بها المنظمة الدولية للفن الشعبي، في حفظ ونشر هذا الجانب المهم في التراث الثقافي الإنساني، والمحافظة عليه، حيث ناقش اللقاء سبل التعاون بين إمارة الشارقة والمنظمة في عدد من المجالات التي تدخل ضمن عمل المنظمة في الفنون الشعبية.

كما تعرّف سموه إلى المشروعات المستقبلية التي تعمل عليها المنظمة في المنطقة، والفعاليات المختلفة التي تنوي ترتيبها خلال الفترات المقبلة.

وقدم علي عبدالله خليفة، رئيس المنظمة الدولية للفن الشعبي، شكر وتقدير أعضاء المجلس التنفيذي للمنظمة، إلى صاحب السمو حاكم الشارقة، على حُسن الاستقبال، مثمّناً جهود الإمارة الكبيرة في مختلف مجالات التراث، ودعم المؤسسات التي تعمل على المحافظة عليه، مشيراً الى أن المنظمة تسعى لأن تكون الشارقة مركزاً رئيساً لأعمالها وأنشطتها في حماية التراث الشعبي، وصيانة التراث الثقافي غير المادي، لما للإمارة من تاريخ طويل في دعم الثقافة والمفكرين والباحثين في مجالات التراث المتنوّعة.

في نهاية اللقاء تفضل صاحب السمو حاكم الشارقة بتسلم هدية تذكارية من المنظمة الدولية للفن الشعبي، قدّمها علي عبدالله خليفة، رئيس المنظمة.

عبدالعزيز المسلّم يوقّع النسخة الفرنسية من «موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»

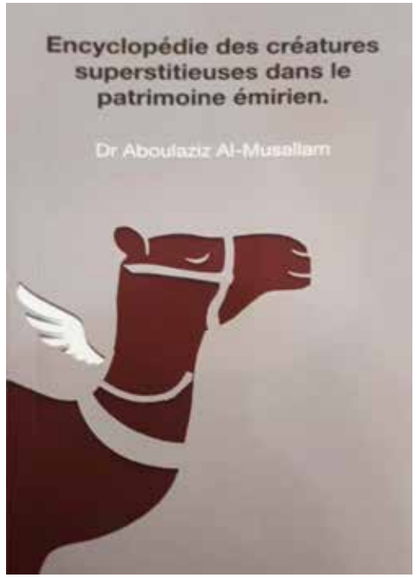

وقّع سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، النسخة الفرنسية من كتابه: «موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»، في معرض باريس الدولي للكتاب، بحضور جمع غفير من الكتّاب والمثقفين والإعلاميين.

ويُعَدّ هذا الكتاب أول موسوعة تراثية عن الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي، جمع فيها البحاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، كمّاً كبيراً من الكائنات الخرافية، التي شكّلت جزءاً مهماً في المخيال الشعبي الإماراتي، لما اتّصف به أبطالها من أشكال مخيفة، وقوى خارقة. كما أن أحداث هذه الحكايات غريبة وعجيبة، وفيها مفاجآت غير متوقعة، وترتكز على العناصر الآتية: (البحر، النخلة، البياض، السواد، الإيمان، القهر، الحسد).

وقد استهلّ المؤلف هذه الموسوعة القيّمة بحكايته مع الكائنات الخرافية في مدينة خورفكان، وما تعالق في ذهنه من قصص وحكايات خرافية، سمعها خلال إقامته فيها، وسردها بأسلوب جميل ولغة جزلة، ومضمون ثري، مستعرضاً رمزية تلك الكائنات الخرافية في المخيال الشعبي الإماراتي ودلالتها الثقافية.

ومن بين الكائنات الخرافية التي تحدث عنها: (الراعبية، السّعْلوّة، الشبيّة، الضّبّاحَة، الضّبعة، أم الصبيان، بو السلاسل، العتم، الناريلة، النّغّاقة، الهامة، بابا درياه، أم الهيلان، أم رخيش، أم كربة وليفة، بعير بلا راس، بعير بوخريطة، بو راس، بو سلع، جنّي الرقاص، جنّي المريجة، حصّة وعيالها، حمارة وكلاب القايلة، خطاف رفاي، روغان، سدرة الصنم، شَنَق بن عَنَق، كهف الدابة، عثيون، غريب، فتّوح (عفريت القرم)، أم الدّويس.

تراث الإمارات يعانق باريس

تمثلُ مشاركة معهد الشارقة للتراث في معرض باريس الدولي للكتاب في نسخته الـ38، ضمن جناح إمارة الشارقة، واحدةً من تلك المشاركات المهمة، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، ورافقه صقر محمد، مدير إدارة التنسيق، وأحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، حيث قدّمت فرقة الشارقة الوطنية، التابعة لمعهد الشارقة للتراث، لوحات من الفولكلور الشعبي الإماراتي، مثل فن النوبان وفن العيالة وفن الهبان طوال أيام المعرض، موزعة على مناطق سياحية مختلفة في العاصمة الفرنسية باريس، من بينها كاتدرائية مون مارتر، شون دور مارس، خلف برج إيفل، دار الأوبرا، وباحة معهد العالم العربي.

كما شملت مشاركة المعهد أيضاً عرض منتجات حرفية تراثية، تعكس تاريخ وتراث الإمارات، مثل السفافة والحناء والتلي والدمى، والمأكولات الشعبية، بالإضافة إلى إصدارات المعهد في عالم الكتاب والمعرفة.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، نحن معنيون بالمشاركة في معرض باريس الدولي للكتاب هذا العام، فالشارقة، إمارة الثقافة والمعرفة والعلم والتراث، والعاصمة العالمية للكتاب، هي ضيف الشرف المميز في المعرض، وفي الحقيقة ليس غريباً على الشارقة أن تكون ضيف شرف مميزاً، فمسيرة الشارقة في عالم الثقافة والكتاب مسيرة حافلة بالتميز والإبداع، وراعي المشروع الثقافي للإمارة، صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الداعم بلا حدود للثقافة والمعرفة والكتاب والعلم.

ولفت إلى أن للشارقة مكانة عالمية مرموقة بفضل دعم ورعاية صاحب السمو، فالشارقة عاصمة الثقافة العربية، وعاصمة الثقافة الإسلامية، والعاصمة العالمية للكتاب، وغيرها من المكانات التي تعكس حجم وطبيعة ومضمون الدعم والرعاية التي يوفرها سموه للقارئ والناشر والكاتب والمعرفة عموماً.

وذكر أن مشاركة معهد الشارقة للتراث في المعرض أسهمت في نقل الثقافة الإماراتية والتراث الإماراتي والفنون الشعبية إلى العاصمة الفرنسية باريس، وتعريف الزوّار والجمهور بمختلف جوانبها ومعالمها وعناصرها ومكوناتها، فضلاً النشاط الثقافي المصاحب، الذي نظمته هيئة الشارقة للكتاب، وشمل توقيع إصدارات بالفرنسية لأكثر من 40 كاتباً إماراتياً وعربياً، وعرض نخبة من أعمال أبرز الفنانين الإماراتيين.

تحت شعار «بالتراث نسمو» وبمشاركة نحو 600 مشاركٍ من 31 دولة عربية وأجنبية

انطلاق أيام الشارقة التراثية

الشارقة ـ مراود

تحت شعار «بالتراث نسمو»، تنطلق أيام الشارقة التراثية في دورتها السادسة عشرة، في 4 إبريل، وتستمر لغاية 21 من الشهر نفسه، بمشاركة 31 دولة عربية وأجنبية، جاء ذلك خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدته اللجنة العليا المنظمة للأيام التراثية، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والمهندس بدر الشحي، المنسق العام للأيام التراثية، وبحضور جمع غفير من الإعلاميين والباحثين ورؤساء لجان «الأيام».

> جمهورية التشيك ضيف شرف «الأيام التراثية» هذا العام، لما تمتلكه من مخزون ثقافي وتراثي غنيّ ومتنوّع

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد: في كل دورة من «أيام الشارقة التراثية»، تتّجه الأنظار إلى عاصمة الثقافة العربية، وهي تلبس حِلّتها البهيّة في أيامها التراثية الجميلة، التي غدت عرساً ثقافياً وتراثياً، يقصِدُه الناسُ من كل مكان، ويستمتعون بأجوائه الحانية، ومناخاتِه الثقافية التي تعجُّ بالتراث العميق، والتاريخ العريق، وما يُبهجُ النظرَ، ويَسْحَرُ البَصرَ، ويملأُ القلبَ بهجةً وسروراً، مقدّمةً لوحةً تراثيةً زاخرةً بمكنونات التراث الثقافي الإماراتي، ومكوّناته وعناصره ورموزه، جامعةً بين المعرفة والمتعة والترفيه. مشيراً إلى أن «الأيام التراثية» عبر دوراتها المتتالية قد أسهمت في إبراز القِيم الجمالية لمفردات التراث الإماراتي وعناصره، وحرصت على ترسيخ القيم والتقاليد والعادات الإماراتية.

وأضاف: تحلّ جمهورية التشيك ضيفَ شرفٍ على «الأيام التراثية» هذا العام، لما تمتلكه من مخزون ثقافي وتراثي غنيّ ومتنوّع، يشكّل إضافةً نوعيةً إلى مسيرة الأيام، بالإضافة إلى مشاركة نحو 600 مشاركٍ من خبراء وحرفيين وباحثين وكتّابٍ وإعلاميين من أكثر من 31 دولةً من شتى أنحاء العالم، من بينها: السعودية، طاجيكستان، السودان، الصين، اليابان، الكويت، إسبانيا، بيلا روسيا، المكسيك، البحرين، مصر، براغواي، كرواتيا، العراق، سلطنة عمان، الأرجنتين، البوسنة، إيطاليا، المغرب، الجزائر، الأردن، فلسطين، موريتانيا وغيرها، علاوةً على مشاركة العديد من الجهات الحكومية المحلية والمنظمات الدولية.

وأشار إلى أن هذه الدورة يواكبها برنامجٌ ثقافيٌ وتراثيٌّ حافلٌ، يتضمن العديد من المحاضراتِ الثقافية، والفعالياتِ التراثية، والعروضِ الفنية والموسيقية، والبرامجِ التدريبية، والورشِ التدريبية، والمعارضِ

> عبدالعزيز المسلّم: الأيام التراثية أسهمت في إبراز القِيم الجمالية لمفردات التراث الإماراتي وعناصره

التراثيةِ التي من أهمّها معرض «عام زايد»، وهو المعرض الرئيس في «الأيام» احتفاءً بـ«عام زايد»، بالإضافة إلى معرض ماضٍ وذكريات من تراث السعودية

> بدر الشحي: أيام الشارقة التراثية محطة أساسية لعشاق التراث والباحثين والمختصين

والإمارات، للفنان التشكيلي المبدع عبدالعزيز المبرزي، ومعرض الكائنات الخرافية، ومعرض الفنون الجميلة.

وأكد أنه تم استحداثُ برنامج «المجاورة» حول الحكايات الخرافية والأساطير التاريخية في الشارقة، بالإضافة إلى برنامج قرية الطفل، والبيئات التراثية، التي تستعيد لنا كل عام حياة الماضي في صور جميلة، فضلاً عن مجموعة غنية من الإصدارات المتنوّعة.

وقال المهندس بدر الشحي، المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»: مع فعاليات الأيام، تتحوّل منطقة التراث في قلب الشارقة إلى محطة أساسية، وعنوان كبير لعشاق التراث والباحثين والمختصين والجمهور الراغب في التعرف إلى تراث العالم، فمن خلالها نستحضر أصالة الماضي، كي نُطلع الجيل الجديد على تاريخ الأجداد، ونُقدم له تعريفاً بكل تلك الحرف والمهن والعادات والتقاليد، وعن مختلف ملامح حياة الآباء والأجداد.

إصدارات «الأيام»

ملف الشهر

الأيام التراثية..

15 عاماً من الاحتفاء بالتراث

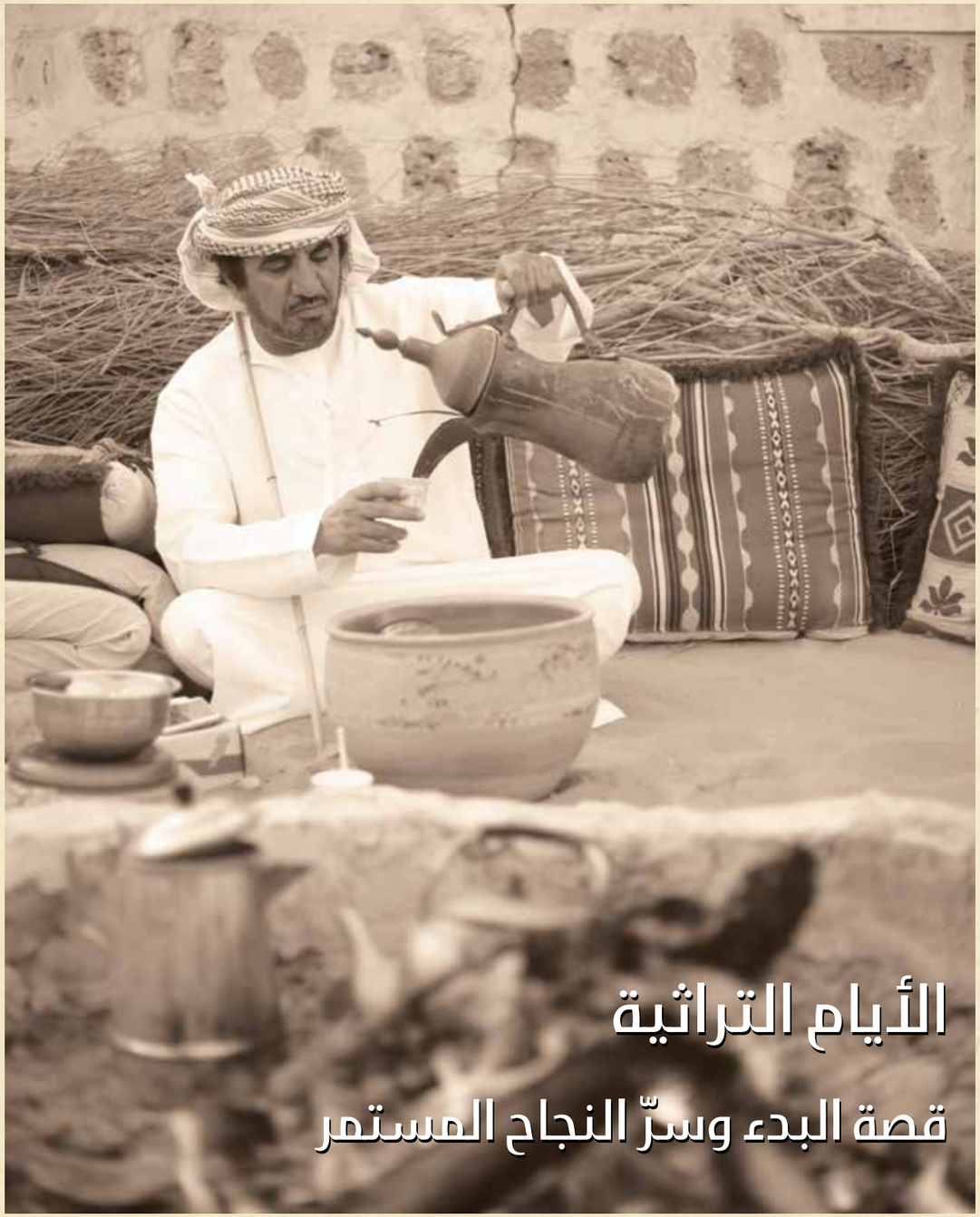

الأيام التراثية

قصة البدء وسرّ النجاح المستمر

في عام 2003م، انطلقت الدورة الأولى من أيام الشارقة التراثية، في نطاق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، من أجل حفظ الهوية الثقافية الإماراتية، والتعريف بالتراث الإماراتي، وحفظه وصونه وترويجه، من خلال فعاليات متنوعة ترتحل بالجمهور في فضاءات أكثر رحابة واتساعاً، ضمن أيام تراثية تستحضر العادات والتقاليد الإماراتية العريقة، وتحتفي بالبيئات التراثية الأصيلة، وتتواصل مع روح العصر، من خلال الاعتماد على تقديم عروض تراثية متنوعة ومتميزة، تصاحبها بعض الفعاليات الثقافية، لتكون مرتكزاً لتأكيد الهوية الإماراتية، وتأصيل الموروث الوطني بشتى جوانبه، ومحاولة الإبقاء والحفاظ عليه، ليبقى ماثلاً للأجيال القادمة.

انطلقت الأيام التراثية محمّلة بحزمة من الأفكار والمقترحات والرؤى، التي حوّلت هذه الفعالية الكبرى لاحقاً إلى فضاء ثقافيّ ذي جذور عميقة في المشهد الثقافي والاجتماعي الإماراتي والخليجي، والعربي، حتى غدت علامة بارزة على انفتاح الشارقة ودولة الإمارات العربية المتحدة على التراث الإنساني بمختلف ألوانه وعناصره ورموزه.

وقد شهدت الأيام التراثية على مدى الدورات السابقة الكثير من الفعاليات والأنشطة التراثية والثقافية، التي استقطبت لفيفاً من جمهور الإمارات من مواطنين ومقيمين، ودفعتهم إلى استكشاف ما تزخر به من تراث وترفيه ومتعة وتسلية.

كما أسهمت في إبراز الهوية الإماراتية، والتعريف بالموروث الشعبي، والمحافظة على ما تركه الأجداد من تراث زاخر وغني، ونشره والترويج له، عبر فعاليات متنوّعة ارتحلت بالجمهور في فضاءات أكثر رحابة واتساعاً، ضمن أيام تراثية استحضرت العادات والتقاليد الإماراتية العريقة، واحتفت بالبيئات التراثية الأصيلة، وتواصلت مع روح العصر، من خلال الاعتماد على تقديم عروض تراثية متنوعة ومتميزة، صاحبتها بعض الفعاليات الثقافية، لتكون مرتكزاً لتأكيد الهوية الإماراتية، وتأصيل الموروث الوطني بشتى جوانبه، ومحاولة الحفاظ عليه ليبقى ماثلاً للأجيال القادمة.

تجمع الأيام التراثية إبداعات فنية متعددة، متمثلة في مجموعة الرقصات الشعبية والموسيقى الشعبية الإماراتية،

في تقديمها جهات ومؤسسات مجتمعية مختلفة في إمارة الشارقة، بهدف إثراء المهرجان، وجذب أكبر عدد من الجمهور، والترويج السياحي للإمارة، إضافة إلى الهدايا التذكارية المقدّمة للجمهور، وهكذا يتم رسم الملامح العامة لهذه الفعالية التراثية منذ البداية، بما يعكس مدى اهتمام الشارقة ودورها الحضاري والثقافي الريادي في إبراز صورة حيّة ونابضة بمفردات التراث الشعبي الإماراتي بصوره وأشكاله كافة، وإبراز قيمه الجمالية، فضلاً عن كونه يُعدّ تجسيداً للهوية الوطنية للدولة.

حققت «الأيام» نجاحاً ملحوظاً في دوراتها السابقة، وغدت، منذ ذلك الحين، حدثاً ثابتاً يرتكز على استراتيجية واضحة المعالم، تهدف إلى إبراز ما تملكه الإمارات من تراث عريق، وإيصاله إلى أفراد المجتمع كافة، لتعريفهم بماضيهم، وإبراز القيم الحضارية والجمالية التراثية، وترسيخ القيم والتقاليد والعادات الإماراتية، التي تُعدّ أساس التنمية البشرية، وتربية الفرد وإعداده، كما تتسم الفعاليات بالتشويق والإبهار، والترويج للسياحة في الإمارة.

لذلك، فقد حظيت الأيام التراثية بمتابعة صاحب السمو حاكم الشارقة، حفظه الله، ودعمه وتشجيعه، احتفاءً وتقديراً للدور الذي تضطلع به في صقل مواهب النشء والأطفال والشباب، وتوسيع مداركهم، وتعمل على ربطهم بتراث الآباء والأجداد، وتقرّبهم من التي تقدّمها فرق الفنون الشعبية الإماراتية على اختلاف أنواعها وتخصّصاتها، منها إبداعات نسائية (صناعة التلي، والبراقع، والخوص..)، ونقوش الحناء وعروض الأزياء الشعبية والإماراتية.

كما تشهد «الأيام» مجموعة من المسابقات والفعاليات التراثية، تشارك

معارفه وعناصره ورموزه، وقد رصد سموه في كتابه الفريد «حصاد السنين» ملامح الأيام التراثية، وصورتها التي استقرّت في خلده، منذ أن وجّه بإطلاقها عام 2003، ودعمها مادياً ومعنوياً، وحرص على حضور حفل افتتاحها كل عام، ومتابعتها بشكل دائم، موجهاً وناصحاً ومحفّزاً ومشجعاً.

وقد أحدثت الأيام التراثية في نفس صاحب السمو حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، وقعاً مهماً، وتركت صدى طيّباً، وانطباعاً حسناً، ترجمه فيما كتبه عنها، وذلك ما يستشف من حديثه عن الدورة الثالثة، حيث قال: مثلت «أيام الشارقة التراثية» مشروعاً سياحياً تراثياً، عكس مدى أهمية الشارقة، ودورها الحضاري الثقافي الريادي، في إبراز صورة حيّة ونابضة لمفردات التراث الشعبي الإماراتي، بجميع صوره وأشكاله، حيث اعتبرت الأيام واحدة من المشاريع الثقافية الحضارية التراثية، التي تبرز القيم الجمالية التي يتمتع بها التراث الإماراتي، وجسّدت الهوية الوطنية المنفردة للإمارات، وخصوصية شعبها المعطاء.

هكذا تتجلى صورة الأيام التراثية عند صاحب السمو الحاكم، حفظه الله، الذي كان، ولا يزال، الداعم والناصح والموجّه، والمتابع عن كثب لمختلف الفعاليات، فكان الحصاد خيراً كثيراً، والعطاء سيلاً متدفقاً لا تجف منابعه، ولا تنضب مصادره؛ لذلك تسنى للأيام التراثية، بفضل تلك الجهود، أن تتصدّر المشهد الثقافي والتراثي والسياحي في الإمارات كلها، في أيامٍ معلومات من إبريل كل عام، يتفيّأ ظلالها ذات اليمين وذات الشمال، نزاعٌ من الناس والأجناس، وينهلون من معينها الزاخر، وظلّها الوارف، ونشاطها الهادر والآسر. لوحة تراثية فريدة، وحلّة قشيبة بهية تكتسيها الأيام كل عام، مضفية على المشهد الثقافي رونقها وبهاءها وسحرها الفتّان، وتفيء إليها أفئدة الناس من كل فجٍّ عميق.

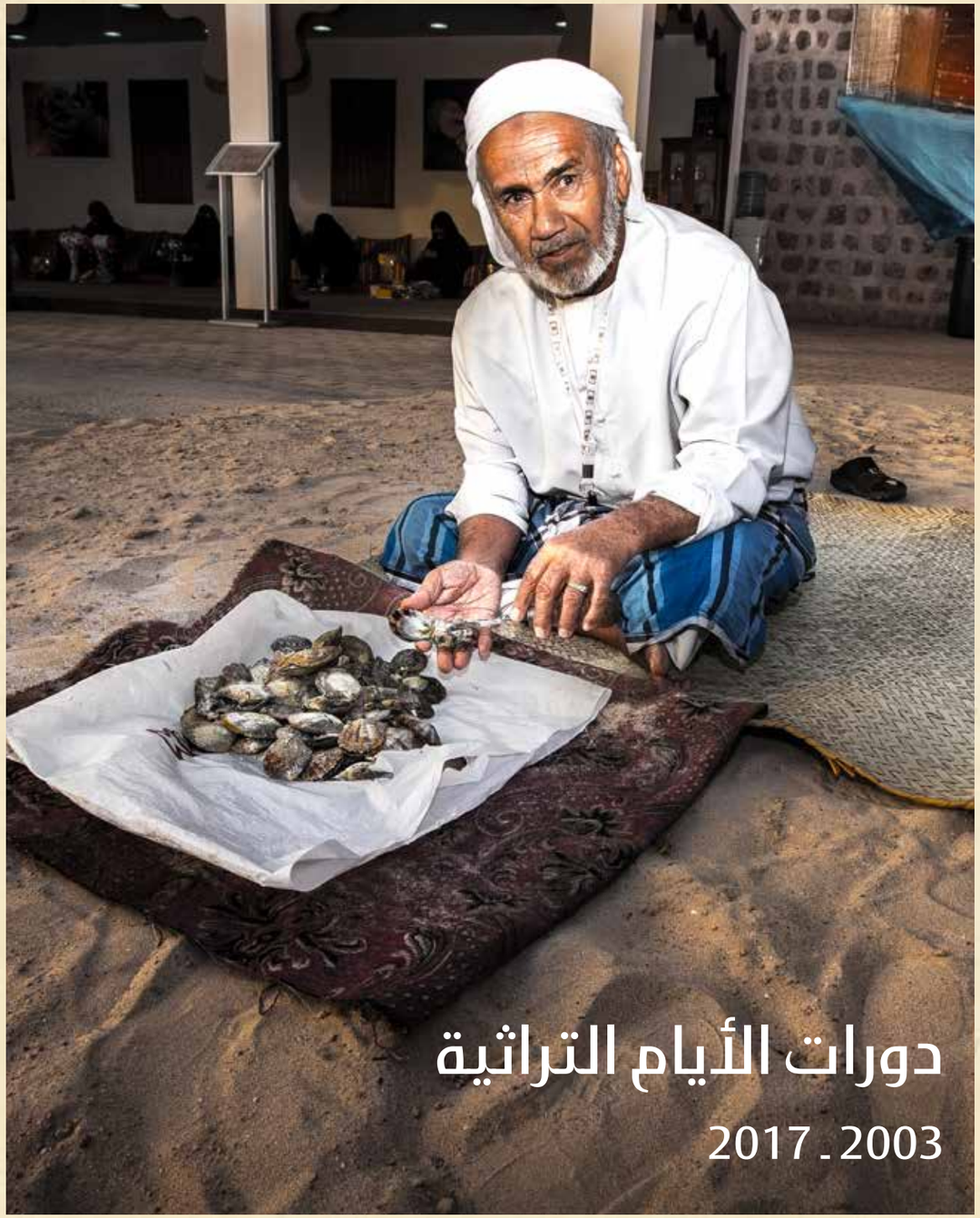

دورات الأيام التراثية

2003 ـ 2017

الدورة الأولى

«مرحلة التأسيس»

9 ـ 18 إبريل 2003

شـهدت الشـارقة ولادة الـدورة الأولى لمهرجـان أيـام الشـارقة التراثيـة، خـلال الفـترة مـن 9ـ18 إبريـل 2003م، انطلاقـاً مـن تطلـع الإمـارة إلى تكريـس موقعهـا كوجهـة ثقافيـة وحضاريـة وسـياحية، ومنـارة علميـة تنبـض بالعلـم والمعرفـة والفـن والإبـداع.

تسـتند أيـام الشـارقة التراثيـة إلى بنيـة تراثيـة أساسـية، متمثلـة في منطقـة الـتراث (منطقـة الشـارقة القديمـة)، ومـا تضمـه مـن متاحـف متعـددة، ومبـان ذات عـمارة تقليديـة، وزخـارف جبسـية وأسـواق تراثيـة، ومبـان دفاعيـة وبراجيـل وأبـراج، إضافـة إلى مجموعـة مـن المسـاجد الأثريـة، كلهـا سـاعدت عـلى جعـل المهرجـان ذا طابـع متميـز، وخصوصيـة متفـردة، وطبيعـة تراثيـة تجـذب كل الـزوار، وتعرفهـم بالـتراث الإمـاراتي.
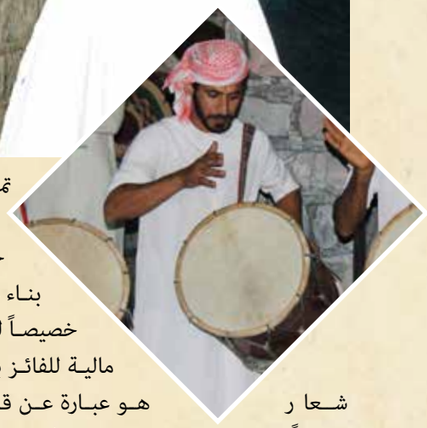
تميـزت أيـام الشـارقة التراثيــة بشــعار خـاص تـم تصميمـه بنـاء عـلى مسـابقة أعـدت خصيصاً لذلـك، ورصـد جائـزة ماليـة للفائـز بهـا، حيث تـم اختيار شـعا ر هـو عبـارة عـن قـارب بداخلـه حصـن تعبـيراً عـن الحـدث وارتباطـه بـتراث الإمـارات.

وحققـت «الأيـام» نجاحـاً ملحوظـاً في دورتهـا الأولى، وغـدت، منـذ ذلـك الحـين، حدثـاً ثابتـاً لـه ميزانيتـه الخاصـة، وأشرفـت عـلى تنظيمـه وتنفيـذه إدارة الـتراث بالشـارقة (التابعـة سـابقاً لدائـرة الثقافـة والإعـلام)، التـي قامـت بتشـكيل اللجـان الخاصة، التـي تتـولى تنظيـم فعاليـات الأيـام وتطويرهـا، بمـا يناسـب الحـدث ويثريـه بـكل جديـد.

يتضمـن مهرجـان أيـام الشـارقة التراثيـة الكثـير مـن التسـلية والترفيـه، مـن خـلال العـروض الفنيـة والألعـاب الشـعبية والمسـابقات التراثيـة، وعـروض الأزيـاء والحكايـات الشـعبية، إلى جانـب مجموعـة المعـارض، ومـا توفـره مـن معلومـات عـن تاريـخ وحضـارة الإمـارات.

يجمـع المهرجـان إبداعـات فنيـة متعـددة، متمثلـة في مجموعـة الرقصـات الشـعبية والموسـيقى الشـعبية الإماراتيـة، التـي تقدّمهـا فـرق الفنـون الشـعبية الإماراتيـة عـلى اختـلاف أنواعهـا وتخصّصاتهـا، ويجمـع المهرجـان إبداعـات نسـائية (صناعـة التـلي، والبراقـع، والخـوص...)، ونقـوش الحنـاء وعـروض الأزيـاء الشـعبية والإماراتيـة.

يشـهد المهرجـان مجموعـة مـن المسـابقات والفعاليـات التراثيـة التـي تشـارك في تقديمهـا جهـات ومؤسسـات مجتمعيـة مختلفـة في إمـارة الشـارقة، بهـدف إثـراء المهرجـان، وجـذب أكـبر عـدد مـن الجمهـور والترويـج السـياحي للإمـارة، إضافـة إلى الهدايـا التذكاريـة المقدّمـة للجمهـور، وهكـذا يتـم رسـم الملامـح العامـة لهـذه الفعاليـة التراثيـة منـذ البدايـة، بمـا يعكـس مـدى اهتـمام الشـارقة ودورهـا الحضـاري والثقـافي الريـادي، في إبـراز صـورة حيّـة ونابضـة بمفـردات الـتراث الشـعبي الإمـاراتي بصـوره وأشـكاله كافـة، وإبـراز قيمـه الجماليـة، فضـلاً عـن كونـه يُعـدّ تجسـيداً للهويـة الوطنيـة للدولـة.

وقـد بـرزت في الـدورة الأولى نمـاذج شـعبية عـدة، مثـل عـروض الحـرف اليدويـة، وركـن الغـوص الـذي اشـتمل عـلى مفـردات صناعـة الغـوص وأدواتـه، وعـروض الإبـل والصقـور، وركـن الطـب الشـعبي، وصناعـة الحلـوى التقليديـة والأطعمـة الشـعبية المعروفـة التـي تصنعهـا النسـاء أمـام الجمهـور، وركـن النقـش بالحنـاء.

وانتصبـت خيمـة الـرواة التـي وضعـت خصيصـاً لتعكـس روح الحيـاة الشـعبية، وتجسّـد للأجيـال قيـم وتقاليـد وعـادات الأجـداد، كـما اسـتمتع الجمهـور بعـروض الأزيـاء والحـلي الإماراتيـة، وشـهدت الأيـام العديـد مـن الفعاليـات المماثلـة بمناطـق: الذيـد، وخورفـكان، وكلبـاء، ودبـا الحصـن.

الدورة الثانية

«شارقة التراث»

18 ـ 21 إبريل 2004

انطلقـت أيـام الشـارقة التراثيـة في دورتهـا الثانيـة تحـت شـعار «شـارقة الـتراث»، وشـهدت إصـدار شريطـين مسـموعين، يحتـوي الأول عـلى فنـون الإمـارات الشـعبية، والثـاني الحكايات الشـعبية، وكتابـين حـول الأيـام ومنطقـة الـتراث بالشـارقة القديمـة، وقـد كان التفاعـل الإيجـابي هـو الميـزة التـي ميّـزت هـذه الـدورة، التـي نجحـت في اجتـذاب العديـد مـن السـياح الذيـن جاؤوهـا فـرادى وأفواجـاً وزوّاراً يعـدون بـالآلاف مـن المواطنـين والمقيمـين، وشـكّلت بالتـالي حلقـة تواصـل بـين الماضي والحـاضر، بمـا وفرتـه مـن أجـواء تراثيـة ممزوجـة بـروح العـصر.

كانـت المبـاني القديمـة قـد أصبحـت مجـرد ذكـرى نعـود إليهـا كلـما كان حنيننـا إلى الماضي الجميـل ورائحتـه المعطـرة بعبـق التاريـخ، وقـد سـعت أيـام الشـارقة التراثيـة إلى أن تكـون حلقـة الوصـل بـين المـاضي والحـاضر، مـن خـلال اسـتعادة ذلـك المـاضي، وتعريـف الأجيـال بـه لتحقيـق المصالحـة بـين الإنسـان وهويتـه وموروثـه الزاخـر بالكثـير مـن المعـاني الرائعـة.

الدورة الثالثة

«شارقة التراث»

10 ـ 22 إبريل 2005م

عـادت أيـام الشـارقة التراثيـة في دورتهـا الثالثـة، التـي انطلقـت في العـاشر مـن شـهر إبريـل 2005م، واسـتمرت إلى غايـة 22 مـن الشـهر نفسـه، إلى مناخـات الثلاثينيـات والأربعينيـات مـن القـرن المـاضي، حيـث البيـوت والأسـواق والمحـال التقليديـة والأبـراج والبراجيـل، مـن خـلال تجديـد الذكـرى للبيـوت والأسـواق والمسـاجد بالشـارقة القديمـة، ومـا أصبـح يعـرف بمنطقـة التـراث، وهـي في الأصـل منطقـة عريقـة يعـود تاريخهـا إلى أكـثر مـن 850 عامـاً، وقـد أعيـدت تهيئتهـا لتحتضـن فعاليـات الأيـام، ولتكـون فضـاءً لاستنشـاق عبـير المـاضي، والتعـرّف إلى كنـوز الآبـاء والأجـداد، والتمتّـع بالمعـالم التاريخيـة التـي تمتـع الناظريـن، من خـلال جمالها وأصالتهـا وعمقهـا التاريخـي مـن ناحيـة، ومـن خـلال العـروض المختلفـة التـي أعـدّت خصيصـاً لتكـون متناسـقة مـع هـذا الفضـاء الـتراثي، الـذي أعـدّ للاسـتعراضات الشـعبية والفولكلوريـة ومعـارض الحرفيـين والمسـابقات التراثيـة مـن ناحيـة الأخـرى.

انطلقـت الـدورة الثالثـة بالقافلـة التراثيـة مـن كورنيـش بحـيرة خالـد، في عـرض ضخـم لفـرق الفنـون الشـعبية الإماراتيـة، فكانـت

«اليولـة» والخيالـة والبيئـات المختلفـة، والعـروض والفعاليـات اليوميـة الثابتـة، والعـروض المتغـيرة التـي تأخـذ مـن كل جزئيـة ومحـور تـراثي بطـرف.

اسـتطاعت الـدورة الثالثـة لأيـام الشـارقة التراثيـة أن تؤسّـس لشـكل جديـد مـن التعامـل مـع الـتراث الإمـاراتي، بالنسـبة لأبنـاء الإمـارات عمومـاً، والشـارقة خصوصـاً، وبالنسـبة إلى المقيمـين والـزوار، في غمـرة تسـارع عجلـة التكنولوجيـا، ولعـل تواصـل الأيـام بخطـى حثيثـة، سـواء مـن خـلال الإعـداد أو التنظيـم والإقبـال الكبـير الـذي حظيـت بـه في الدورتـين الماضيتـين، وهـو الـذي شـجّع الجميـع عـلى الاسـتمرار، مـع الحـرص عـلى التطويـر وفـق رؤيـة تنشـد الرقـيّ والتقـدّم والنجـاح.

ضمّـت الـدورة الثالثـة عـروض الحـرف اليدويـة، مثـل صناعـة الليـخ والشـباك، وصناعـة الخـوص وغـزل الصـوف عـلى النـول التقليـدي، إضافـة إلى ركـن الغـوص، الـذي اشـتمل عـلى مفـردات صناعـة الغـوص وأدواتـه، إضافـة إلى عـروض الإبـل والصقـور، وركـن الطـب الشـعبي، وصناعـة الحلـوى التقليديـة والأطعمـة الشـعبية المعروفـة التـي تصنعهـا النسـاء أمـام الجمهـور، كـما قـدّم ركـن النقـش والحنـاء صـورة جميلـة عـن المجتمـع الإمـاراتي بعراقتـه وأصالتـه وبسـاطته.

كان للفـرق الشـعبية والآلات الموسـيقية التقليديـة حضورهـا المميـز، إضافـة إلى اسـتعراضات الألعـاب الشـعبية والسـوق الـتراثي المصغّـر، الـذي قـدّم للزائريـن الكثـير مـن المنتجـات، أمـا خيمـة الـرواة التـي نصبـت خصيصـاً لتعكـس روح الحيـاة التقليديـة، وتعـرض عـادات وتقاليـد الأجـداد، وتوفّـر القهـوة العربيـة الأصيلـة وكـرم الضيافـة الإماراتيـة، وتعـرض داخلهـا الأزيـاء المعبّـرة عـن الخصوصيـة والهويـة الإماراتيـة.

وتمثّـل المتاحـف التراثيـة بمنطقـة الشـارقة القديمـة فضـاءات تحـكي روعـة المـاضي، وقـد اسـتمتع فيهـا الـزوّار بأقسـام خصّصـت للحـلي والعمـلات والطوابـع والطـب الشـعبي وبيـت النابـودة والمتحـف البحـري، هـذا بالإضافـة إلى الأسـواق التراثيـة والمسـاجد الأثريـة، التـي يمثّـل نمـط بنائهـا وزخرفتهـا العـمارة التقليديـة التـي وضعهـا الآبـاء والأجـداد، مظهـرة أن التطـور الحاصـل مسـتوحى مـن أسـس عريقـة ومبنـي عـلى حضـارة أصيلـة.

مثّلـت الـدورة الثالثـة لأيـام الشـارقة التراثيـة فرصـة لتأكيـد الـدور الحضـاري والثقـافي الريـادي لإمـارة الشـارقة، مـن خـلال هـذا المـشروع السـياحي الثقـافي، الـذي ينطـوي عليـه تـراث المـكان مـن مفـردات حيّـة ونابضـة بالـتراث الشـعبي الإمـاراتي بـكل صـوره وأشـكاله، وهـو مـشروع ثقـافي حضـاري تـراثي، أبـرز القيـم الجماليـة الكامنـة في الـتراث الإمـاراتي، وجسّـد الهويـة الوطنيـة المتفـرّدة للدولـة، وخصوصيتهـا وعطائهـا اللامحـدود، كـما تؤكـد أيـام الشـارقة التراثيـة أهميـة الشـارقة كمدينـة للثقافـة والعلـم والفـن، وأنهـا كانـت ولاتـزال الرائـدة والسـبّاقة في الاهتـمام بـكل أصنـاف وأوجـه الثقافـة والإبـداع.

وشـهدت هـذه الـدورة اهتمامـاً بالبيئـات الثـلاث: الصحراويـة والرعويـة والبحريـة، واسـتطاعت «الأيـام» أن ترصـد طبيعـة كل بيئـة، ومـا تتمتّـع بـه مـن إمكانـات طبيعيـة، إذ تتميـز البيئـة الصحراويـة بطبيعتهـا الرمليـة والسـيوح والوديـان، ويعتمـد فيهـا النـاس عـلى رعـي الإبـل وتربيـة الحيوانـات.

الدورة الرابعة

«غوص عميق في تراث عريق»

12 ـ 26 إبريل 2006

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الرابعة تحت شعار «غوص عميق في تراث عريق»، ابتداءً من 12 إبريل، واستمرت إلى 26 إبريل 2006، وتزامنت مع اليوبيل الفضي لدائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، حيث كانت إدارة التراث، ومع عقد الثقافة العربي أيضاً.

أقيم حفل الافتتاح في منطقة التراث، وكان حفلاً ضخماً حوى الجديد والمفيد، وأدخل البهجة والسرور على نفوس الزوّار والجمهور الذي أصبح يترقب بلهفة وشوق وحنين حلول الأيام في كل دورة، بعد الرصيد الايجابي الذي حقّقته على مدى دوراتها السابقة، الذي منحها تراكماً ثقافياً وتراثياً معتبراً، جعلها تتصدّر الأحداث والمشاهد كل عام.

تضمنت فعاليات الأيام حفلاً افتتاحياً فخماً وضخماً، ومعبّراً عن رغبة جامحة في تقديم التراث الثقافي الإماراتي في حلّة جميلة وصورة نقيّة، تسهم في إبرازه والترويج له على أوسع نطاق، وقد كان للفن حضوره وحظوظه، حيث تم الابتداء في الحفل ـ وللمرة الأولى ـ بأوبريت بعنوان «أرض الفرح»، وهو من تأليف وألحان الفنان الإماراتي عبدالله صالح، وإخراج محمود أبوالعباس، وكلمات الشاعر هشام ضاحي.

أصبحت أيام الشارقة التراثية تظاهرة من أكبر الفعاليات التراثية الثقافية المحلية والعربية، وأكثرها جذباً للزوّار، الذين يترقبون حلولها في شهر إبريل من كل عام، على أحرّ من الجمر. وقد حققت «الأيام» على مدى تلك السنوات رصيداً ثرياً وغنياً بالمعلومات التراثية والثقافية، وأسهمت في التعريف بالتراث الثقافي الإماراتي، وثقافات الشعوب، وما تزخر به من تنوّع وغنى، حيث غدت «الأيام» منبراً عالمياً لاحتضان تلك الثقافات.

الدورة الخامسة

«غوص عميق في تراث عريق»

11 ـ 21 إبريل 2007

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الخامسة في 11 إبريل 2007 تحت شعار «غوصٌ عميق في تراث عريق»، واستمرت إلى الحادي والعشرين من الشهر نفسه، وقد كانت هذه الدورة عبارة عن حفل تراثي ضخم، يحتوي على عدد من الفقرات التراثية والبرامج الفنية والاستعراضية لفنون وتقاليد التراث الإماراتي الأصيل.

وشمل البرنامج المصاحب لهذه الدورة العديد من الفعاليات والأنشطة التراثية المهمة، التي استقطبت لفيفاً من الجماهير، وحدتهم لمتابعتها ومواكبة فعالياتها.

السوق الشعبي:

استعرض جميع الحرف القديمة للحضر والبدو وسكان الجبال وسكان القرى والواحات.

البيئة الزراعية:

عبارة عن مزرعة تراثية متكاملة، تظهر أساليب الزراعة التقليدية، وتضم أقساماً عديدة، منها: البئر (الطوي)، الأدوات الزراعية، الحيوانات، العريش.

قرية جبال الإمارات:

قرية مصغّرة لتراث قرى جبال الإمارات بكل ما تحويه من تفاصيل حياتية ومقتنيات وفنون وتقاليد.

البيئة البحرية:

استعرضت تفاصيل دقيقة للفنون والحرف والمهن ونكهات البحر الرائعة.

البيئة البدوية:

تجسيد حيٌّ للبيئة البدوية ببيوتها المتفرّدة كبيوت الشعر، وبيوت الجريد، ومجالس الرجال، والمهن البدوية والفنون الأصيلة.

سوق الأطباق الإماراتية:

ركن استعراض حيّ لروائع المطبخ الإماراتي بأطباقه الرئيسة وحلوياته ومشروباته الساخنة والباردة، في هذا الركن طعم أصالة الإمارات وذائقة أبنائها.

الاستديو التراثي:

كان فرصة قيّمة للزوّار لالتقاط صور تذكارية في أجواء الماضي الحميم بأزياء ومقتنيات وإكسسوارات تم اختيارها بعناية لتجسّد حقبة زمنية عالية.

معارض تراثية:

مجموعة من المعارض التي تحكي جزءاً من التراث الإماراتي بتوثيق علمي وتفاصيل مبهرة.

المقاهي والمطاعم الشعبية:

توزعت في ساحة الأيام الرئيسة العديد من المطاعم والمقاهي الشعبية، ليستريح الزوّار والجمهور، وقدّمت لهم ألواناً وأطباقاً من الأطعمة الإماراتية المفيدة.

بيت الخرايف:

عرض حيٌّ لبعض الشخصيات الخرافية من الحكايات الشعبية الشهيرة، التي تُقدّم في قالب من الإبداع التمثيلي والتشويق، بمؤثرات صوتية وضوئية، وجوّ خيالي خلّاق.

الفنون الشعبية:

مساحة استعرضت عشرات الألوان من الفنون، والرقصات، والأهازيج، التي تغطي مختلف الفنون الشعبية الإماراتية، مثل: العيالة، والليوة، والهبان، الحربية، الأنديما، البحرية، النوبان، رزيف الشحوح، الويلية، الحدوة، الرواح، الوهابية.... إلخ.

الألعاب الشعبية:

استعراض ألعاب شعبية عدة، تمثّل طرق التسلية القديمة، إضافة إلى الورش التراثية، ومسابقة للأطفال، تقام بالتعاون مع تلفزيون الشارقة، تدعوهم إلى التفكير في حياة الآباء والأجداد.

المسابقات:

حرصاً من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، على أن تعمّ الفائدة، ويستمتع أبناء الشارقة في جميع مناطقها ومدنها ببرامج وفعاليات «الأيام»، أصدر توجيهاته الكريمة عام 2007، بضرورة شمولية «الأيام»، وتوسيع نطاق احتفالاتها، لتكون في مناطق ومدن إمارة الشارقة الأخرى، وهي: خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، دبا الحصن، وقد رُوعي في اختيار المناطق التي أقيمت فيها فعاليات الأيام التراثية في كل مدينة، أن تكون ذات موقع متميز، ومجهّزة بالمرافق المختلفة، وذات تصميمات تراثية معبّرة عن خصوصية المنطقة وعاداتها وتقاليدها، بأسلوب يثير إعجاب الزائرين.

الدورة السادسة

«التراث رمز الهوية»

9 ـ 18 ابريل 2008

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها السادسة في 9 إبريل، واستمرت لغاية 18 إبريل 2008، متخذة من «التراث رمز الهوية» شعاراً لها، وذلك ما كشف عنه المنسق العام لـ«الأيام» سعادة عبدالعزيز المسلّم، في حديثه عن دوراتها السابقة، بقوله: «إن السنوات الست التي مرّت كانت بمثابة خط حروف التراث بأحرف من عرق الآباء والأجداد، وتلوين للصفحات بألوان اللوز والرمان والورس والحناء، تلك الألوان التي لوّنت الحياة في ذلك الزمان»، مؤكداً أن التوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الشارقة، ودعمه اللامحدود لتلك الفعاليات، يتوج دائماً بالعمل والنجاح والتميّز.

كان الاحتفال بالأيام التراثية في هذه الدورة دعوة للتمسّك بالأصالة التي ورثها الإماراتي عن الأسلاف، وفرصة أخرى من

الفرص النادرة التي وفّرتها إدارة التراث، لجمع وحفظ التراث الشعبي الإماراتي، من خلال مجموعة من الآليات التي تعنى بجمع وتدوين وتوثيق الموروث الشعبي الإماراتي، وإجراء التحليلات والدراسات بالطرق المنهجية والعلمية، وتوثيق وأرشفة الوثائق والصور التي تصوّر أو تشرح الحياة الشعبية اليومية للإنسان الإماراتي. كما يتجلى ذلك في بيت الموروث الشعبي، كما تهيأت بنية مناسبة لاستقبال الفعاليات، وتوفير فضاءات مرنة قادرة على استيعاب كل المحالّ والفضاءات التراثية على اختلافها.

الدورة السادسة لم تشذ عن القاعدة، من خلال تسليط الضوء على الثراء التراثي والثقافي الذي تتميز به الإمارات، نتيجة تعدّد البيئات، وقدرة الأيام التراثية، من سنة إلى أخرى، على استقطاب المزيد من الحرفيين والمختصين في الفنون الشعبية كافة، إضافة إلى إقبال العارضين لعرض نماذج حيّة من العادات والتقاليد المرتبطة بحياة الأسرة الإماراتية، الاجتماعية والاقتصادية، كما تعتبر «الأيام» فرصة رائعة للمشاركين والضيوف، للتعرّف إلى التاريخ الحضاري للإمارات، وأرضية تنطلق منها سبل وآليات التعاون الثقافي، وتبادل الزيارات لعرض هذا التراث في أنحاء العالم كافة.

وقد حرصت الدورة السادسة ـ كغيرها من الدورات السابقة ـ على تعميق التفاعل الثقافي بين مختلف الشعوب، من

خلال عروض الفنون الشعبية والمعارض الحرفية، الأمر الذي أسهم في التعريف بتراث وهوية وثقافة الإمارات وأصالتها، فضلاً عن اطلاع الإماراتيين والمقيمين والزائرين على التراث الثقافي للشعوب الأخرى، إضافة إلى الإسهام في هذا الحدث الذي يفتح الباب على مصراعيه للحوار الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب.

تضمنت هذه الدورة مجموعة واسعة من البرامج والعروض الشائقة المتنوّعة، والأجواء الاحتفالية غير المسبوقة، وعلى امتداد 15 يوماً قدّمت أكثر من 150 فعالية، بعضها للمرة الأولى، واكتسبت طابعاً خاصاً من ناحية الأفكار المبتكرة، وركزت على التجسيد الحيّ لمختلف أشكال الحياة الاجتماعية قديماً، في جوانبها الاقتصادية والتجارية، والعادات والتقاليد السائدة، إضافة إلى عروض الفنون والحرف والألعاب الشعبية، كما لعبت دوراً بارزاً في الترويج للمرافق التراثية، التي تعنى بإبراز التراث الشعبي الإماراتي.

كما تميزت هذه الدورة كذلك بعرضين كبيرين، الأول كان في حفل الافتتاح، وقد تميّز بتناغم كبير بين عناصره كافة، ابتداءً من الموقع المتميز على الوجهة المائية في منطقة الشارقة القديمة، ومسيرة القافلة التراثية، وصولاً إلى عروض فرق الفنون الشعبية، حيث تناغمت كل هذه العناصر مع بعضها لتشكّل لوحات تراثية متكاملة تعلن بداية الدورة.

أما عرض الاختتام فلم يقلّ أهمية عن عرض الافتتاح، وخلاله تم تكريم الرعاة الرئيسين والفرعيين، وكل من أسهم في إنجاز هذا الحدث، بالإضافة إلى الإعلان عن الفائزين في العديد من المسابقات التي دارت على هامش «الأيام»، مثل جائزة أيام الشارقة التراثية لأحسن تغطية صحفية، وجائزة أحسن تحقيق صحفي، وجائزة التصوير الفوتوغرافي.

كما جاء البرنامج حافلاً بالعديد من الإضافات، مثل عرس البدو، وتراثيات القهوة، والزراعة التراثية، والشلاّت الشعبية، والمعارض التراثية لدول الخليج، وعروض الخيول العربية، وزهبة العروس، وحظيرة الحيوانات، بالإضافة إلى العروض السنوية التقليدية، التي دأبت «الأيام» على برمجتها منذ انبعاثها، مثل: عروض المسرح التراثي، المأكولات الشعبية، عروض الحرفيين التقليديين، المسابقات التراثية، بيت الخرايف، فضلاً عن الكثير من الفعاليات الأخرى، كما أسهمت المطبوعات والإصدارات المتعدّدة في خلق مناخ يشجّع على تبادل الأفكار والحوار بين الثقافات والشعوب المختلفة.

الدورة السابعة

«بالتراث نرتقي»

5 ـ 18 ابريل 2009

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة في 5 إبريل 2009، واستمرت لغاية 18 من الشهر نفسه، وقد شهد حفل الافتتاح العديد من الفعاليات التراثية الاحتفالية، التي قدّمت فيها فرق الفنون الشعبية أهازيجها ورزفاتها الشعبية، التي أضفت على المكان عبق الأصالة وعمق الانتماء، ونسمات من الماضي العريق، بالإضافة إلى قوافل العروض المختلفة من خيالة، وصقارة، وإبل، وأزياء شعبية نسائية، وللأطفال، مرفقة بعدد من اللوحات الفنية الغنائية التراثية المحلية كالعازي، وعزف الربابة، واليولة، والندبة، والفن الصوري، إضافة إلى لوحات فنية وافدة، كالليوة والمديما والنوبان والهبان والمناديل والعصا وفن البلوش، كما تم استعراض عددٍ من الفنون البحرية.

اشتملت فعاليات أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة على ركن الشارقة القديمة، الذي عرض من خلاله أبرز المعالم القديمة التي اشتهرت بها إمارة الشارقة قديماً، مثل السينما

وساحة الأعياد والاحتفاليات والقهوة الشعبية، كما تم من خلال هذا الركن تقديم عرض شامل عن الحياة داخل الأسواق الشعبية، واستعراض التعاملات التجارية، وصناعة الخناجر والأجهزة القديمة والساعات، وصيانة وبيع الأجهزة القديمة، والكراني والبريد والحلاقة والملابس الرجالية والعكّاس (المصوّر). تضمنت فعاليات هذه الدورة ركناً خاصاً بالمأكولات الشعبية الإماراتية وكيفية إعدادها، والأدوات المستعملة في المطبخ الإماراتي القديم، كما تم تقديم نماذج حيّة لبعض الطقوس والممارسات الشعبية الإماراتية، كالعرس الإماراتي التقليدي، والأزياء الشعبية، والبيت الإماراتي القديم والتومينة، والمجالس الشعبية، والبيئة البحرية، التي تضمنت عروضاً متنوعة لأنشطة السكان وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الساحلية.

شملت الأنشطة التراثية المصاحبة للأيام عرضاً لحرف ومهن أهل الساحل، إضافة إلى عروض للفنون الشعبية، وركن خاص بأسماك ساحل الإمارات، وركن آخر بفلق المحار، وتقديم نماذج من السفن التقليدية الإماراتية.

كما تم تخصيص ركن خاص بالأطفال يحتوي على مناطق مجهزة بالأدوات والألعاب، وتقام فيه ورش عمل تعليمية وتربوية لتدريب الأطفال على صناعة بعض النماذج الجبسية والخشبية بإشراف مختصين، إلى جانب أجنحة لبعض المؤسسات المجتمعية، لعرض نماذج من منتجاتها التراثية، التي تجسّد من خلالها بعض الجوانب التراثية المرتبطة بمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة.

كما شهدت الدورة السابعة مجموعة من الفعاليات التراثية المهمة، مثل: «سكة الربعان»، حيث قدّمت خلالها عروضاً حيّة لعددٍ من الشخصيات الخرافية، إلى جانب عرض نماذج من تراث الشعوب الأخرى من الخليج والبلدان العربية، وآسيا وإفريقيا في يوم التراث العالمي، وقد مثّل برنامج هذه الدورة ـ بتنوعه وحرصه على تناول مختلف المجالات ذات العلاقة بالتراث ـ إضافة كبرى للأيام التراثية، وأسهم في الارتقاء بها، وجعلها وجهة لكل أبناء الشارقة وعموم الإمارات.

احتفاء بالقدس

شهدت هذه الدورة احتفالية خاصة بالقدس عاصمة الثقافة العربية 2009، وقد شاركت إحدى الفرق الفلسطينية (زهرة المدائن)، المختصّة بالتراث الشعبي الفلسطيني، في هذه الاحتفالية، واستطاعت أن تعرّف بتراث فلسطين وفنونها المختلفة. ولعلّ زيارة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو مجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، للجناح الفلسطيني بساحة التراث، والحديث مع عدد من المشاركين الفلسطينيين، كان له الأثر الطيب في نفوسهم، حيث أبدى سموه إعجابه بالمحتويات التراثية الفلسطينية المعروضة، ومختلف اللوحات التراثية والزخارف اليدوية المعبّرة عن الموروث الشعبي الفلسطيني في مختلف مناطق فلسطين. كما شهد الجناح الفلسطيني عرض العديد من الأواني الفلسطينية والصناديق المطرّزة والمحفور عليها بعض الآيات القرآنية، والخرائط وأعمال الرسم على الخشب والجلباب الفلسطيني (الجنباز)، الذي يُعَدّ رمز هوية المرأة الفلسطينية المناضلة، والسروال المطرز يدوياً، والزعتر والزيتون... إلخ.

وقد تفاعل زوّار أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة مع ما قدّمته الفرقة الفلسطينية من وصلات فنية، وما عرضه الجناح الفلسطيني من مقتنيات رائعة ومعبّرة عن تراث شعب مكافح، وبهذه اللفتة الكريمة فتحت الأيام التراثية نافذة جديدة على محيطها العربي والإسلامي، للتأكيد على عمق الترابط والتواصل الثقافي، وقوة الانتماء العربي الإسلامي.

الأيام التراثية في المدن

احتفلت مدن الشارقة المختلفة بأيام الشارقة التراثية، فكانت المناسبة فرصة لاحتفالات بهيجة، تخلّلتها رقصات وأهازيج احتفى فيها الجميع بهذا العرس التراثي البهيج، في كل من الحمرية، والذيد، ودبا الحصن، وخورفكان، وكلباء.

الدورة الثامنة

«تراثنا أمانة»

4 ـ 18 إبريل 2010

انطلقت الدورة السابعة لأيام الشارقة التراثية في الرابع من إبريل 2010، واستمرت لغاية 18 من الشهر نفسه، وقد كانت هذه الدورة نقلة نوعية في المسيرة، حيث مثل برنامجها منعرجاً مهماً في عمر «الأيام»، التي اشتد عودها، وأصبح لها من الإشعاع والتميز ما جعلها مثالاً يحتذى به، في حسن التنظيم والإعداد والتطوير، والعمل بكل الأفكار والمقترحات الرائدة، فقد تنامت المشاركات، وتعدّدت بشكل لافت للانتباه، وكانت الندوة الفكرية الدولية حول الشارقة القديمة محمية التراث الثقافي غير المادي، فرصة للمزيد من التعريف بهذه الإمارة، التي انطلق مشروع إحيائها منذ عام 1990م، وتأسست بها منذ منتصف عقد التسعينيات إدارة للتراث، تعنى به بشقية المادي وغير المادي، وذلك بقصد ترسيخ الهوية المحلية برؤية ثاقبة ومنهجية علمية، وعمل يستلهم الطروحات الحديثة، ويستوعب المعيارية القيمة.

كما كانت الدورة الثامنة مناسبة لحضور العديد من ضيوف «الأيام» من مختلف أنحاء العالم، كالبحرين ولبنان والمغرب وتونس وكندا والمملكة المتحدة وفرنسا وفنلندا وكينيا وقطر وإيطاليا ومصر وبولندا.

ندوة الشارقة القديمة: محمية التراث الثقافي غير المادي

تعتبر الشارقة القديمة واحدة من أقدم التجمعات الحضرية في شبه الجزيرة العربية، والمكان الذي عرف منذ قديم الزمان بدوره التجاري والاقتصادي في المنطقة ككل، واليوم تعد الشارقة حاضنة رئيسة للتراث المادي وغير المادي، وصورة مشرقة لتراث دولة الإمارات الحيّ على الدوام، والحاضر بامتياز، رغم متغيرات الحياة العصرية.

حظيت إمارة الشارقة باهتمام كبير من قبل الرحّالة والمستكشفين، ومن حقها اليوم أن تكون محمية للتراث الثقافي الإنساني من قبل منظمة «اليونيسكو»، ففي ظل الاهتمام الموصول بمنطقة الشارقة القديمة من لدن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، طرح في أوائل التسعينيات مشروع إحياء الشارقة القديمة، خطة تنموية شاملة،

فرمّمت البيوت، وأعيد افتتاح المساجد ومدارس تحفيظ القرآن، والمكتبات، والمتاحف، والأسواق الشعبية العتيقة، مثل سوق العرصة والسوق المسقوف وسوق البحر وسوق الظلام، فعادت إلى حالتها الأصلية، وأعيدت إليها الحياة من جديد، وأصبحت المدينة القديمة وجهة سياحية، تضم إدارات حكومية وجمعيات أهلية ومتاحف ومسارح وبيوتاً ونوادي.

تمثّل أيام الشارقة التراثية المناخ المناسب لاستعادة الماضي والموروث بتفاصيله الدقيقة، عبر الأنشطة المتعددة الملبية لمطالب كثير من الزوّار والضيوف، الذين يفدون عليها بعشرات الآلاف كل عام، وقد غدت الأيام التراثية منذ افتتاح الدورة الثامنة من أهم المشاريع الثقافية التراثية في منطقة الخليج العربي، كما ازداد إشعاعها ـ عربياً وعالمياً ـ عاماً بعد عام.

هذه الدورة التي استمرت لنصف شهر، غطت مدن إمارة الشارقة كافة: (خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، مليحة، دبا الحصن)، واطلع خلالها الزوار على نماذج حيّة من تراث دولة الإمارات، تجلى بوضوح من خلال المعارض والمجالس والأنشطة الموازية على اختلافها.

في أيام الشارقة التراثية تلبس الإمارة حلة قدّت من عتيق عميق، قوامه فقرات وبرامج استعراضية، وفنون لم يزل أهالي المنطقة يحيونها في المناسبات والأفراح والأعياد، وتقاليد تراثية أصيلة، وحرف قديمة للحضر والبدو وسكان الجبال والقرى، وأدوات زراعية، وبيوت شَعر ومجالس وفنون يدوية، وقرى للمأكولات التقليدية، تقدم الأكلات الشعبية الإماراتية والخليجية، مثل: الهريسة واللقيمات والثريد، وغيرها من الأكلات، حيث جهزت أماكن جلوس مناسبة وبطرق متنوعة، تهدف إلى تقديم أرقى الخدمات التراثية للزائرين، إضافة إلى المقاهي الشعبية التي بنيت من سعف النخيل، وتقدّم فيها الأكلات الشعبية الخفيفة والمشروبات التقليدية بأنواعها.

كما تنتشر فرق الفنون الشعبية في ساحة «الأيام»، مقدمة الرقصات والأهازيج المختلفة، مثل: العيالة، والهبان، والحربية، والنوبان، ورزيف الشحوح، والرواح، والوهابية وغيرها.

وللأطفال في أيام الشارقة التراثية مساحة ممتدة، يستعيدون فيها وهجهم، ويمرحون في أزمنة حيّة مملوءة بروح أجدادهم، ليتعرفوا إلى هذا التراث، حيث يتم يومياً عرض ألعاب شعبية عدة، إضافة إلى ورش تراثية، ومسرح للأطفال يتولى تقديم جوائز قيّمة، إضافة إلى المسابقات التراثية ومسابقة الأزياء الشعبية، ومسابقة التقارير والبحوث التراثية وغيرها.

الدورة التاسعة

«من التراث ننهل»

3 ـ 18 إبريل 2011

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها التاسعة في الثالث من إبريل 2011 في منطقة التراث بقلب الشارقة، تحت شعار «من التراث ننهل»، واستمرت فعالياتها لغاية الـ18 من أبريل 2011، وتضمنت الكثير من الأنشطة والعروض، من بينها عرض قافلة التراث، وعروض الفنون الشعبية.

حقّقت هذه الدورة الكثير من الإضافات على المستوى الفني والتنظيمي، والحرص على التطوير والاستفادة من مختلف الأفكار والمقترحات؛ فقد اتسعت ساحة التراث الرحبة لاحتضان الأجنحة المختلفة كأحسن ما يكون الاستعداد، وتوزعت في أرجائها شموع الفرح في استقبال راعي «الأيام»، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، الذي كان له موعد متجدّد مع افتتاح هذه التظاهرة، من خلال عروض الفنون الشعبية، وسباق التجديف، والقافلة التراثية، والقافلة البحرية والأندية،

بالإضافة إلى الأجنحة الرئيسة المتمثلة في جناح المعارض والمزادات، وجناح الجهات الحكومية والمشاركات الخارجية، والبيئات، والمسرح، وسكة الريعان، والألعاب، والقرى التراثية، وخيمة مشروع ذاكرة الشارقة، ومعهد الأيام للتراث.

درب الطيبات

ركن المقاهي والمطاعم التراثية، ركن المأكولات الشعبية، عرض حيّ للمطبخ الإماراتي والطبق الشعبي اليومي المميز.

سوق الغرب

احتوى على أكثر من 20 محلاً لبيع منتجات ومقتنيات تراثية، جناح الأسر المنتجة، وجناح «أول فال» سوق لمشاريع الشباب.

البيئة الجبلية

مشهد حيّ من بيئة جبال الإمارات، استعرض حرف ومهن وتقاليد أهل الجبال.

البيئة الزراعية

حرف ومهن البيئة الزراعية، الهياسة (الحراثة القديمة)، اليازرة (طريقة الري القديمة)، ومعرض الأدوات الزراعية.

البيئة البدوية:

شملت: قافلة الجمال، عازف ربابة، وركن القهوة، والضيافة الإماراتية.

الفنون الشعبية

أحيت فرق الفنون الشعبية الكثير من الفنون الفولكلورية الشعبية الإماراتية، مثل: الهبان، النوبان (الطنبورة)، العيالة، السومة، الرزيف (الوهابية) الدان، (اليولة) الحربية، الليوا، أنديمة، الرواح، الندبة وفنون بحرية بمرافقة الزمار.

إضافة إلى عروض الحرف والمهن الشعبية، من خلال ورش حيّة للمهن التراثية في «الأيام» تقدّم المشغولات اليدوية كصناعة الخناجر والطبول وترويب الليخ، وإعداد التوابل والعوال والسحناة وفلق المحار، ورعي الغنم وتصنيع القفال، ودق الحب والرحي وخبز سفاع والسخونة والمقطعة والعصيدة والريش والغزل وصناعة اليص وصناعة البارود وصناعة المالح.

قرية الحرفيين

احتوت على ورش للحرف الإماراتية الرجالية، وورش للحرف الإماراتية النسائية، ودورات تدريبية، وعروض حيّة، وبيع منتوجات حرفية.

بستان الحكايات الشعبية: ورش تعليمية، رواة شعبيون، مرسم حر، ومسابقات أجمل زيّ تراثي.

قرية الرحّالة:

معرض صور الرحّالة، مقتنيات الرحّالة وشاشة عرض.

معهد أيام التراث: دورات تدريبية قصيرة من التراث الشعبي، أدب شعبي عادات وتقاليد، حرف ومهن شعبية وثقافة مادية.

خيمة مشروع ذاكرة الشارقة: تعريف بالشارقة القديمة، جمع معلومات من الشارقة، عمل مسرد لغوي للأسماء القديمة ومعانيها، ودورات تدريبية للجمع الميداني.

الدورة العاشرة

«عقد من التراث»

4 ـ 20 إبريل 2012

انطلقت في الرابع من إبريل 2012م فعاليات الدورة العاشرة لأيام الشارقة التراثية، تحت شعار «عقد من التراث»، بحفل افتتاحي اشتمل على عروض مختلفة من الفنون الشعبية والقوافل التراثية، والاستعراضات التي أبرزت التقاليد التراثية، وقد تعدّدت الأجنحة، وشملت:

ـ جناح إدارة التراث: وهو جناح مخصّص لعرض إصدارات إدارة التراث، واستعراض حصاد التراث وأنشطتها وبرامجها، وقد خصّصت مجلس ضيافة لزوّار المهرجان، ومكتب اللجان المنظمة والمكتب الإعلامي.

ـ جناح مركز الحرف الإماراتية: ضم العديد من ورش العمل (صناعة الدمى، صناعة السفافة، صناعة العطور والدخون، صناعة التلي، تدوير البيئة)، إضافة إلى عرض حيّ لزفّة العروس، وعرض الأدوات التراثية المستخدمة في زينة المرأة، والمسابقات التراثية في الألغاز والأمثال الشعبية والأشعار والكلمات القديمة وألعاب شعبية للبنات ودورات تدريبية في المأكولات الشعبية.

البيئات التراثية

شدّت البيئات التراثية الزوّار بما جسدته من نشاط حيّ لسكانها، وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، ومن خلال مفرداتهم وعاداتهم، ففي البيئة الساحلية كان عرض الحرف والمهن الساحلية، وعروض الفنون الشعبية وغناء النهام ودكان الأسماك، إضافة إلى عرض نماذج من السفن التقليدية الإماراتية.

البيئة الزراعية

استعرضت الحرف والمهن الخاصة بالبيئة الزراعية، بما فيها سوق المنتجات، كما كان الزوّار على موعد مع معرض الصناعات السعفية واليازرة (طريقة الريّ القديمة)، ومعرض للأدوات الزراعية.

البيئة الجبلية

قدمت حرف ومهن أهل الجبال، وعروضهم الفنية الشعبية، وعاداتهم وتقاليدهم.

البيئة البدوية

تضمنت قافلة البدو وعازف الربابة، وركن القهوة والضيافة العربية، وعرضاً مفصّلاً للحرف والمهن البدوية، إضافة إلى فنونهم ومأكولاتهم المختلفة.

احتفت أيام الشارقة التراثية في دورتها العاشرة بمرور عقد من التراث، ببرنامج فكري متنوّع، اشتمل على العديد من الموضوعات المهمة، والمقاربات الفكرية العميقة، التي لامست جوانب مختلفة من التراث الثقافي.

كما كان للمقاهي الثقافية دورها في إثراء الحوار حول العديد من المسائل في الحقل التراثي، من خلال مقهى الحصن، ومقهى البارجيل.

وتم تخصيص 40 محلاً لبيع منتجات ومقتنيات تراثية إماراتية بالسوق الشعبي، و40 محلاً بسوق الدوار، لتشجيع وتسهيل وتطوير ودعم المشاريع الصغرى، و20 محلاً لدعم المشاريع الجديدة للشباب الإماراتيين، وعرض منتوجات تراثية بسوق «أول فال».

كما كان لدرب الطيبات حضوره المتميز، من خلال الأكلات الشعبية الإماراتية، وكيفية إعدادها والأدوات المنزلية المستخدمة في المطبخ الإماراتي القديم، وقد خصصت أركان متعددة لهذا الغرض، كركن المقاهي والمطاعم التراثية، وركن المأكولات الشعبية، وعرض حيّ للطبخ الإماراتي، وتقديم طبق شعبيّ إماراتي رئيس يومياً.

وكانت المشاركات العربية حاضرة بقوة في أروقة «الأيام»، من المملكة العربية السعودية، الكويت، قطر، والمغرب، من خلال عرض حرف وفنون شعبية وأزياء تخصّ كل دولة.

وشهدت قرية الأطفال التعليمية الترفيهية، التي تركز على التراث الثقافي في محتواه الفني والأدبي، ومسرح الظل، العديد من الألعاب الشعبية والورش التدريبية والمرسم الحر والأزياء التراثية للأطفال.

وكان للفنون التشكيلية ومعارض الصور حضور، من خلال تخصيص فضاءات خاصة لها بساحة التراث.

كما غصَّ مسرح الأيام بالمسابقات للكبار والصغار، واستطاعت ساحة التراث بالشارقة القديمة أن تستوعب عشرات الآلاف من الزوار الذين جاؤوا من كل مكان.

واحتفت أيام الشارقة التراثية خلال الدورة العاشرة ـ كعادتها ـ باليوم العالمي للتراث، من خلال استعراض أزياء الشعوب والفنون الشعبية والعادات والتقاليد.

الدورة الحادية عشر

«المعارف الشعبية عماد التراث»

3 ـ 20 إبريل 2013

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الحادية عشرة في الثالث من إبريل 2013، في منطقة التراث، تحت شعار «المعارف الشعبية عماد التراث»، واشتمل حفل الافتتاح على عروض العيالة، والعديد من اللوحات والعروض الفنية التي قدمها عدد من الفرق الشعبية المحلية المشاركة في الأيام استهلوها بالتحميدة، وهي عبارة عن لوحة للتعليم التقليدي، ومن ثم لوحة للفنون الجبلية، ولوحة أخرى لفنون فولكلورية منها النوبان والطنبورة والهبان والليوة، وقافلة تحمل مفردات من صميم التراث الإماراتي، تتضمن عرس البدو، إضافة إلى فن الأندمة (المدمة) ولوحة الفنون البحرية «النهمة ورفع الشراع».

رجل التراث العربي

كما تضمن حفل الافتتاح تكريم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى

حاكم الشارقة، من قبل الشيخ فيصل بن قاسم بن فيصل آل ثاني، بجائزة شخصية العام التراثية لعام 2013، ورجل التراث العربي، المقدمة لسموه من المركز العربي للإعلام السياحي، تثميناً لدور سموه في صون التراث والحفاظ على كنوزه، من خلال ترميم الأبنية القديمة، وبناء المتاحف، والعمل على مد تلك المباني بكل الأدوات المستخدمة في تلك العصور، ليس محلياً فحسب، بل عربياً.

وتخلل حفل الافتتاح عرض فيلم وثائقي حول الشارقة والحياة الاجتماعية فيها، وجهود صاحب السمو حاكم الشارقة في الحفاظ على ذلك التجانس والبناء الاجتماعي الفريد من نوعه.

وتضمنت الدورة أجنحة رئيسة، إلى جانب أجنحة الجهات الرسمية ومعارض الصور والمقتنيات والمزادات وقرية الأطفال، إضافة إلى ركن الأكلات الشعبية.

البيئة الزراعية

تضمنت حرف ومهن البيئة الزراعية، وسوقاً لمنتجات زراعية، ومعرض الأدوات الزراعية ومنها اليازرة، ثم جناح البيئة الجبلية، الذي تضمن حرف ومهن أهل الجبال، وعروض الفنون الشعبية لأهل الجبال، وعروض عادات وتقاليد أهل الجبال.

البيئة البدوية:

بيت الشعر، وما تضمنه من مناخ الإبل، والعزف على الربابة، وركن القهوة والضيافة العربية، وحرف ومهن البيئة البدوية، وفنون ومأكولات بدوية.

درب الطيبات:

انتشرت فيه العديد من الأجنحة التي تقدم مختلف أنواع الأطعمة الإماراتية التقليدية.

شملت فعاليات أيام الشارقة التراثية برنامجاً فكرياً شارك فيه 76 شخصية بارزة، منهم مفكرون وأكاديميون وباحثون وإعلاميون مهتمون بالتراث، ويضم مقاهي ثقافية يتخللها التوقيع على كتب تراثية عدة من قبل مؤلفيها.

يوم التراث العالمي:

تخلل الفعاليات يوم التراث العالمي، الذي تضمن الاحتفال به استعراض أزياء الشعوب والفنون الشعبية والعادات والتقاليد يوم الـ18 من إبريل 2013.

وأحيت فرق التراث الشعبي الإماراتي خلال الأيام مجموعة من الفنون الشعبية، شملت الهبان والنوبان والطنبورة والعيالة والسومة والرزيف والوهابية والدان والحربية والليوا والأنديمة والرواح والندبة.

كما انطلقت فعاليات الأيام التراثية في المدن الأخرى: خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، دبا الحصن، المدام، المليحة، وقد أمضى الزوار، من مواطنين ومقيمين وسياح، وقتاً ممتعاً في الترفيه السياحي، والاطلاع على نماذج حيّة من تراث الإمارات.

هكذا احتفت أيام الشارقة التراثية في هذه الدورة بالمعارف الشعبية التقليدية في الإمارات، بوصفها عماد التراث الثقافي، ورمز الهوية الثقافية، والخصوصية المحلية، ولبست الشارقة في أيامها حلّة جديدة من الفعاليات والبرامج، التي تسترجع فيها أصالة الماضي، وترسم ملامح البيئة المحلية القديمة لسكان وأهالي الإمارات، عبر احتفالية جماهيرية تزخر بالقيم والمعاني الجميلة لموروثاتنا الشعبية، وتنتصر لكل مفردات التراث والثقافة الإنسانية والحضارية، التي ميزت المنطقة لعقود.

الدورة الثانية عشر

«التراث الإسلامي خيمة واحدة»

6 ـ 25 إبريل 2014

انطلقت فعاليات الدورة الـ12 من أيام الشارقة التراثية في السادس من إبريل 2014 في ساحة التراث بقلب الشارقة، تحت شعار «التراث الإسلامي خيمة واحدة»، وتضمن حفل الافتتاح العديد من عروض الفنون الشعبية والتقاليد التراثية، واستعراض قوافل الجِمال والخيول والاستعراضات التراثية الفنية والعادات والتقاليد.

واستهلّت تلك العروض بدخول الفرق المحلية الإماراتية، وتقديمها العديد من الفقرات الفولكلورية الفنية الأصيلة، والفنون الوافدة كفنون البيئة الجبلية (الندبة)، وفن النوبان (الطنبورة)، والليوا، والهبان، والفنون البحرية، وفن الأنديمة. كما شهد حفل الافتتاح عروضاً لعدد من الفرق التراثية الفنية الوطنية المستضافة من دول وبلدان إسلامية، كالمغرب

وقيرغيزستان وإندونيسيا وتركيا.

واختتمت فقرات الحفل بتقديم لوحة فولكلورية فنية بعنوان «الإسلام لغة واحدة»، وعرض بين فقرات الحفل المتنوعة فيلم تسجيلي حول الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية والتنموية لإمارة الشارقة.

عاصمة الثقافة الإسلامية

أقيمت هذه الدورة بالتزامن مع استحقاق إمارة الشارقة لقب عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2014، بناء على معايير وشروط موضوعية استوفتها الإمارة بجدارة وأحقّية، وذلك يعود لوجود رجل استثنائي بحبه ودعمه للثقافة والعلوم، هو صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الذي أصبحت الشارقة في عهده قبلة يقصدها كل طالب للمعرفة أو الأدب أو الفكر.

وقد جاء اختيار الشارقة في إطار برنامج عواصم الثقافة الإسلامية، الذي تشرف عليه وترعاه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك بعد مطابقتها الشروط والمعايير الأساسية للعواصم الثقافية الإسلامية التي وضعتها.

وقد تضمن برنامج هذه الدورة مقاربات فكرية وثقافية، وفعاليات متنوعة في مختلف البيئات التراثية بما فيها الجبلية، والزراعية، بالإضافة إلى المشاركات الدولية، كما انطلقت الأيام التراثية في بعض مدن الشارقة ومناطقها الأخرى (البطايح، ودبا الحصن، وكلباء).

إقبال كبير

استقطبت الدورة الـ12 من أيام الشارقة التراثية في أيامها العشرة الأولى نحو 150 ألف زائر، وشهدت الأنشطة تفاعلاً كبيراً من الجمهور، الذي تنوّع في خلفياته الثقافية والتراثية ودوله الكثيرة، وقد شهدت الفعاليات تمازجاً بين التراثين العربي والإسلامي، بالتوافق مع اختيار الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2014، كما أتيح لرواد القرية التراثية فرصة التعرّف إلى ثقافات وتراث الدول الإسلامية على المستويات المحلية والعربية والخارجية، عبر مشاركة دول مثل قيرغيزستان وماليزيا وإندونيسيا، وعقد مقارنات في الأزياء والأطعمة والعادات التي تميّز الشعوب والمناطق عن بعضها بعضاً.

الدورة الثالثة عشر

«تراثنا نبع الأصالة»

1 ـ 24 إبريل 2015

انطلقت الدورة الـ13 من أيام الشارقة التراثية في الأول من شهر إبريل 2015، تحت شعار «تراثنا نبع الأصالة»، في منطقة التراث بقلب الشارقة، محمّلة بالجديد والمفيد على كل المستويات الثقافية والتراثية والترفيهية، وباقة من الفعاليات والأنشطة والندوات والمحاضرات والمسابقات، بمشاركة عدد من الجهات والهيئات والمؤسسات الحكومية العربية والإسلامية والدولية، واستمرت الفعاليات لغاية 24 إبريل.

جاءت الدورة متزامنة مع اختيار الشارقة عاصمة السياحة العربية لعام 2015، في إنجاز جديد يضاف إلى ما حققته العام الماضي (2014)، باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، مما يدل على القفزات النهضوية الكبيرة التي تحققها الشارقة تحت قيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله.

يستكشف الزوّار للقرية التراثية في (قلب الشارقة) الماضي والتاريخ بكل حواسه وجوارحه، مطلقين العنان لحواسهم الخمس للتمتع بكل ما حملته الأيام من تراث، ينقل إرث الأجداد وحضارتهم، الأمر الذي يحفّز مشاعر الزوار على التفاعل مع جماليات الثقافات التي تحتضنها القرية التراثية بإيجابية وفرح.

الفنون الشعبية

تعتبر الفنون الشعبية حدثاً مجتمعياً احتفالياً مهماً، يشمل الشعر والأداء والموسيقى، وهي عناصر أساسية في الأدب الشعبي، ومحور إشارة لأهمية وتطور الأدب في المجتمعات، كونه حدثاً مهماً للتجمع والمشاركة لكل فئات المجتمع، سواء احتفاليات وطنية أو دينية أو في المناسبات.

و«الأيام» تحرص على دعوة الفرق الشعبية المحلية باختلاف فنونها، إضافة إلى بعض الفرق الخليجية والعربية، وبعض الفرق العالمية من أوروبا وبقية المناطق حول العالم، كما أن الفنون حاضرة دوماً في حفل افتتاح الأيام، كالعيالة والليوة والنوبان وفنون الجبل والربابة (رفيقة البدوي) وفنون البحر وزفة العريس، وأسماء لفنون تفتح باب «الأيام»، وتستمر فيها حتى نهايتها، كإثبات لاحتفالية الأيام وبهجة الحضور فيها، كما هي جزئية حقيقية وتعليمية مهمة للأدب الشعبي.

السوق الشعبي

السوق الشعبي موقع حضور وتجمع كثير من الجماهير، وفيه قدمت «الأيام» مجموعة من المتاجر الصغيرة المصمّمة بالطريقة التقليدية القديمة، (أبواب مفصلة ومصاريع وخشب منقوش)، بإيجار رمزي يقدم فيه أصحابه بضائعهم التراثية القديمة للجمهور، في محاولة لمنح السوق طعم الأيام ورائحة التراث.

الأطفال

الأطفال بسمة الأمل وروح المكان، ووجودهم في «الأيام» يعدّ هدفاً من أهم أهدافها، كونهم الفئة التي تحتاج إلى وجود التراث في ذاكرتها بشدة وإلحاح، لذا تنوعت البرامج الموجهة للأطفال من ألعاب ترفيهية وعرض حيّ للألعاب الشعبية القديمة، وبيت الخرافات (تذكير بخرافات الجد والجدة في عرض شائق)، والمسابقات التراثية وأغاني الأطفال، فضلاً عن توزيع بعض الأعمال اليدوية المناسبة عليهم من أعلام ورايات وهدايا صغيرة أخرى، وفيها تختلط المتعة بالمعرفة والمشاهدة بالمؤانسة.

البيئات التراثية

«الأيام» ثقافة وقراءة واستمتاع وتعلم، وتعكس البيئات المختلفة من الماء حتى الرمل، بكل ما يحويه من صخور الجبل أو سعف النخيل، ذلك المعنى الجميل، وهي ليست مفارقات قدر ما هي تواصل جنيني للمجتمع الإماراتي.

الدورة الرابعة عشرة

«بالتراث نصون الطبيعة»

4 ـ 22 إبريل 2016

انطلقت الدورة الرابعة عشرة من الأيام التراثية العام قبل الماضي (2016) تحت شعار «بالتراث نصون الطبيعة»، وشهدت الدورة الكثير من الفعاليات التراثية المتنوعة والأنشطة الثقافية الغنية طيلة الأيام.

وحلّت جمهورية مقدونيا ضيفَ شرف «الأيام التراثية»، وجاء اختيارها بناء على ما تمتاز به من تاريخ ضارب في القدم، وإرث ثقافي عريق؛ إذ شهدت الدورة الـ14 مشاركة الفرقة الوطنية للفنون الشعبية المقدونية، التي قدمت فقرات متنوعة، اشتملت على رقصات وأغانٍ وعروض موسيقية تراثية، باستخدام الآلات الوترية والجلدية من الفولكلور المقدوني.

فنّ العرائس

كلما شاهد زوار القرية التراثية في الدورة الـ14، مجموعة من الأطفال مجتمعين، يكتنفهم الفرح والسرور، فلا بدّ أن تكون

لعـروض العرائـس يـد في ذلـك؛ فالأيـام التراثيـة تزيّنـت بعـروض يوميـة لمـسرح العرائـس، تـولى تقديمهـا فنانـون جـاؤوا مـن «أم الدنيـا» لتقديـم المتعـة والفائـدة لجمهـور «الأيـام»، وخاصـة الأطفـال.

وقـد حـلّ سـتة فنانـين مصريـين متخصصـين في التمثيـل بالعرائـس، منهـم مَـن يمتهـن تصنيعهـا أو تصميـم شـخصياتها، وكان برنامجهـم يقـوم عـلى تقديـم العـروض المسرحيـة بمعـدّل أربعـة عـروض كلّ يـوم... وبالإضافـة إلى ذلـك، نشـطت المجموعـة المصريـة في تقديـم ورش عمـل للأطفـال في صناعـة الدمـى الصغيـرة، والتدريـب عـلى اسـتخدامها في العـروض التمثيليـة.

قرية الطّفل

في قريـة صغيـرة تتّخـذ موقعـاً متميـزاً وسـط سـاحة الـتراث، كان مئـات الأطفـال يجتمعـون يومياً في أيـام الشـارقة التراثيـة؛ لممارسـة الألعـاب والتسـلية والتعلـم، في الـورش التدريبيـة، عـلى مـدى سـبعة عـشر يومـاً، هـي طيلـة فـترة «الأيّـام»، والتـي منحـت أولويـة كبـيرة في الـدورة الـ14، عـبر ربطهـا بالـتراث الإمـاراتي، وكذلـك تعليـم الأطفـال كيفيـة صناعـة بعـض الحـرف التقليديـة، والحفـاظ عليهـا، إضافـةً إلى إشراف مدربـين مختصـين عـلى هـذه الـورش التعليميـة والتثقيفيـة بالدرجـة الأولى.

الورش التّدريبيّة

بـدأت الـورش التدريبيـة في قريـة الطفـل، منـذ انطـلاق الـدورة الـ14 لأيـام الشـارقة التراثيـة، وكانـت أولاهـا ورشـة «صناعـة المداخـن»؛ أي الفخّـار، ومـن بـين الـورش التـي طبقـت وتعلمهـا الأطفـال: «إعـادة التدويـر»، «صناعـة الديكوبـاج بـأوراق النباتـات الطبيعيـة»، «صناعـة الدمـى»، «تزيـين أغطيـة الزجـاج»، «صناعـة التـلي والشـمعدان»، «الطباعـة عـلى حصالـة تراثيـة».

«حضانة الأيّام»

ضمـن أروقـة الـدورة الـ14، كانـت «حضانـة الأيـام»، وهـي منطقة تختـص برعايـة الأطفـال مـن عمـر سـنة إلى أربـع سـنوات، تحـت إشراف فريـق مختـص، وضمّـت مجموعـة مـن الغـرف، للرضاعـة والاسـتراحة والنـوم والألعـاب، والهـدف منهـا إبـراز جانـب مختـص بالأطفـال الرضـع، يتـلاءم مـع متطلباتهـم، وتوفـير الفـرص للعائـلات للتجـول في سـاحة الـتراث وهـم مطمئنـون عـلى أطفالهـم في مـكان مغلـق وآمـن ومريـح.

قرية الحرف التّراثيّة

احتـوت القريـة التراثيـة في الـدورة الـ14 عـلى مجموعـة مـن الأروقـة التـي ركـزت عـلى أنشـطة ثقافيـة تراثيـة، مـن بينهـا قريـة الحـرف ذات الأجنـدة البرامجيـة الغنيـة بالحـرف التقليديـة المتنوعـة، بالإضافـة إلى تشـكيلة واسـعة مـن أنـواع الطبـخ والفنـون وغيرهـا مـن المسـتحضرات التراثيـة والتقليديـة.

وتمتلـك قريـة الحـرف عـدداً مـن الدكاكـين المعنونـة بأسـماء تقليديـة، تـدل عـلى أصالـة وتاريـخ الإمـارات وأهلهـا؛ إذ يوجـد ركـن مخصـص لصناعـة البشـت، وآخـر للسـفافة (الخـوص)، وثالـث للتـلي، ورابـع لصبـغ الثيـاب، وخامـس للدخـون والعطـور والسـدو، وهكـذا دواليـك.

ومـن الأنشـطة التـي تضمنتهـا قريـة الحـرف: صناعـة الدمـى، صبـغ الثيـاب، صناعـة الفروخـة، الحنـاء، الرحـى، خياطـة الأثـواب، المكاحل. والهـدف مـن إبـراز الحـرف التقليديـة، تعريـف جيـل الشـباب والأطفـال بعاداتهـم وتقاليدهـم وتراثهـم الشـعبي، وتأكيـد حضـور هـذه الحـرف، وأهميـة انتقالهـا وتداولهـا بـين الأجيـال، فضـلاً عـن تعريـف زوّار الأيـام التراثيـة وجمهورهـا والضيـوف بالـتراث الإمـاراتي، بأشـكاله وأنواعـه كافـة.

الدورة الخامسة عشرة

«التراث مبنى ومعنى»

4 ـ 22 إبريل 2017

انطلقـت الـدورة الخامسـة عـشرة تحـت رعايـة وحضـور صاحـب السـمو الشـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعـلى حاكـم الشـارقة، في منطقـة الـتراث بقلـب الشـارقة، ثـم امتـدت وشـملت مختلـف مـدن ومناطـق الإمـارة، وشـملت: الذيـد، البطائـح، شـيص، مليحـة، خورفـكان، كلبـاء، الحمريـة، النحـوة، وادي الحلـو، دبـا الحصـن، وذلـك وفقـاً لتوجيهـات سـمو الحاكـم، التـي أكـدت عـلى أهميـة حضـور فعاليـات «الأيـام» في مـدن وقـرى ومناطـق إمـارة الشـارقة.

تضمنـت فعاليـات الـدورة الخامسـة عـشرة العديـد مـن البرامـج التراثيـة والأنشـطة الثقافيـة، التـي اسـتحضرت جوانـب ومكونـات وعناصـر الـتراث الثقـافي الإمـاراتي، والفنـون الشـعبية

وألعاب التقليدية، ومختلف الألوان والأنواع الموسيقية، بمشاركة 31 دولة عربية وأجنبية في فعالياتها، فضلاً عن الإمارات، والكويت، وعُمان، والبحرين، والسعودية، واليمن، ومصر، والمغرب، وتونس، والجزائر، والسودان، ولبنان، والعراق، إضافة إلى مالطا، كضيف شرف، والصين، وأستراليا، وإيطاليا، والمالديف، وجورجيا، وصربيا، وطاجيكستان، وسلوفاكيا، وباراغواي، وفرنسا، وروسيا.

240 فعالية للطفل

الاهتمام بالطفل جاء في صلب هذه الدورة الخامسة عشرة للأيام التراثية، بهدف تعريف الجيل الجديد بتراثنا العريق وبيئاته المتنوعة، ونمط عيش الأقدمين، وقد تطلب ذلك منا التركيز على الأطفال من خلال 240 فعالية خاصة بالأطفال، وهو عدد كبير مقارنة مع الدورات السابقة من الأيام التراثية، والفعاليات الموجّهة للطفل بشكل عام ضمن المهرجانات التراثية.

معرض قصائد سلطان

نظّم مقهى الأيام الثقافي ضمن فعالياته معرضاً خطياً للخطاط المبدع حسن الجبوري، تضمن 8 لوحات، هي عبارة عن قصائد: سبحان من رفع السماء، كيف السكوت لما قد نشروا، نم قرير العين، يا التاج عالراس، سلاماً، الطير طرباً يغرّد.. وغيرها.

تتّسم القصائد المنتخبة بعمق المعنى وجمال المبنى، وسلاسة الأسلوب، وصدق العاطفة الجياشة المنتصرة للأمة، والمنافحة عن مقدساتها.

«الأيام» في المدن

احتفلت مدن الشارقة ومناطقها بأيام الشارقة التراثية في دورتها الخامسة عشرة، واكتست حلّة جميلة تتناغم مع حجم الحدث الكبير. وعلى وقع الأهازيج الشعبية والرقصات التراثية والقصائد الشعرية والمشاهد الاحتفائية انطلقت الأيام التراثية في مدن الشارقة، واستقطبت لفيفاً من أبناء المجتمع الإماراتي، الذين توافدوا من كل حدب وصوب، لحضور الفعالية

والمشاركة فيها، انطلاقاً من المدام، فالذيد، والبطائح، وشيص، ومليحة، وخورفكان، وكلباء، والحمرية، والنحوة، ووادي الحلو، ودبا الحصن.

المعارض التراثية

احتضنت الأيام التراثية مجموعة من المعارض التراثية المتنوعة، التي سلّطت الضوء على جوانب مختلفة من تراث الإمارات وتاريخها وثقافتها، واحتفت بأعلامها ورموزها، ومنها: معرض أقطاب التراث، الحفاظ العمراني، معرض الحصون والأبراج في الشارقة، حصاد الأيام التراثية، معرض من التراث المغربي، بمشاركة الفنانة المغربية لبنى شخمون، التي ألقت الضوء على تراث المغرب، ومعرض الرسم بالقهوة، ومعرض الأصدقاء.

وفي كل معرض من تلك المعارض تم عرض لوحات فنية ومجسمات، إضافة إلى بعض القطع التراثية المعبرة عن ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإماراتية؛ إذ تصور أشكالاً متعددة من المفردات التراثية المرتبطة بالبيئة الإماراتية العتيقة.

البيئات التراثية تستعيد أصالة الماضي

احتفت «الأيام» بالبيئات التراثية الإماراتية الأصيلة: البيئة الجبلية والزراعية، والبدوية، التي قدّمت في مجملها لوحة تراثية زاخرة بمكنونات وألوان التراث الثقافي الإماراتي العريق. واستطاعت «الأيام» أن ترصد طبيعة كل بيئة، وما تتمتّع به من إمكانات طبيعية.

350 زائراً في ختام «الأيام»

أسدل الستار على فعاليات أيام الشارقة التراثية في نسختها الخامسة عشرة في الـ22 من إبريل، وقد أحدثت تفاعلاً كبيراً من قبل الزوار الذين تجاوز عددهم الـ350 ألف زائر من داخل الدولة وخارجها، واستقطبت جمهوراً نوعياً من مختلف الفئات والأعمار.

الشارقة تجمع تراث العالم

استطاع برنامج أسابيع التراث الثقافي العالمي في الشارقة، أن يحقّق انتشاراً كبيراً وحضوراً مميزاً في المشهد الثقافي الإماراتي، انطلاقاً من الرؤية الشمولية المتكاملة، التي أسّس عليها، بدعم وتشجيع من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، حيث نجحت الأسابيع التراثية على مدى ثلاث سنوات في تعريف جمهور الشارقة والإمارات بفرائد التراث الإنساني ومكنوناته الزاخرة، التي تعبّر في صميمها عن مدى تشابه التراث الإنساني للبشرية، مهما اختلفت بها الدروب ونأت بها الدار، فهو تراث واحد يتمظهر في صور مختلفة، عاكساً هوية المكان وخصوصيته الثقافية، حتى غدت الشارقة ملتقى للحضارات، وجسراً للتبادل الثقافي.

دول عديدة من مشارب شتى التقت أفئدتها، واجتمعت أرواحها هنا في الشارقة، الوجهة العالمية للثقافة، وحاضنة التراث الإنساني، واستعرضت حرفها التراثية اليدوية، وفنونها

الشعبية، وطبخها التقليدي، وألعابها الشعبية، وغيرها ممّا يرتبط بتراث الشعوب والدول المستضافة، وقد أسهم «الأسابيع التراثية» في التعريف بتراث بعض دول العالم التي استضافها طوال الأعوام الماضية.

19 دولة شاركت في برنامج الأسابيع التراثية على ثلاث سنوات، هي: البحرين، عُمان، المغرب، مصر، السودان، فلسطين، العراق، الأردن، مقدونيا، قيرغيزيا، إيطاليا، فنلندا، تشيلي، الصين، مالطا، نيوزيلاندا، طاجيكستان، النمسا، وهي آخر دولة استضافها «الأسابيع» في شهر مارس 2018.

تراث النمسا يعانق الشارقة

استعرض الأسبوع التراثي النمساوي العديد من مظاهر تراثها الثقافي الزاخر، من عادات وتقاليد وحِرف يدوية وفنون شعبية، وعروض أدائية بأشكالها وألوانها كافة، فضلاً عن التراث الفني والقيمي، الذي يشغل حيّزاً مهماً من ذاكرة الشعب النمساوي، ويحيل إلى تراثه الغني، ومعرض الصور الذي يقدم صورة عن الطبيعة الجمالية والإبداعية في النمسا، وأزياء تعكس جمالاً فائقاً وألواناً زاهية ودقة في الصنع، من خلال تشكيلة غنية من الفعاليات التي تعكس تنوع وغنى التراث في هذا البلد الأوروبي.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم: لدى الأصدقاء في جمهورية النمسا تراث عريق ومتنوع، ويشكل «أسبوع التراث النمساوي» الذي ينظمه المعهد، فرصة للزوار وعشاق التراث والباحثين والمختصين، للتعرف عن كثب بالتراث النمساوي، بمختلف مكوناته وعناصره، التي تتقاطع وتتشارك مع التراث العالمي والتراث العربي، في الكثير من العناصر والملامح، في ظل خصوصية تميزه عن غيره.

وأشار إلى أن للنمسا مكانة سياحية مرموقة لدى السياح، حيث تتميز بتوافر منتجعات التزلج الفريدة المنتشرة في أنحائها، والتي تجذب مئات آلاف السياح سنوياً خلال فصل الشتاء، كما أن النمسا تحتضن العديد من الفعاليات الخاصة بفصل الصيف، وتعتبر إحدى أفضل الوجهات السياحية صيفاً في العالم، وذلك بفضل الطبيعة الخلّابة ذات الألوان المبهرة، والطقس الممتاز والصافي، وقد أصبحت واحدة من الوجهات الأوروبية الأكثر شعبية لقضاء العطلات، كما أن مدن النمسا التاريخية مثل فيينا وسالزبورغ وإنسبروك، تحظى بشعبية كبيرة من أجل التسوق وزيارة المعالم السياحية الموجودة في مراكز المدن.

وأضاف المسلّم: تشتهر رقصة الفالس في النمسا كثيراً، وهي عبارة عن قالب إيقاعي بدأ في النمسا وألمانيا، وتحول لاحقاً إلى نوع من الرقص، ومن خلالهما انتشر في أنحاء كثيرة من العالم، خصوصاً بعد أن نظم الموسيقار النمساوي يوهان شتراوس (الابن) مقطوعته «الدانوب الأزرق» عام 1866.

وقال سعادة الدكتور إندرياس ليبمان هولتسمان، سفير جمهورية النمسا في الدولة: بداية نتوجه بالشكر والتقدير لمعهد الشارقة للتراث، ورئيسه سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلم، على دورهما وجهودهما في صون التراث وحمايته، ونقل تجارب العالم إلى الشارقة، لتتفاعل مع خبرات وتجارب الشارقة والإمارات في حفظ التراث.

ولفت إلى أن برنامج أسابيع التراث العالمي يعتبر محطة مهمة، وعنواناً كبيراً في مختلف مواضيع التعريف بالتراث العالمي، حيث استطاع المعهد من خلال هذا البرنامج أن يجمع العالم في الشارقة، بما يسهم في خدمة التراث وحمايته وصونه.

8 عناصر تراثية مسجّلة على قائمة اليونيسكو للتراث الإنساني

التراث الثقافي الإماراتي إلى العالمية

المجلس

القهوة العربية

الصقارة

التغرودة

صناعة السدو

الرزفة

العيالة

العازي

يمثل التراث الثقافي الإنساني جزءاً مهماً من هوية المجتمعات الإنسانية، لما يتضمنه من عناصر ورموز تتّصل بمختلف الجوانب الحياتية للمجتمعات الإنسانية، بما تشتمل عليه من عادات وتقاليد وأعراف وممارسات ثقافية وعروض أدائية وفنية شعبية، درج عليها السلف وأورثها للخلف، وتتناقلها الأجيال كابراً عن كابر، ومنها عناصر على حافة الاندثار والانقراض، وأخرى لم تعد متداولة على نطاق واسع.

وتعد تجربة الإمارات في مجال توثيق وحفظ التراث غير المادي، وتسجيله ضمن قائمة «اليونيسكو» التمثيلية للتراث الثقافي الإنساني غير المادي رائدة ومهمة، حيث نجحت في تسجيل ثمانية عناصر تراثية، كما قدمت نموذجاً فريداً في التعاون مع الدول الأخرى، في ملفات حفظ وتسجيل التراث، وهو ما أهّلها لأن تحتل المركز الأول عالمياً في عدد الملفات الدولية المشتركة التي تم تسجيلها في قائمة «اليونيسكو»، حيث قامت بتسجيل الصقارة مع أكثر من 18 دولة، ثم السدو والعيالة وفن التغرودة مع سلطنة عمان الشقيقة.

كما تقدمت الإمارات مع المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان وقطر بملفين مشتركين لتسجيل المجالس والقهوة العربية، في حين تعاونت الإمارات وسلطنة عمان في ملف الرزفة.

المجالس، القهوة العربية، الرزفة، الصقارة، السدو، التغرودة، العيالة، العازي، ثمانية عناصر من التراث الإماراتي على قائمة اليونيسكو للتراث العالمي، تعبيراً عن مدى أهميتها التراثية، لكونها تشكّل جزءاً مهماً من ثقافات الشعوب وعاداتها، ونحلة عيشها وتراثها الممتد في أعماق التاريخ، وهي نموذج لدور التراث في بناء الجسور الحضارية والإنسانية بين الشعوب، ودليل على أصالة التراث الخليجي ووحدته الجغرافية والتاريخية والإنسانية.

المجلس

يعتبر المجلس بوظائفه الثقافية والاجتماعية تقليداً حيّاً حرص الحكام وأفراد المجتمع على استمراريته، والمحافظة على دوره، بوصفه جسراً للتواصل والحوار وبناء العلاقات الاجتماعية.

القهوة العربية

تمتد جذور تقاليد القهوة العربية في نسيج مجتمع الصحراء، من خلال أدواتها وطقوسها، وباتت مرادفاً للكرم والضيافة والقيم الأصيلة.. في حين تمثل الرزفة في دولة الإمارات وسلطنة عمان، أحد فنون الأداء الشعبية، التي ترمز إلى الرجولة والمروءة والشهامة والفروسية.

الصقارة

الصقارة المعروفة محلياً بالبيزرة، هي من الرياضات التراثية القديمة التي اشتهرت بها دولة الإمارات منذ آلاف السنين، وكان البدو يمارسونها في الأصل لاصطياد الأرانب البرية وطيور الحبارى كوسيلة لتوفير الغذاء، إلى أن تطورت فيما بعد إلى رياضة تقليدية مقننة بضوابط قانونية صارمة.

عُرف عن البدو امتلاكهم مهارات فريدة في صيد الصقور وتدريبها، إذ تتطلب هذه الرياضة الكثير من الصبر والقدرة على ترويض الطيور. وكانت عملية الصيد تتم أثناء هجرة الصقور خلال موسم الخريف، لدى عبورها شبه الجزيرة العربية، ثم يتم إطلاقها وإعادتها إلى بيئتها البرية مرة أخرى بعد انقضاء موسم الصيد.

التغرودة

تعد التغرودة نوعاً من أنواع الشعر الشعبي البدوي، الذي كان يقرضه الشعراء في الإمارات وعمان اللتين تعدان الموطن الأصلي والحصري لها، ويؤديها الرجال على ظهور المطايا في ترحالهم من مكان إلى آخر، ويبدأ في العادة ارتجالاً بقصيدة قصيرة يجري تكرارها بين المسافرين، وتؤدى في قالب لحن غنائي منفرد أو جماعي، يردد فيه المنشد الرئيس البيت الأول، ثم ترد عليه المجموعة الأخرى، وهو مطابق لبحر الرجز.

انتشرت التغرودة في البداية بشكل تقليدي بين القبائل البدوية، التي كانت ذات اهتمام بتربية الإبل في المنطقة الغربية، ومدينة العين، وبعض التجمعات البدوية حول المناطق الجبلية من رأس الخيمة والفجيرة، وسكان القرى الزراعية الصغيرة، ثم انتشرت بعد ذلك في التجمعات السكنية التي نشأت بمحاذاة أسواق الجمال في أبوظبي ودبي والشارقة وأم القيوين.

صناعة السدو

السدو: الحياكة، ويطلق أيضاً على آلة الحياكة نفسها، وتستخدم في السدو الخيوط الصوفية الملوّنة، وقد تجتمع النساء النسّاجات، اثنتين أو أربع، فترتّب الخيوط على الأرض بشكل طولي بين أربعة أعمدة تشكّل زوايا مستطيل، ثم تسدى بـ(المدرة): مشط خشبي، وهو قطعة خشبية تستعمل لتشبك الخيوط على السدو.

وتكون الخيوط بما مجموعة مائة، نصفها طولي والنصف الآخر عرضي، وتحاك برفع نصف الخيوط، وتخفيض النصف الآخر، ثم يدخل بينها خيط العرض من اليمين إلى اليسار وبالعكس ويرصّ، وهكذا تتوالى العملية خيطاً خيطاً حتى يكتمل نسيج المساحة ما بين الأوتاد، فتكون القطعة جاهزة، إما كبساط أو قطعة من بيت الشَّعر أو غطاء أو غيرها.

الرزفة

هو الفن الأدائي الخاص بالعيالة، وكذلك الوَنّة، حيث يُؤدّى على إيقاعها، فيتمايل الرزّافة مُلوّحين بالعصيّ التي تُسمى باللهجة المحلية «الخيازرين»، وذلك حسب مجرى ألحان القصائد والأشعار الخاصة بهذا الفن، وحسب الإيقاع أيضاً.

العيالة

فن من الفنون الشعبية الإماراتية العربية الأصيلة، وهي عبارة عن فن جماعي يتضمن غناء، وتؤدّى «العيالة» في كل المناسبات الاجتماعية والوطنية، كما تحرص دولة الإمارات على إبرازها وتقديمها في كل الاحتفالات داخل الدولة، أو خلال المشاركات الخارجية، ولها مكانة خاصة في نفوس أبناء الإمارات وشعوب منطقة الخليج العربي، وتعتمد في الأساس على اللحن الصوتي والإبداع الإنساني، ولا تستخدم في تلحينها الآلات الموسيقية، إنما تصدح بها حناجر الآباء والأجداد على مر العصور.

وللعيالة أربعة مقامات ومسميات مختلفة، وتؤدى حسب الأوقات اليومية، فالمقام الأميري، ويسمى بالعامية «العميري»، يبدأ بعد صلاة العصر، أما المقام الثاني فيعرف بـ«البداوي» وهو مقام يتصف بالأداء الملحن له صفة السجع، ويكون في ذروة ونشوة الحماس، ويستمر أداؤه إلى ما قبل غروب الشمس، والمقام الثالث يسمى «التعوشير» أو العاشوري، ويعتبر من أجمل مقامات العيالة، ويمثل خاتمة عرضة العيالة، وينشد قبل أذان المغرب، أما المقام الرابع وهو «المشي»، فالمقصود به زفة العريس، حيث يمشي أفراد الفرقة خلف العريس متجهين إلى بيت العروس.

العازي

فن تراثي يعتمد على ترديد الأشعار الحماسية بشكل جماعي ومن دون استخدام آلات موسيقية أو إيقاعية، ويمارس في المناسبات الوطنية والاجتماعية، لبث روح الفخر والولاء والاعتزاز بالقيم الوطنية، إلى جانب التغني بتقاليد الترحيب والمدح وسرد الإنجازات، بالتركيز على الأداء القوي لصوت المؤدي والمرددين المصطفين خلفه، الذين يعطون «الجواب»، في مشهد يرمز إلى التكاتف والتعاضد والوقوف صفاً واحداً، وله مؤدين معروفين في الإمارات، أبرزهم من الفجيرة الشاعر السماحي، ومن المنطقة الوسطى في الشارقة أبناء قبيلة القايدي وغيرهم.

هكذا أصبح التراث الثقافي الإماراتي يتصدر القوائم التمثيلية للتراث الإنساني العالمي الحري بالصيانة والحفظ، متجاوزاً نطاقه المحلي إلى فضاءات أوسع، وهو بذلك يقدّم صورة مشرقة للعالم، تعكس مدى عراقته وعمقه.

متابعة

استعرضت موضوعات عن تعزيز العلاقات الثقافية بين فنلندا والعالم العربي

«مرحبا» تحتفي بأسبوع التراث الفنلندي في الشارقة

احتفت النشرة السنوية للجمعية الفنلندية العربية (مرحبا) في عددها الـ41 لعام 2017، بتعزيز الصلات الثقافية والتراثية بين معهد الشارقة للتراث (دولة الإمارات العربية المتحدة) والجمعية العربية الفنلندية، بالتعاون مع السفارة فنلندا في أبوظبي، وذلك من خلال أسابيع التراث الثقافي العالمي، التي استضافت أسبوع التراث الفنلندي في الفترة ما بين 14 و18 نوفمبر 2016.

استعرض أسبوع التراث الفنلندي بانوراما تراثية غنية، شملت التراث الثقافي للمجتمع الفنلندي، بعناصره ومكوناته كافة، والذي تحيل إليه ملحمة «كاليفالا» بأجمل صوره وأبهى تجلياته؛ إذ اختزنت العديد من الألفاظ اللغوية والمصطلحات التراثية.

وشمل «الأسبوع»، معرضاً فنياً وعروضاً موسيقيةً وفولكلوريةً ورقصاتٍ تراثيةً، وعزفاً موسيقياً على آلة «الكاليفالا»، بالإضافة إلى محاضرات فكرية عرّفت الجمهور بالتاريخ الفنلندي الموغل في

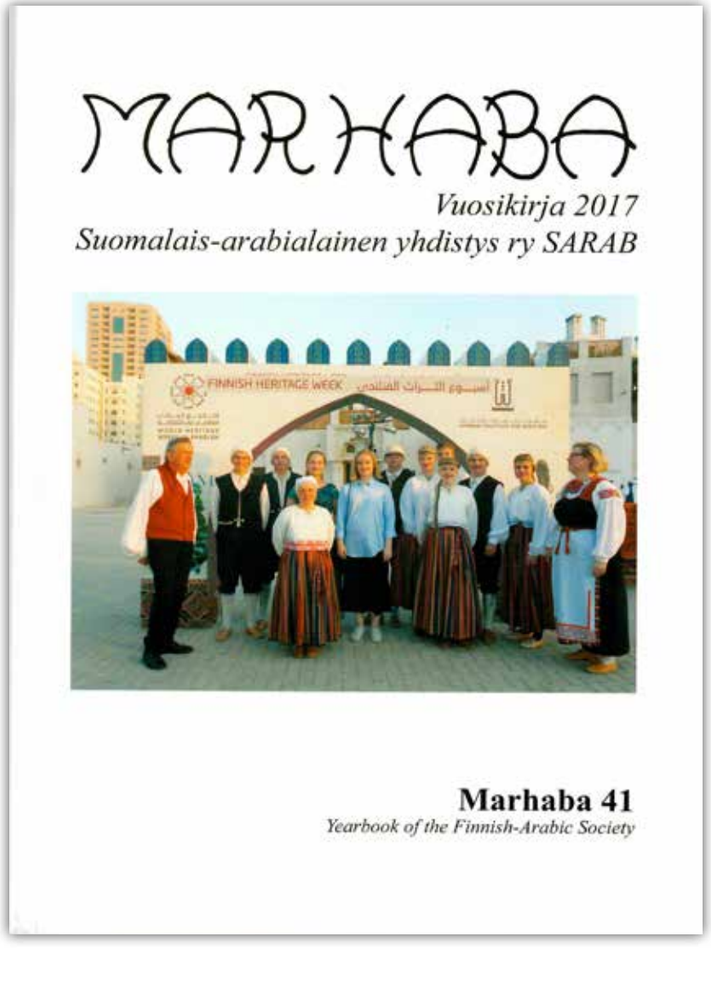

القدم، ودوره في تشكيل ثقافة المجتمع النابض بالحياة.

كما وثّق العدد جانباً من الزيارات المتبادلة بين معهد الشارقة للتراث برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، والجمعية الفنلندية، معرّجاً على المشاركات المتميزة التي جمعت الطرفين، مبرزاً دورها في تعزيز الصلات الثقافية بين الشارقة (الإمارات) وفنلندا.

وتناولت محتويات العدد الكثير من الموضوعات الثقافية والتراثية المهمة، من بينها صخور المغرب تحكي تأريخها القديم، الفنلنديون ينقذون سجل البردي المتفحمة الأوراق، علم المصريات في فنلندا من القرن التاسع عشر إلى العقد الثاني من هذا القرن، المعهد الفنلندي في الشرق الأوسط جسر للبحوث في المنطقة، التبادل الأدبي بين العربية والفنلندية، ألفار آلتو في الدول العربية، مصمم في الدول العربية، جمهورية فنلندا تحتفل في عيدها المئوي تحت شعار «معا»، وغيرها من الموضوعات التي أثرت هذه العدد المتميز من النشرة باللغتين العربية والإنجليزية.

كما استعرض العدد جوانب من أنشطة الجمعية، ودورها في تعزيز التواصل الثقافي بين فنلندا والعالم العربي.

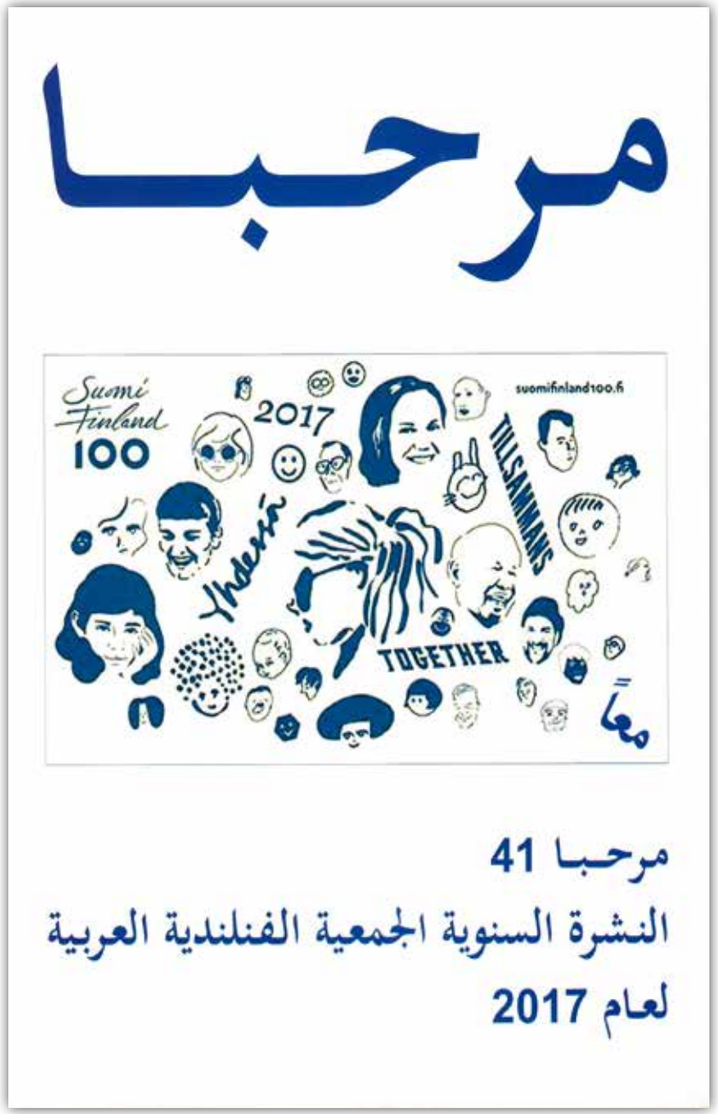

الشاعر غانم القصيلي*

عتيـج القبيسي
شاعر وباحث تراثي

ateequbaisi@gmail.com

هـو غانـم بـن راشـد بـن شـاهين القصيـلي المنصـوري، المولـود في مدينـة ليـوا عـام 1935، وترعـرع في باديتهـا، ثـم انتقـل إلى قطـر في أواخـر الأربعينيـات مـن القـرن العشريـن، للعمـل في شركـة للنفـط بمهنـة سـائق، ثـم التحـق بالمعهـد المهنـي في بدايـة السـتينيات لدراسـة الميكانيـكا، ثـمّ عـاد ليسـتقر في أبوظبـي عـام 1966، وهـو العـام الـذي تـولّى فيـه المغفـور لـه، بـإذن اللـه، الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان مقاليـد الحكـم فيهـا.

بـدأت رحلتـه مـع الشـعر في سـنٍّ مبكّـرة، متأثّـراً بمـن سـبقوه مـن شـعراء، ومنهـم على سـبيل المثـال الشـاعر الكويتي وعـازف الرّبابة عبداللـه بـن ضميـد، ويعتـبر شـاعرنا مـن عـازفي الربابـة المهمّـين في الإمـارات، لتميّـزه بأسـلوبٍ خـاص، سـواء في طريقـة عزفـه على الربابـة، أو في أسـلوبه الشـعري، ولـه الكثيـر مـن المسـاجلات بينـه وبـين ابـن عمّـه الشـاعر عـلي بـن محمّـد القصيـلي المنصـوري، وتنـاول شـاعرنا في شـعره مختلـف أغـراض وبحـور الشـعر النبطي، فقـد كتـب في الوطنيـات وفي المديـح والغـزل والاجتماعيـات والمسـاجلات، وبَـرَع في كل الألـوان والأغـراض التـي قدّمهـا، ومنهـا عـلى سـبيل المثـال في الوطنيّـات، هـذه القصيـدة التـي قالهـا في مناسـبة مـن مناسـبات اليـوم الوطنـي للدولـة:

قال مِن عَـدّ المثايـل باجتهـادِ ... من روايـا كـوكبٍ صافي زلالـه
قالها في حِلّهـا مغـرم وشـــادي ... من طَرَب واعِدّها عَد الرّسـالـه
مرحبا بايّام حـفلـة الاتحـــادِ ... عاد عيد الشّيخ وايّام الهنا لـه
عاد عيده والفَرَح حَضر وبوادي ... حـفلة الحكّام عـيده له دلالـه
عيـد حكّامٍ لهـم راي السّـــدادِ ... كاسبين المَـدح فرسان البسـالـه
أصْلَـح الله رايـهـم رب العبـادِ ... وجِعل رَيّسنا هَدَف عزّه يناله
وافـقوا وتوافـقوا والعـز بـادي ... مِثل نورٍ شَل مَغْمِيْـةِ الظّلالـه
يـا طيور اترنّـمي في كل وادي ... والطـرب كِلّ يـشـلّـه في ليـالـه
قايـد السّـيـره بها نـال المرادِ ... للعـلا نَوّه ومـا ينـويـه طـالـه
لم شمـل الشعب فكره باجتهادِ ... جَـمّع الحكّام في وحدة عدالـه
أجّبـوا لنـداه خطـلان الأيـادي ... رايهم واحـد مكتّـف بالأصـالـه
والتضامن بينهم صوت المنادي ... جـاب يـا ثـلّاب ما قـالوه قاله
جعل عمر الشيخ دايم له مدادِ ... يـا وليّ العـرش بـارك في ليـالـه
حاكم الرّايـه حـكيـمٍ لـه مـرادِ ... والمـراد العـز ودروب الجمالـه
عَـزّه المولى على كـيـد المعـادي ... جعل من عاداه يغـويه احتيالـه
في مضـامي مـا يعـوّد للبـــلادِ ... ينحـره كيـده يعـوّد باشـتعالـه
تمّت وصلّوا على من كان هادي ... الشفيع المصطفى راعي الرسـاله
عَـدْ مـا هَـب الهـوا حَـر وبـرادِ ... وعَـدْ بـرقٍ لاح في مـدهِـم خيالـه

نلاحـظ فيـما سـبق مـن أبيـات مـدى سلاسـة وسـهولة معانيهـا وبلاغتهـا وعمقهـا اللغـوي الأصيـل، هـي معادلـة ليسـت بالسّـهلة ولا يتقنهـا إلّا ذو موهبـة صادقـة متأصّلـة، وتحـلّى بالكثـير مـن الاطـلاع والخـبرات العلميـة والعمليّـة كشـاعرنا غانـم القصيـلي.

ومـن قصائـد المـدح الراقـي، هـذه القصيـدة الجزلـة التـي تفيـض بغزيـر المعـاني الغنيّـة برمـوز التشـبيه التـي تجمـع أوصـاف الكـرم والشـجاعة والزعامـة والقـوّة والشـهامة في إشـارات غـير مبـاشرة يفهمهـا الشـاعر ويفهمهـا المتلقـي العـادي لسـهولتها ووضوحهـا رغـم عـدم ذكرهـا صراحـة:

سـام يـا شيـخٍ يشِـل الثـقـيـلـه ... ويحل صعبات المشاكل بالافكـار
رام المعـالي والمعـانـي دلـيـلـه ... وان جات بالشّدات نشمي وجبّار
شيـخٍ وَلَـد شيـخٍ وعِـز الـقبـيـله ... وتاريخهم من عصر كنعان واوبار
حِرٍّ وَلَـد حِرٍّ وصيـده فـصـيـلـه ... وضربه يصيب الرّاس بالقاع واطيار
ريش الحبارى مثل نطش المخيله ... ومن حَر صفقه مخلبه صابه ذعار
بَـنـدَر سفن في خور غمقٍ غليله ... تلقى الخشب في ظِلّته دوم سنيار
كِلٍّ على ذكره يـجـي ويعَني له ... مَلجا الضّعيف ومِكرِم الضيف والجار
وحِنْ مثل قِصّاده نجي ونْعَني له ... ونلجا بظلّه من عنا الوقت لي جار

أمّـا بالنسـبة للغـزل، فلشـاعرنا أسـلوبه الرشـيق، وكلماتـه المفعمـة بالرومنسـية والعاطفـة الجيّاشـة، تستشـعر وأنـت تقـرأ القصيـدة بأنهـا تتراقـص طربـاً في شـفتيك، تحـسّ بموسـيقاها قبـل إحساسـك بحروفهـا وكلماتهـا، كيـف لا وهـو كـما ذكرنا عـازف ربابة، يسـتمد الكلمـة مـن النغـم، أو يسـتنبط النغـم مـن الكلمـة، فكلاهـما وارد، وإليكـم هـذا النمـوذج مـن شـعر الغـزل لـدى شـاعرنا غانـم القصيـلي:

حبيبي كيف تنساني.. وانا ما انساك لو تنسى
وانا ما انْسـاك يا عَز الحبايب.. كيف تنساني
تـرا هجـرك يحطّمني تحَطّيم الحَطَب واقسى
يحطّمني.. فـلا تقسى.. تـراني مثلك انسـانِ
حبيبي رِف بحـالاتي.. حبيب الـرّوح لا تقسـا
عـلى من في هواكم يادْعَـج العينين طبعانِ
تـرا مركب غرامي في هـواكـم تـاه ما قَسّى
ولا بَـنـدَر يقسّي بـه ولا ريِّـــس وربّـــانِ
غـبـيـب وموج تلعب بـه ولا بَرٍّ ولا مَرسى
هبـوب الرّيـح قَفَّت بـــه ولا ميـلٍ وسكّانِ
طبع مركب غرامي في هواكم كيف ما تخشى
من الله يا لطيف الرّوح لك حسنه وغفرانِ
تـرفّـق بي وسـاعدني وواصـلـني ولا تنسـى
عهـودٍ بيني وبينـك حلفنـا معـك بايمـانِ
ألا يا حَمس كبدي في هواكم يا الغضي حَمسا
كما حَمس القليّـه فـوق ضَـوٍّ شِبّت لعانِ
هِنِيّ الدِلْـه لي عينـه تغضّي حزّة الممسـى
وانا اراعي النجوم المدبحه لين الفجـر بانِ
طِبَع حبّك على قلبي وكِبْس بمطبعـه كَبسا
كما ختمٍ على بِيض الوَرَق تصريح سلطـانِ
ترا عوقي تعايـــا به طبيبِ ذِكْر في النمسا
وقـال الحب ما يذكر معانـا.. له دواً ثاني

هـذا بعـض إبـداع شـاعرنا غانـم بـن راشـد بـن شـاهين القصيـلي المنصـوري، شـاعر متميّـز لـه أسـلوب متميّـز ومفـردات سـهلة سلسـة، تفيـض فصاحـة وجـمالاً، يسـتخدم المفـردة في مكانهـا لتعطـي مدلولهـا بـلا تكلّـف، لا تحتـاج إلى الكثـير مـن الـشرح والترجمـة، سـهلة الفهـم حتـى عـلى القـارئ غـير الإمـاراتي، وقـد أصـدرت هيئـة أبوظبـي للثقافـة والفنـون مـن خـلال أكاديميّـة الشـعر ديوانـاً للشّـاعر جمعـه وحقّقـه كلٌّ مـن الدكتـور غسّـان الحسـن والأسـتاذ مبـارك عـلي القصيـلي، حَمَـل اسـم الشـاعر «ديـوان غانـم بـن راشـد القصيـلي»، طُبِـعَ في عـام 2008.

* ديوان غانم بن راشد القصيلي - أكاديميّة الشعر - هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

«بسمتك يا زين»

علي العَبْدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات
abdanart@gmail.com

الفنان
عبدالعزيز الشراري

«بسمتك يا زين» قصيدةٌ من نظم الشاعر معضد بن دين الكعبي، وقد لحّنها وغنّاها الفنان سعيد الشراري، أما الشاعر فهو الشيخ معضد بن دين الكعبي، وُلد عام 1948 في قرية شرم التابعة لبلدة امْحضة، وهي البلدة التي تقطنها قبيلته بنو كعب، وكان والدُه شاعراً، ولهُ مجلسٌ يرتادهُ الشعراء، فكان شاعرنا يجلس معهم، ويتأثر بما يسمع، حتى بدأ في نظم الشعر، وأنشدَ أولَ قصيدةٍ له وهو في سِنّ الثانية عشرة، وفيما يتعلق بالتعليم درس الشاعر في المدرسة القاسمية في الشارقة حتى أنهى المرحلة التي كانت تُسمّى الإعداديّة، ثم سافر إلى بريطانيا لإكمال تعليمه، لكنه عاد إلى الإمارات ليبدأ في إدارة أعماله الخاصة، وبقي كذلك حتى توفي، رحمه الله، في عام 1994، وهو في السادسةِ والأربعين من العمر.

القصيدة [1]

بسمتكْ يا زين تسوى ألف بسمهْ .. والعيون السُود والرمش الكحيلْ[2]
مهرجان العيد في نظرة عيونك .. والشفاة الحُمْر نبع السلسبيلْ
يا جَلال الحِسن طرّزك الجَمالْ .. بالعذوبه والمَلاحَه يا جميلْ
تسجد الآرام إجـلالاً لحسنك .. والسحر لى فيك والطرف الكحيلْ
النسايمْ في السحَرْ تحملْ أريجكْ .. دهن عود وياسمين وريح هيلْ
أنتشي واطربْ واغنّي للنسايمْ .. لَنّها مرسال للحلو الجميلْ
تعجز الشعّار عن توصف جمالكْ .. لا في حاضرنا ولا أوّل رعيلْ
تشخص الأبصار لو شافوا خيالكْ .. بس أنا أقدر ولو هو مستحيلْ
محتفظ لك في فؤادي بْألف صورَهْ .. واندفاعي في محبتكم دليلْ
يا مُنى نفسي وسلوى خاطري[3] .. يا غذا روحي ودْوا قلبي العليلْ[4]
فيك يا سَوّام[5] يا روض الغرامْ .. مرتع الآرام في وقت الأصيلْ
وَشوَشتني[6] ذكرياتي والخواطر .. وابتديت الشعر في وصف الخليلْ

وزن هذه القصيدة من جملةِ أوزان السامر[7]، وهو نظير بحر الرمَل في الشعر الفصيح، وأبياتها تدل على هذا:
بسمتك يا زين تسوى ألف بسمه .. والعيون السُود والرمش الطويلْ
فتقطيع الشطر الأول:
بَسْمِتِكْ يا = فاعلاتن ، زين تِسْوَى = فاعلاتن ، ألف بَسْمِهْ = فاعلاتن.
وتقطيع الشطر الثاني :
ولْعيون سْ = فاعلاتن ، سُو دِ وطْ طَرْ = فاعلاتن ، فِ لْ كحيلْ = فاعلانْ أو فاعلاتْ .
وبهذا يظهر أن أصل هذا الوزن مشتقٌ من بحر الرمَل، وهذا الوزن فيه رقةٌ وشجنٌ كامنٌ في متحركاتهِ وسواكِنه، حيث إن الوتدَ منه (عَلا) يتوسّط سببيْن خفيفيْن (فا – تن)، ولذلك ففي هذا الوزن نبضٌ أو حركة تتعالى بعد انخفاض وقبل انخفاض في كل تفعيلة، فالترنُّمُ بهذا الوزن فيه قوةٌ صوتية تتوسّط كل تفعيلة، وبهذا ينبضُ نغماً يتناسبُ وموضوعات الشجَن والعاطفة الرقيقة، والمُلاحَظ في هذه القصيدة أن العَروض تأتي إما «فاعلاتن»، وإما «فعِلاتن»، وإما «فاعلان»، وقد وردت في موضعٍ واحدٍ «فاعلن» كما في البيت العاشر، وهو شذوذٌ سببُهُ تحريفٌ لأجل الغناء.

الأغنية

كما علِمنا آنفاً فقد قام الفنان الإماراتي سعيد الشراري بتلحين هذه القصيدة، وتسجيلها بغنائهِ وعزفِهِ لدى تسجيلات «زينل فون»[8]، وهو الفنان سعيد الشراري، وُلد بمدينة كلباء على الساحل الشرقي لإمارة الشارقة، كانت بدايته الفنية في منتصف الستينيات في مدرسة سيف اليعربي، وذلك من خلال الأناشيد ضمن الأنشطة المدرسية، ثم بدأ في خطوات الاحتراف، فلحّن قصائد لكثير من الشعراء، منهم سعيد بن عمير، وسهيل مبارك، وسجلها بصوتهِ وعزفِهِ على أسطوانات من إنتاج تسجيلات «سهيل فون» لصاحبها الفنان محمد سهيل، ثم سجّل في مرحلةٍ لاحقة لدى «زينل فون» و«هدى فون»، كما سجّل لتلفزيون أبوظبي الكثير من الأغاني ضمن برنامج «جلسات السمر»، وكما سافر الفنان المرحوم جابر جاسم إلى مصر لتعلم بعض أصول الموسيقى، سافر سعيد الشراري، رحمه الله، كذلك إلى لبنان ليتعلم المقامات الموسيقية العربية، وأصول العزف على العود.
أما لحنُ أغنية «بسمتك يا زين»، فهو من مقام راست على جهاركاه، أي راست على نغمة «فا الوسطى»[9]، وحين يكونُ الراست على نغمة «فا» فإنه يكتسبُ بعضَ الرقة، وهكذا فإن اللحنَ المختار يتناسبُ ووزن القصيدةِ المملوء بالشجن كما أوضحتُ آنفاً، والمجالُ النغمي لهذا اللحن يمتد من نغمة «فا الوسطى» إلى نغمة «ري جواب»[10]، واللحنُ الأساسي يتكوّنُ من جملةٍ موسيقيةٍ ذاتِ عبارتيْن، مَسارُهما على النحو الآتي:
العبارة الأولى هي دائماً لحنُ الشطر الأول من كل بيتٍ في القصيدة، مثل: «بسمتكْ يا زين تسوى ألف بسمهْ»، وتبدأ من نغمة «صول وسطى» فنغمة «سي بيمول جواب»[11] فنغمة «دو جواب»، ثم يعود اللحن إلى «سي بيمول جواب» لينطلقَ إلى نغمة «ري جواب» كأعلى نغمة يصل إليها اللحن، ثم يعود اللحن إلى نغمة «دو جواب» لينطلق منها هبوطاً إلى نغمتي «سي بيمول جواب» و«لا نصف بيمول جواب»، ثم ينتهي لحنُ العبارةِ الأولى بنغمة «سي بيمول جواب» ولمسة من نغمة لا نصف «بيمول جواب» مباشرةً قبل وصول اللحن إلى نغمة «صول الوسطى» التي تنتهي معها العبارة الأولى، وبهذا تُشكل العبارةُ الأولى جنس بياتي على نغمة «صول الوسطى»، وهناك لازمة موسيقية أو عنصرٌ موسيقي يتبع نهاية العبارة بعدَ غناء الشطر، هو النغمتان: «لا نصف بيمول جواب»، «صول الوسطى» كتأكيد لقرار العبارة على نغمة «صول الوسطى» التي تُسمى نغمة النوا في الموسيقى الشرقية.
ثم تأتي العبارة الثانية التي تكون دائماً لحنَ الشطر الثاني من كل بيت، مثل: «والعيون السُود والرمش الكحيلْ»، وتبدأ من نغمة «صول الوسطى» فنغمة «لا نصف بيمول جواب» فنغمة «سي بيمول جواب»، التي يُؤكد عليها اللحن، ثم يعود اللحن إلى «لا نصف بيمول جواب» لينطلقَ إلى نغمة «دو جواب»، كأعلى نغمة يصل إليها لحنُ هذه العبارة، ثم يعود اللحن إلى نغمة «سي بيمول جواب»، لينطلق منها هبوطاً إلى نغمتي «لا نصف بيمول جواب»[12]، و«صول الوسطى»، ثم ينتهي لحنُ العبارةِ الثانية بنغمة «لا نصف بيمول جواب» مباشرةً قبل وصول اللحن إلى نغمة «فا الوسطى»، التي هي قرار اللحن، وبهذا تُشكل العبارةُ الثانية جنسَ «راست» على نغمة «فا الوسطى»، التي تُسمى نغمة «جهاركاه» في الموسيقى الشرقية، وهو مقام اللحن كما ذكرتُ في بداية هذا التحليل، وهناك عنصرٌ موسيقي يتبع نهاية هذه العبارة بعدَ غناء الشطر أيضاً، وهو عبارة عن لازمة موسيقية تُمثلها النغمتان «صول الوسطى»، «فا الوسطى» كتأكيد لقرار العبارة على نغمة «فا الوسطى» التي هي قرارُ هذا المقام، وهذه الأغنية في الحقيقة من أجمل أغاني الفنان الإماراتي الراحل سعيد الشراري، ومن ألطف ألحانِهِ، وهي إحدى الأغاني المحفوظة في ذاكرة الأغاني الإماراتية، حيث تواردَ على غنائها الكثير من المطربين بعد الفنان سعيد الشراري.

---

1 - نص القصيدة مذكورٌ هنا حسبَ تسجيل أغنية الفنان سعيد الشراري.
2 - «والرمش الكحيل» هكذا في الأغنية حسب تسجيل (زينل فون) ، وفي بعض المصادر : «والرمش الطويل»، وفي تسجيل (استديو مدينة العين) : «والطرف الكحيل».
3 - هكذا غنى هذا الشطر ، وفيه نقصٌ ظاهرٌ في عَروض البيت ؛ فالعَروض في كل أبيات القصيدة «فاعلاتن»، وأصبحت «فاعلن» أو «فاعلا» في هذا الشطر حسب الغناء ، وفي مصادر أخرى ورد هذا الشطر بنص : «يا مُنى نفسي ويا بهجة فؤادي».
4 - هكذا غنى هذا الشطر ، وفيه كسرٌ ظاهرٌ في الوزن ؛ لعله من تصرّف الغناء ، وجاء الشطر سليماً في بعض المصادر الأخرى بنص : «يا غذايَ وْبلسم القلب العليلْ».
5 - في تسجيل (زينل فون): «فيك يا توّام»
6 - هكذا في التسجيل، وفي مصادر أخرى : «شوّشتني» .
7 - راجع (الشعر النبَطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية) ، د. غسان حسن أحمد الحسن ، وزارة الإعلام والثقافة ، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الثانية 2003 ، ص 346 فما بعد.
8 - وسجلها أيضاً لدى تسجيلات (استديو مدينة العين) كما تقدم.
9 - مقام الراست الأصلي على نغمة «دو الوسطى» .
10 - هناك نغمتان وُسطَيان في هذا المقام الموسيقي ؛ هما «فا» و «صول» ، أما باقي النغمات «لا ، سي ، دو ، ري إلخ» فهي تقع في منطقة الجوابات ، أي هي جوابات النغمات الوسطى» .
11 - بيمول مصطلح موسيقي يدل على أن النغمة مُخفَّضة نصفَ درجة صوتية.
12 - نصف بيمول مصطلح موسيقي يدل على أن النغمة مُخفَّضة ربعَ درجة صوتية.

فن الوَنّه

علي العشر
خبير تراث فني

فن الوَنّة هو فنٌ إماراتيٌّ أصيل، وهو في الأصل أحد الفنون المرتبطة بفن العَيّالة الذي تحدثنا عنه في مقالةٍ سابقة، لكنه يختلف في الإيقاع واللحن والوقت الذي يُؤدّى فيه، فهو فنٌّ يتميّز بطابعٍ خاص في صياغته اللحنية والإيقاعية، حيث تميلُ طبيعة أدائِهِ إلى الهدوء وتأكيد العاطفة (الرومانتيكية)، وذلك لأن الأشعارَ المستخدمة في هذا الفنّ تكونُ غزليّة المضامين والمعاني، عكسَ ما تحفلُ به أشعارُ فن العَيّالة من معاني الحماسة والمديح وذِكر البطولات، وغالباً ما تكون قصائد فنّ الوَنّة من الشعر النبَطي، خاصةً الذي تصطبغُ ألفاظهُ وعباراتهُ بمسحةٍ من الحُزن والشجَن وما يُوحي بالأنين، وهذا ما قد يفسّر أصل كلمة «الوَنّة»، فهي من الأنّة والأنين، وهذا مما يُريحُ النفسَ ذاتَ الشجون، ويمنحها الهَوَس اللازم للتسلّي، ولذلك يُقال لمَن يتغنّى بالوَنّة: «فلان يكوّس الونّات»، أي قد أخذهُ الهَوَس بفن الوَنّة، وأخذ يُبدعُ في أدائِه.

أما بالنسبة لوقت أداء هذا الفن فيكون دائماً بعد صلاة المغرب مباشرةً، وغالباً ما يُؤدّى في الأعراس داخلَ البيوت، حيث إنهُ مرغوبٌ من قِبل النساء، بسبب ألحانِهِ الرقيقة وأدائِهِ السلِس اللطيف، وكذلك بسبب الأشعار والقصائد التي تُنشَدُ فيه، فهي تُنتخبُ من أجمل القصائد الغزليّة، كما أن «الرزيف» في الوَنّة أجمل منه في العيالة، والرّزيف – بكسر الراء وزاي واحدة – أو فن «الرزفة» هو الفن الأدائي الخاص بالعيالة، وكذلك الوَنّة، حيث يُؤدّى على إيقاعها، فيتمايل الرزّافة مُلوّحين بالعصيّ التي تُسمى باللهجة المحلية «الخيازرين»، وذلك حسب مجرى ألحان القصائد والأشعار الخاصة بهذا الفن، وحسب الإيقاع أيضاً.

ولأن هذا الفن من جملةِ الفنون المرتبطة بفن العيّالة، فإن الآلات الإيقاعية المستخدمة في فن العيّالة هي ذاتها المستخدمة في فنّ الوَنّة، وهي:

1- الراس: وهو طبلٌ كبير، صوته عالٍ وقوي، وهو الأصل في ضبط الإيقاع في هذا الفن، ويُسمّى الضارب عليه: دَقّيق الراس – القاف تنطق جيماً قاهرية مشدّدة، وكل الإيقاعيين الآخرين يتقيّدون به، ويضبطون إيقاع آلاتهم معه، حتى الرزّافة بتمايلهم وحركتهم مع التلويح بالعصيّ رفعاً وخفضاً.

2- التخامير: وهي طبول يُشبه كلٌّ منها طبل الراس، لكنها أصغرُ منه حجماً، ويكون عددُها ثلاثة غالباً، ومهمتها مرافقة طبل الراس، والمساعدة على ضبط الإيقاع ولزومه.

3- السْماع/ أو الطار: وهو الرّقّ الكبير، ويُسمّى في اللهجةِ الإماراتية السْماع، بتسكين السين، وجمعهُ سْماعات، ويُسمّى في بقية مناطق الخليج الطار، وجمعه طِيران، ويبلغ عددُها في هذا الفن من 3 – 5 سْماعات أو طِيران، وهناك واحدٌ منها يُصنع من جلدٍ رقيق، يكون أرقّ من البقية، ويُسمّى هذا السْماع أو الطار المخصوص «صاقول» – القاف تنطق جيماً قاهرية – وصوته حادّ وناعم، ويُسمّى الضرب عليه الصقل، أي إخراج صوته الحاد، وبهذه الصفة تكون مهمة هذا السْماع زخرفة الإيقاع.

4- الطُّوَس: هي صنوج أو صفائح صغيرة مُدَوَّرَة من النحاس،

يُستخدم زوجٌ منها لإصدار رنين كرنين الجرس أثناء مصاحبة بقية الآلات في الإيقاع، وذلك من أجل زخرفة الإيقاع، وإكسابهِ بهجةً وفخامةً بذلك الرنين.

ومع ذلك فإن فن الوَنّة يُؤدّى بإيقاع أبطأ من فنّ العيّالة، وبنماذج إيقاعية مُحددة ومختلفة عن إيقاعات العيّالة، حتى إن الصاقول في هذا الفن له زخرفة ونقش إيقاعي يختلف عنه في فن العيّالة.

ويبدأ فن الوَنّة مع صاحب طبل الراس، الذي يوقّع ضربات تمهيديّة على طبل الراس تُسمّى «تخميرة»، لكنها تختلف عن تخميرة فنّ العيّالة، والغرض من التخميرة هو الدخول بالإيقاع حتى يقوم الشيّال بتركيب مطلع قصيدة مع لحنها الشعبي على مجرى الإيقاع، و«الشيّال» هو الشاعر الذي يحفظ ويُنشد «الشيلات»، أي القصائد والأشعار الخاصة بفن العيّالة والوَنّة مع ألحانها الشعبية، إذن، فصاحب طبل الراس يخمّر للشيّال حتى يشيل مع التخميرة، ثم يدخل معه الرزّافة بالغناء ولكن بصوتٍ خافت، إلى أن يضبطوا جميعاً اللحن على الإيقاع وينسجموا معه، بعد ذلك يدخل معهم بقية الإيقاعيين بالتخامير، والسْماعات/ الطارات، والطُّوَس، وحينئذٍ ترتفع أصوات المغنّين جميعاً، وينقسمُ الغناءُ بين مجموعتين، كل مجموعة تُغني بيتاً من القصيدة، حتى ينتهي الغناء بآخِر بيتٍ في القصيدة، وفي أثناء الغناء يتمايل الرزّافة بطريقة أجمل وألطف بكثير مما يحصل في فن العيّالة، حتى إن بعضهم يكاد يلمس الأرض بالرُّكب من شدة التأثر والهَوَس بالأداء الجميل والمميّز في فن الوَنّة.

ومن مزايا هذا الفن كذلك وجود «النعّاشات» فيه، وهنّ أربعُ أو خمسُ فتياتٍ تراوَحُ أعمارهنّ بين الثامنة والعاشرة، وينبغي أن يَكُنّ من ذواتِ الشعر الطويل الناعم لأنهنّ «ينعشن» به، أي يتمايلنَ به تارةً إلى جهةِ اليمين، وتارةً إلى جهةِ الشِّمال، ويكونُ تمايلهنّ مع زمن الإيقاع، وهُنّ واقفاتٍ في صفٍّ واحد داخلَ ميدان الأداء أمام صفوف الرزّافة والإيقاعيين في لوحةٍ فنيةٍ شعبيةٍ جميلةٍ جداً، كما يوجد في وسط الميدان أيضاً رجال يجولون بالبنادق أو السيوف أوالعِصيّ، فيما يُسمّى بـ«اليولة»، وهم «اليوِّيلة»، مفردهم «يَوِّيل».

ومن نصوص فنّ الوَنّة القصيدة الشهيرة الآتية، وهي من كلمات الشاعر الكبير سعيد بن راشد بن سعيد بن عتيج الهاملي، رحمه الله:

صاح بزقر لِمْنادي .. بخطوفه .. يوم السفن بتشل
غمّس على الفوادي .. بالكوفه .. ولا وادعه بالحل
وين اقمري لِمْجادي .. ما شوفه .. لى نوره معتزل
لى مسجني ودادي .. بكفوفه .. علّه عقب النهل
اللي قبل متبادي .. لا حوفه .. إن مَيّحن لِقذل
هو جاعد الانهادي .. لى شوفه .. ينماز ويعتزل
لو لي وجف المعادي .. بسيوفه .. عن الوصل بَوْصَل
بو خمّصٍ جلادي .. مسفوفه .. عينه هدبها امظل
تلحج حالك نفادي .. ماصوفه .. العين من تشهل
عيني وسط السوادي .. ماغوفه .. ماغوفه وتهمل
ما خص ابها هبادي .. مشحوفه .. آنس منها وَيِل
غش البصير العادي .. عن شوفه .. والعاجل ما يجهل
يا من بلي بيهادي .. في يوفه .. عوقٍ ما هو بسهل
شابك على لِفوادي .. بطروفه .. ما خلاّ لي مهل
في ظني واحتيادي .. ما طوفه .. هذا الشهر لى هَل

ومن نصوص هذا الفن أيضاً :

البارحه ساهر واجر أنا الوَنّه ..
وانحي كما الورْق والعِي جني أهاذي به[1]
يا ذيب يا اللي كلام البدو تهذي به ..
ريّح وبنشدك عن حلو التعاذيبه[2]
ريحة ثيابي سوّت لها بنّه ..
من عنبر الزرق تيري مرازيبه
يا هيه ويا هيه ويا بو قذيلةٍ هَلّه ..
لا تاخذين الردي يغويج باموالـه[3]
ما همّني شيخهم راحوا يقودونه ..
قادوا حصانٍ ما رد لهم شانه

1 - لهذا البيت رواية أخرى ، هي : البارحه ساهر واجر أنا الوَنّه .. والعِي كما الورْج والعِي جني أهاذي به .
2 - لهذا البيت رواية أخرى ، هي : يا ذيب يا اللي كلاب البدو تنحي به .. ريّح وبنشدك عن حلو التعاذيبه.
3 - لهذا البيت رواية أخرى ، هي : يا هيه ويا هيه ويا بو قذيلةٍ هَلّه .. لا تاخذين الردي يغويج بالمالي.

دراسة

محمد السويدي في مجموعته الشعرية أساور في ذراع القمر

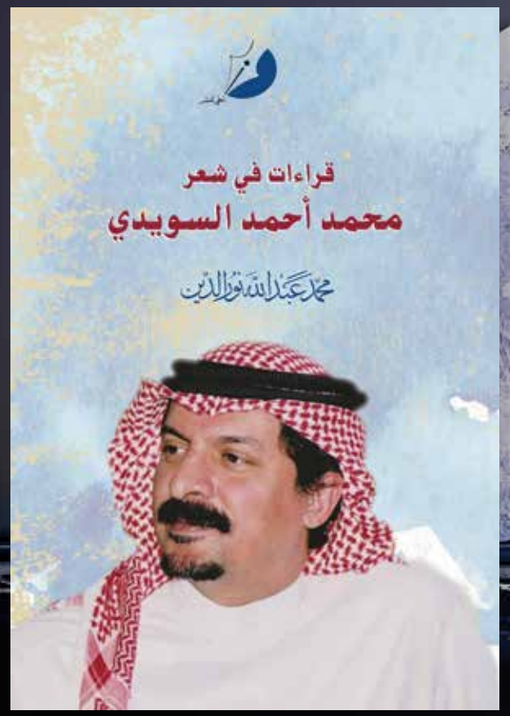

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

جاءت مجموعة «أساور في ذراع القمر»، الصادرة عام 1990، مزينة كما جرت العادة في مجموعات محمد السويدي الشعرية، بلوحة فنية لأحد الفنانين، وهذه المرة كانت لوحة للفنان إدوارد بيرن جونز، ولم يكن استفتاح الكتاب بأبيات مقتطفة من كبار الشعراء، كما اعتدنا في المجموعات السابقة، وإنما كانت الجملة الآتية هي فاتحة المجموعة الشعرية:

أتذكرين قصّة ليوناردو التي
ذكرتها لك...
أنا أيضاً آثرت النجاة بالصورة

غريب أن يكون ذلك في ديوان للشعر الشعبي المحصور تداوله بين فئة بسيطة في مجتمعاتنا، التي تُعرَفُ بالكثافة السكانية البسيطة، وفي ساحة شعرية لم تترجم منه قصائد إلى اللغات الحيّة، ولكن بالنظر إلى شخصية الشاعر ونظرته المستقبلية، فإن هذا الأمر يبدو قريباً من شخصيته، وربما يكون أمراً عادياً جداً، فهو شخصية يقرأ شعر البدوي المبدع كالهزاني وبن لعبون وغيرهما في اليوم نفسه، الذي يقرأ فيه في الأدب العربي القديم، أو آداب الشعوب العريقة والحضارات القديمة، وأيضاً قصائد موغلة في الحداثة والتجديد، لذا فإنه لا يشعر بانفصام في الشخصية، كما يحسّ أكثر المتلقين باختلافٍ بين استفتاح للمجموعة ومحتواها. وكذلك هي الأمر في نصوص المجموعة الشعرية. لنبدأ أولاً بقراءة معنوية مباشرة لإحدى القصائد، قبل أن نأخذ جولة في متنوع القصائد الأخرى.

ففي قصيدة له بعنوان: «إحساس» في هذه المجموعة يقول محمد السويدي:

عادت ليالينا غريبة حزينة في غمرة الفرحة طواها الياس

ينتمي هذا النص إلى المدرسة الشعورية في القالب النبطي من الشعر الشعبي في الإمارات، ولكن الشاعر يلجأ إلى تطوير النسق الشعوري المعروف، والذي يحدّد القصيدة في حدث معين، بطريقة سردية مباشرة، تجتمع فيه الوحدة الموضوعية والعضوية، ولهذا نجده يكتب القصيدة بنسق جديد كما يفعل الشعراء في المدرسة الواقعية التي شارك في نشأتها وترسيخها شاعرنا السويدي كذلك.

فالشاعر هنا يأخذ دور مخرج النص، بالإضافة إلى دور البطولة في التمثيل، ويبدأ برصد الحدث من نهايته، بعد انتهاء القصة بين المحب والمحبوب، لتعود الليالي حزينة وغريبة، كما أشار في مطلع القصيدة، واسترسل في شرح هذه النهاية المؤلمة، لنكتشف أحداث القصة التي لم يسردها الشاعر حتى الآن؛ فالألم أصبح أمراً واقعاً بين المحب والمحبوب، ولكنْ لم يكن ذلك لأول مرة كما يشير فعل «عادت» إلى هذا المعنى، إذن فما الجديد في هذا الألم؟ وما أسبابه الغامضة التي قد نكتشفها من خلال الأبيات؟ ولكن بالعودة إلى البيت الأول نجد الليالي «غريبة، حزينة»، وليست «غريبة وحزينة»، وحذفُ واوِ العطفِ هنا دليلٌ على تقلب الليالي بين الحزن والغربة، بدلاً من أن تكون خليطاً من الغربة والحزن أولاً، وكذلك دليلٌ على الفراق ثانياً، فالإحساس بالغربة ليس غربة الوطن، وإنما إحساس الغربة بالبعد عن المحبوب:

والشوق لي يضحك بها والسكينة تبدّلت بالهم والوسواس

وتظهر هنا لنا ملامح مهمة من الحدث الذي بدّل قمة الفرحة إلى اليأس، كما أشار الشاعر إلى هذا المعنى في «في غمرة الفرحة طواها اليأس»، أي أن المحب والمحبوب كانا يعقدان الآمال على أمر مهم جداً، لكن الآمال انقلبت إلى اليأس مرة جديدة، وقد يكون الأمل ضعيفاً جداً، ولكن الشوق هو الأمل الذي كان يحفّزهما ويطمئنهما على إدراك هذه الغاية التي لم يستطيعا بلوغها، فاهتزت ثقتهما بالواقع والمستقبل مرّة أخرى، واحتل مكان الثقة والطمأنينة في «الشوق لي يضحك بها والسكينة»، الهمّ والوسواس في «تبدلت بالهم والوسواس»، وهذا الانقلاب الكبير كان بسبب الصدمة

العنيفة التي عاشها العشاق جراء الانكسار الجديد المتجدد:

يبكي على روض الهوى ياسمينة يلغي على عطر الرضاب الكاس

هنا يبكي المحبوب لجبر قلبه المكسور، وعبَّر الشاعر عن ذلك بإسقاط هذه المشاعر على الطبيعة من ناحية؛ فالزهرة «الياسمين» تبكي لحزن المحبوب، ومن ناحية أخرى، قد تكون الياسمينة كناية عن المحبوب، وهذه الصورة المزدوجة أبلغ تعبير على عالم ملؤه الحزن والبكاء خارجياً في الطبيعة الباكية، وداخلياً في نفس المحبوب، وبينما هذه الأجواء مستمرة، يأتي الشاعر العاشق منكسراً بطريقته الخاصة، حاملاً كأسه يريد الخروج من هذه الحالة متمرداً على الواقع الذي لم يستطع تغييره من ناحية، وممتزجاً مع هذا الواقع في الشعور، لأن الكأس جاءت في أجواء العطور والرضاب التي لم تخرج عن صورة روض الهوى والياسمين المذكورة في الشطر الأول، وهنا تكمن براعة الإخراج الفني للقصيدة، وتشكيل أجواء موحدة لها، والرضاب قد يكون المطر الهاطل على الروض من ناحية، وقد يكون ارتشاف الحسرة بفقدان ريق المحبوب في صورة أخرى كذلك، وهذه الثنائية في التصوير تنقلنا مجدداً إلى حالة الاضطراب التي يعيشها الشاعر ويبدعها في القصيدة بحرفية عالية، وهذه الحرفية واضحة حين يخرج الشاعر من هذا المكان، أي من روض الهوى، ولكن بصورة متدرجة، ويجعل لها معادلاً موضوعياً بخروج المحبوب من هذه الحديقة، وهو يحمل باقة من الورد تسقط من يده، ويتركها ليأتي الناس بعد ذلك كي يدوسوا عليها كما أشار إلى هذا المعنى في البيت الآتي:

اتبعثر الورد الذي تحملينه بكرة تدوسه في الدروب الناس

لمْتك على ذاك الهوى تزهدينه حتى نما باللحظ والأنفاس

فعبور الناس غير آبهين، وهم يدوسون على الورد، يشكّل قمة الألم لدى الشاعر، كأنه يقول إن كل ما يجري بنا كعشاق، لا يمثل شيئاً لدى الآخرين، على الرغم من أن ذلك يمثل الحياة بالنسبة إلى العاشقين الذين وضعوا اعتبارات كثيرة للناس، وهم ليسوا أهلاً لهذه الاعتبارات التي فرقت بين العاشقين، وحدّدت كثيراً من تصرفاتهما، وآلت الأمور إلى ما آلت إليه. ويأتي الشاعر العاشق هنا لائماً محبوبه على ذلك، ويقول «لمتك على ذاك الهوى تزهدينه»، أي كان الأجدر ألا نحدَّ علاقتنا ونحصرها ونضع كل هذه الاعتبارات للناس، ونزهد في علاقتنا حتى يهلكنا الشوق، ويظهر ذلك في «عيوننا وأنفاسنا» كأننا نلهث عطاشى في صحراء الشوق، ويظهر ذلك جلياً في ملامحنا وحالتنا التي وصلت إلى ما وصلت إليه.

ظني بساعات اللقا يا ظنينه واتبدّلي الاحساس بالاحساس

إذن ما الحل؟ فالأمل قد تلاشى، وأصبح الوصال أمراً صعب المنال، والمحبوب كما هو لم يتغير، يريد من المجتمع أن يبارك هذه العلاقة التي لم يُكْتَبْ لها النجاح، ويأتي الشاعر المحب هنا ليضع كلمته الأخيرة للواقع الذي لم يستطع تغييره، ويقنع المحبوب بعد أن أقنع نفسه بأن الحب يبقى ولا يزول، لأنه الإحساس الخالد. ومهما كان الواقع الذي لا يتغير، فإن العاشقين يستطيعان تغيير نفسيهما بتغيير إحساسهما والتمرّد على حالة اليأس كما جاء في قوله: (واتبدل الإحساس بالإحساس)، وذلك باستغلال كل لقاء يجمع بين المحبين، ولو كانت لساعات قليلة، لكنها ساعات تغير كثيراً من حاليهما، ويعلم الشاعر كذلك أن هذا الحل لا يرضي المحبوب، ولن يقبل به، وسيبقى متألماً يعيش الفقد والحرمان، لذا فإن الحل الأخير في الأخير:

لو تجحدين الحبّ لو تنكرينه بلقاك بين الطيف والهوجاس

إنها كلمة الفصل بين العاشقين، ومحاولة لتآلف المشاعر؛ فالمشاعر بين المحبين لابد لها من التآلف، ولو كانت المسافات بعيدة بينهما، والمحبوب حين يقابل هذه الأزمة بصرامة، ويجحد الحب الذي يربطه بالمحب دائماً وأبداً، فإن المحب يتأثر بذلك، ولا يقبل أن يفقد شحنة المشاعر الجميلة التي اعتادها، ولا يقبل بالتنازل عن محبوبه، ويقول مقابلاً فعل المحبوب: «لو تجحدين الحب لو تنكرينه» بأنه سيحتفظ بمشاعره الجميلة، ويعيش مع طيف المحبوب وهواجسه وسيقابل، ألم الفراق بهذه المشاعر الجميلة التي لم ولن يتنازل عنها أبداً.

من الوهلة الأولى نظن أن المجموعة الشعرية تحتوي قصائد تنتهج المدارس القديمة، ولكننا نجد الشاعر يقدم قصائد أكثر حداثة وقرباً من المدارس الحديثة، ففي قصيدة عنوانها «سبع رسالات إلى فينوس» نلاحظ الشاعر يستخدم كلمة «رسالات» بدلاً من «رسائل» وهي أكثر تناسقاً مع آلهة الحب والخصوبة والجمال «فينوس» التي ذكرها في العنوان، وهي غريبة عن الشعر الشعبي، ونلاحظ ثانياً، أنها لا تذكر في القصيدة التي تنقسم إلى سبعة أقسام، وفي كل قسم خمسة أسطر تبدأ بكلمة «أحب»، وبذلك يريد الشاعر أن يستدرج أفهامنا إلى شخصية مختلفة، ألا وهي الآلهة فينوس، ونحن

نقرأ القصيدة بدلاً من تخيّل المحبوب، كما هو معتاد في مواضيع الشعر الشعبي، وهنا أنقل لكم القسم الأول من القصيدة:

أحب الليل، ضمّك أو تضمينه
أحب الشوق وسنينه
أحب العطر لي سميته باسمك
أحب الورد يوم انتي تسمينه
أحب الزين ما يتصنّع الزينه

لأننا بمعرفة المخاطب المحبوب أو الآلهة، فإن دلالات المفردات تختلف في أذهاننا، ومعاني الجمل تختلف في أفهامنا، ونحاول بذلك مسح ذاكرتنا القديمة المعتادة على تخيّل المحبوب وحصر الخطاب له فقط، لنلاحظ الطريقة نفسها في قصيدة «ملاك» وكأن الشاعر يخاطب المحبوب ويتغزّل بجماله، ولكنه في الحقيقة يناجي أماً ويقصد جنيناً تحمله:

أبغي ملاك
أبغيه في رقة هواك
أبغيه من زهر النجوم أثير
إذا لقيته بينهم ألقاك
أبغي ملاك
في طلعته نظرة عيونك
في طلّته عطرك ولونك
أبغيه يغفو في حشاك
أبغيه ينهل من رحيقك
أبغيه يشرب من بريقك
وغذاه... غداه ريقك
أبغيه يطلع
من سلالات الشموس
أبغيه يسطع في النفوس
في ضحكته تقرا السريره
وبلمسته يكشف
أسى العين الضريره
يجلي صدى القلب العبوسا
أبغيه لك نعم الجليسا
أبغيه يوسف في الجمال
أبغيه عيسى

أو القصيدة التعاونية التي جاءت مع الشاعر يعقوب الشامسي بعنوان «خطوة خطوة» وفيها تحس بتتابع الخطا، من خلال توزيع المفردات على المقاطع الصوتية التي تنتهي كلها بتفعيلة «فاعلاتن»:

اذكريني،
واطرقي سكة حنيني
خطوة خطوة
اعبري درب المحبة
وامسحي أهداب عيني

وقد تكون القصيدة أكثر كثافة وعمقاً، وتتعدد آفاقها كما في قصيدة «أقبل يديك»:

إذا حان موت
ويخبو من الكون صوت
وتسدل جفون
فلا والذي صاغ حبك
كلّه يهون
سوى دمعةٍ في العيون
أراها على وجنتيك
فلو شفتني في مضيق
أرى الكون ضيق
لأني جهلته أساك
وش اللي دهاك
توسّلت بك يا مليك
تبث الفؤاد الذي ذاب فيك
ويعقد حياته عليك
أقبل يديك

نلاحظ أن الشاعر في القسم الأول، يذكر الموت ويرى دموع المخاطب، وكأنه يحتضر أمام المحبوب، ولكن دون أن تكون هناك أي إشارة إلى المحتضر، بل يجرد العبارات كلها منه، فلا نعرف مصدر الصوت أو صاحب الجفون في الأسطر التالية، وبهذا يُخرج الشاعر نفسه من شخصيات القصيدة، ويتنازل عن دوره كراوٍ لها، بينما يأخذ دور المخرج ويصوّر لنا مشهد الموت، ويحسسنا بموسيقى تصويرية وصولاً للجزء الثاني من القصيدة الذي يتحدّث فيه عن ضيقه وأساه إلى أن نكتشف أن المحتضر هو «الفؤاد» الذي عقد أمل الحياة على بثّ روح الحب فيه، وكأنه يخاطب آلهة الحب فينوس، كي تنظر إلى قلبه وتخرجه من وحدته، ولكن آلهة الحب لا تقبل بأقل من قبلة على يديها، كي تنعش فؤاد الشاعر بحب جديد قبل أن تجفَّ عروقه.

شرائع عاطفية تراثية

د.منصور جاسم الشامسي
كاتب، باحث في التراث، شاعر
الإمارات

أشـعـر ابـضـربـات

أشـعـر ابـضربات في قاصي الضمير
تـخـتـبـر لـفـّاد واتـقـايـس مِـداه
من شراتي اليوم في وضعه خـطـيـر
صـابـتـه الأهـوال واتـحـمَّـلْ وِزاه
لادمـي مـطلوب في الـشدّه حذير
عـارف القـانـون في شـرح ادعـواه
لي يـبا الـحـقـوق لازم يسـتـشـيـر
يستعين ابـراي واحـد م اخـويـاه
حيث أنا لمقصود والسامع خبير
مـا يـحـق ايـقـول هـذا وش تـبـاه
وان طلبني الخل يـبـغـيـني أسـيـر
غـاية المـطـلـوب والـعـيـشـه أويـاه
عـادة الـولـهـان فـي النَّظره بِصير
يقتنص لـوقـات ساعـة مِـلـتـقـاه
شاقني المضـنـون بو خـصـرٍ فتير
كـامل الأوصاف مـعـسـول الـشفاه
بو ثـنـايـا بـيـض يـكـّات الـغـديـر
الـبَـرَدْ لي طـاح مـن عـالـي سـمـاه
العيان ادعاج والسَّيف الجِـريـر
والخدود انـعـام زادت بـه غِـــواه
والـصـدر ديـبـاج مـلـبوسه حرير
مـعـتـزل نصيَّن من عـالـي القـطـاه
لي مـشى عالأرض قـامـت تسـتجـيـر
تستغيث اتقول ما طـيـجـه وِطاه
حدٍّ ايـلـوم انـسان من حـبِّه ضريـر
من ثلاث اسـنـيـن قـوتـه ما هـنـاه
لـيـتـه إلاعاد يـبـغـيـنـي شـويـر
بستوي له طـوع يا مـر لـي يـباه
برتـحـل ويَّاه واحات خـضـيـر
وين نبع الغيل واعذاب الـمـيـاه
والعصر بـنـشـوم بـسـتـان نـضـيـر
عـنـد ذاك الـظـل لـي بارد هـواه
في ديار العـيـن والـجـاري هـديـر
يسـجي الغابات في ردأ الـضـحـاه
دار بو سـلـطـان والـراس الكبـيـر
شـيـخـنـا المقصود وافي في امعناه

الشاعر : سـالـم بن عـبـيـد

في قصيدتـه «أشـعـر بضربـات»، الشـاعـر الشـعبي سـالم عبيـد بـن سـيف العليـلي، يدمـج عاطفتـه مـع الشرائـع، ومتواشـجاً مـع الطبيعـة الإماراتيـة، راسـماً لوحـة تراثيـة جماليـة تمـزج (الحب) بالطبيعـة؛ وهـذا منهج شـعري رومانـسي يأخذ سـمة (المدرسـة الرومانسـية الشـعرية الأوروبيـة في القرنيـن التاسـع عشـر والثامـن عشـر)، حيـث الشـعراء يتماهـون مـع الطبيعـة مـن حولهـم عـبر قصائدهـم واهتماماتهـم الوجدانيـة.

الشـاعر يرسـم مسـارات أخّـاذة، حيـث (الحُـب) لـه قـدرات عـلى بلـوغ الأقـاصي في القلـب، ويعمـل عـلى اختبـاره وقيـاس قـوة القلـب في التحمـل، والصـبر، والشـاعر يشـعر بوحدتـه في هـذه (المعانـاة العاطفيـة)، ويُعـرج الشـاعر عـلى (القانـون الاجتماعـي) في وصايـاه العاطفيـة؛ الـذي فحـواه (الحـذر)، حتـى يتـم تجنـب المسـالك الخاطئـة، و(الشـورى)، حتـى تتحصـل الحقـوق، ولهـذا الشـاعر يُبـدي اسـتعداداته لمحـاورة (حبيبـه) والفـوز برضـاه، ثـم يطـرح الشـاعر قانـون عشـق آخـر، أن العاشـق حكيـم يقتنـص الفـرص المواتيـة، ثـم يدخـل الشـاعر في وصـف محبوبـه الحائـز درجـات عاليـة مـن الصفـات الجماليـة الحسـية؛ الخصـر والشـفاه، والأسـنان التـي كالثلـج والبَرَد، والعيـون السـود، والخشـم المسـتقيم، والخـدود الناعمـة، والصـدر الـذي ملمسـه حريـر، ومـماشي الحبيـب عـلى الأرض جميلـة مؤثـرة، لهـا وطـأة وثقـل تجعـل الأرض تسـتجير وتسـتغيث، ثـم يتطـرق الشـاعر إلى (قانـون عشـق آخـر) وهـو ضرورة عـدم لـوم العاشـق، ويدخـل الشـاعر بـاب الأمنيـات، مُتمنيـاً عـلى معشـوقه أن يجعلـه مُستشـاراً لـه؛ سـيغدو لـه مستشـاراً مُطيعـاً، يُخلـص لـه الـرأي، ويُسـافر معـه لفضـاءات الطبيعـة؛ الواحـات والميـاه العذبـة، (وطبيعـة الإمـارات العربيـة المتحـدة مملـوءة بالواحـات ومنابـع الميـاه الطبيعيـة عـبر التاريخ)، وهـذا لـه تأثيراتـه في الشـاعر، وفي لحظـات العـصر، وهـي أوقـات صحـو رائعـة، يقـضي الشـاعر أوقاتـه مـع حبيبـه في بسـاتين نـضرة، وهـذا التحـام آخـر مـع الطبيعـة، ويذكـر الشـاعر (مدينـة العـين)؛ الواحـة الخـضراء الحـاضرة والتاريخيـة، كمـكان يعشـقه ويذهـب إليـه ويقـضي بـه أبهـى الأوقـات، بصحبـة مـن يحـب، حيـث يتطـرق للغابـات؛ انعكاسـاً لوجـود الأشـجار الكثيفـة، و(العـين) هـي دار ومنـزل القائـد المؤسّـس الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، رحمـه الله، وبهـذا الذكـر الجميـل الراقـي العـذب، يختـم الشـاعر، قصيدتـه.

معاني المفردات

متسلسل	المفردة (اللهجة الإماراتية)	المعنى (اللغة العربية)
1	لـفـّاد	الفؤاد
2	اتـقـايـس	تقيس؛ قياس
3	شراتي	مثلي؛ مثل
4	وِزاه	عبء، هَمّ
5	لادمـي	الإنسان؛ بني آدم
6	لـي يـبا	الذي يُريد
7	وش تـبـاه	ماذا تُريد منه
8	أويـاه	معاه
9	شاقني	أشقاني؛ شقاء
10	المضـنـون	المعشوق
11	بو خـصـرٍ فتير	خصر صغير
12	ثـنـايـا	أسنان
13	يـكـّات	لؤلؤ؛ أجمل اللؤلؤ
14	غِـــواه	جَمَال
15	لـي يـباه	الذي يريد
16	بـنـشـوم	نذهب إلى
17	يسجي	يسقي

ملامح المشروع الثقافي للدكتور عبدالعزيز المسلّم[1]

د. منّي بونعامة

شغف البحّاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم حبّاً بالتراث منذ الصغر، وقد ازداد ذلك الشغف والولع والتعلّق لمّا كبر واستوى عوده، وانشغل بالتراث هوايةً ودرايةً ومعرفةً وتمرّساً، وقد كان تعلّقه بالتراث مبنياً على الوعي بالذات، وبما يرمز له التراث نفسه من عراقة وعمق يحيلان إلى الهوية المحلية، والخصوصية الثقافية في أجلى صورهما، وأوضح معانيهما، لذلك انصبت كتاباته في هذا المجال المعرفيّ المهم على محاور غاية في الأهمية والتركيز، هي: الحكاية الشعبية والخرافية، الثقافة الشفوية والذاكرة الشعبية، الشعر بفنونه وشجونه، أدب الرحلة، فضلاً عن دراسات بحثية معمّقة، ومقالات تحليلية وثّق بها ـ ومن خلالها ـ جوانب مختلفة من التراث الثقافي في الإمارات.

ومن خلال نظرة فاحصة لما أنجزه البحّاثة الدكتور المسلّم، مما يتناغم وينسجم مع حلمه الذي لازمه مذ كان شاباً يافعاً، يتلمّس طريقه في الحياة، قبل أن يستحيل إلى مشروع مبني على أسس ثقافية ومعرفية، إطاره المنافحة عن الهوية الثقافية والخصوصية المحلية، في بيئة عانى تراثها الكثير من التشويه والتزييف، عن قصد أو بغير قصد، فإننا نجد أن المسلّم كان ـ ولا يزال ـ «مهجوساً» بالتراث، شغوفاً بارتياد مجاهله ودروبه الوعرة، ولِمَ لا وهو الخرّيت العَالم بمسالك البحث وطرائقه، المسكون بحب سهوله ووهاده، الجادّ في مقاربته، والموضوعيّ في دراسته وبحثه، والمتأنّي في طرحه، والمتروّي في نشره وشرحه، دون تلكؤ أو إحجام؟! وقد بسط البحاثة ذلك كلّه في مجمل أعماله، وعبّر عنه في جلّ كتاباته، مما يساعد القارئ على فهم الأسلوب والمنهج اللذَين اعتمدهما في مختلف الموضوعات التي درسها، والقضايا التي طرقها، والتي ترتبط بمشروعه الثقافي الذي آمن به منذ الثمانينيات، وآنس فيه رشداً، فكانت قطوفه دانية، قوية غير واهية، وكان حصاد المنجز الثقافي غنياً وثرياً ويسرّ الناظرين.

لقد عنيَ البحّاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم في مقارباته للتراث بطرح العديد من القضايا الجوهرية ومناقشتها بأسلوب علمي ومنهجي، وأصدرها في كتب ودراسات على مدى ما ينوف على ربع قرن من

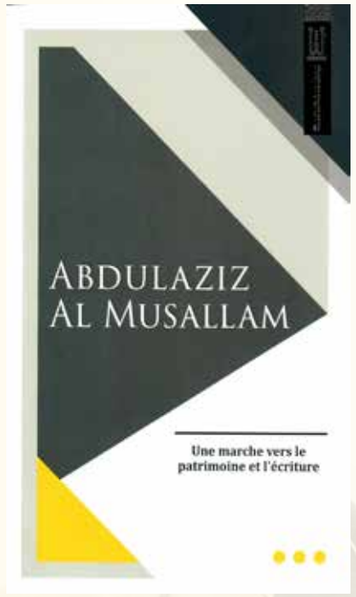

الزمان، ووثّق بها جوانب مهمة من الثقافة الشفهية والذاكرة الشعبية، وتكشف لنا كتاباته عن حسّ تراثي عميق، ووعي ثقافي راسخٍ، مكّنه من تجشّم عناء البحث، وتجاوز الصعاب، وخوض المجاهل، وطرق مباحث عصية على البحث والدراسة، وتتطلب نَفَساً عميقاً ورؤية متكاملة للتراث الثقافي بمكوناته ومكنوناته وعناصره ورموزه كافة، مستخرجاً الدرر الثمينة الكامنة فيما جمعه من موادَّ تراثية متنوّعة العناوين والمضامين؛ ذلك أن «الذاكرة الشعبية خصبة دائماً، إذا ما حملتها لغة غنية، وخيال شعبي ثري، ثم يبقى التواصل، وإن تغيرت أشكاله وقنواته، وهذا يتطلب البحث عن الينابيع وتتبعها ونقلها عبر تلك الذاكرة، لرفد مسيرة التطور، وتحديد ملامح الهوية».

وسنستعرض فيما يلي شذرات مختصرة عن أهم الموضوعات التي شغلت البحّاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، والتي سطّرها في كتبه التي نافت على الثلاثين.

الثقافة الشفهية والذاكرة الشعبية

أصدر الدكتور عبدالعزيز المسلّم في هذا الباب العديد من الكتب والدراسات التراثية والثقافية، التي شكّلت في مجملها إضافة نوعية إلى المكتبة الإماراتية والعربية، من بينها: الذاكرة الشعبية «ذكريات وطرائف وأساطير من الذاكرة الشعبية في الإمارات العربية المتحدة»، مَراود، مرامس، المعنى، الثقافة الشعبية، الأزياء والزينة في الإمارات، مدخل إلى اللهجة الإماراتية، وغيرها.

1 ـ الذاكرة الشعبية

تعتبر سلسلة «الذاكرة الشعبية» باكورة الأعمال التراثية التي أصدرها الدكتور عبدالعزيز المسلّم تباعاً، وأتحف بها الباحثين والمهتمين بالتراث وشؤونه وشجونه، وقد اشتمل الكتاب على عشرين موضوعاً متنوعة، جمع فيها بين الحكايات الشعبية والخرافية، والرموز التراثية والأمثال الشعبية، مقدّماً للقارئ خلاصة جهد كبير، ورحلة بحثية مضنية في دروب التراث الثقافي الإماراتي.

والمواضيع المطروقة هي: الأرا والأرطا، الارناك، بابا درياه، برنيوش، بنت المطر، بو الصراص، التلفزيون، الحندول، الحيرة، خريريفة، خطاف رفاي، رادو وسليمة، ربشة، الزعترة، السدرة، صرناخ، عيني عليك باردة، فيمتو، مستشفى الأمريكانية، نخيل 22.

2 ـ مَراود

يتألف هذا الكتاب من أربعة محاور: الأمثال الشعبية، الألغاز الشعبية، المعضلات اللسانية، الشعر الشعبي، ويحتوي على 444 سؤالاً تراثياً، مقسمةً بحسب محاور الكتاب، وهي فكرة ذكية لتبسيط التراث وتقريبه من أفراد المجتمع الإماراتي كافة، عن طريق السؤال والإجابة عنه، وبإمكان القارئ أن يتمرّن عليه حفظاً واستيعاباً؛ لما يحتويه من تراث متنوّع، يسافر به في أعماق الذاكرة الشعبية، وما تختزنه من أشعار وأمثال وألغاز، فضلاً عن تقويم اللسان بالأدلة والبرهان، من خلال أسئلة المعضلات اللسانية وأجوبتها.

3 ـ مرامس

يمثّل كتاب «مرامس» نزوعاً واضحاً نحو توثيق المصطلح التراثي وتأصيله، اتساقاً مع مشروع البحّاثة، الرامي إلى توثيق الذاكرة الشعبية، حيث يشي الكتاب باشتداد عوده وقوة تمرّسه وعمق فهمه بما يطرحه من قضايا جوهرية تتّصل بموضوع التراث، وذلك ما يتجلى في موضوعات الكتاب: مفهوم التراث، اللهجة الإماراتية، سوالف جدتي، مجالس، عيش، ولا قرطا، حف، عود، مواتر، مرامي، لبنان في الوجدان، القهوة، بنت التعار وبنت المؤذن، المشموم، الموز، البريد، الأمثال الشعبية، بياح، النص، رمضان، العيد الصغير، العيد العود، الضحام، زين، التومينة، بو كف، دانة، خراريف، الختمة، دبا، رطيبات، زنجبار.

4 ـ المعنى

يتناول الكتاب المفردات التراثية المستعملة في المجتمع الإماراتي، وبعض الحكايات الشعبية والخرافية والأساطير التي كانت متداولة، كما يحتوي، بين دفتيه، على أربعين موضوعاً تراثياً متنوعاً، وهي: المعنى، الموز، الضحام، المشموم، الزين زين، البيئة نخلة، سمكان، دانة، خروفة، ميلس، كف السبع، قهوة الكيف، لارنجوش، كل واسكت، معاريس، آنة، العلم عز وتراث، فاكهة الإمارات، العيد زمان، حكايات الجدات، رمضان الإمارات، رسائل قديمة، الأرا والأرطا، الأرناق، برنيوش، بنت المطر، بو الصراص، الحندول، خرريفة، ربشة، الزعترة، السدرة، الصرناخ، عيني عليك باردة، الفيمتو، التلفزيون، مواتر، رادو وسليمة.

5 ـ الأزياء والزينة

يُعدّ هذا الكتاب دراسةً رصينةً وكاشفة بمثابة الدليل الشامل في موضوعها، وتبرز مدى جماليات الزينة والأزياء على اختلاف أنواعها وتعدّد أشكالها، وتنقسم إلى سبعة فصول: يتناول الأول مميزات وخصائص الأزياء التقليدية في الإمارات، ويشمل أنواع ومسميات خامات الملابس وألوانها بالنسبة للرجال والنساء على حدّ سواء؛ ذلك أن الأزياء الشعبية في الإمارات هي عربية الأصل، خليجية النّوع، رغم تأثرها بالثقافات المادية المجاورة، بحكم القرب، أو جراء الفتوحات الإسلامية التي أدّت إلى انتقال كثير من الأزياء أو الملابس وغيرها من الثقافات المادية من بلد إلى آخر، محدِثاً نوعاً من التشابه في بعض أنواع الملابس وطرق تفصيلها وإعدادها، وما يتبعها من مكملات أخرى، وإن اختلفت مسمياتها.

كما يتطرق لفنون التطريز والتفصيل، وزينة المرأة، وأولها الحلي، حيث تحلّت المرأة قديماً بالفضة والذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة والحديد والخيوط القطنية، والعطور التقليدية وأنواعها، وعن البخور والعود وأدوات وأواني العطور، والحناء وطريقة صنعها وإعدادها، وأشكال التزيين بها... إلخ.

6 ـ اللهجة الإماراتية

يعتبر هذا الكتاب واحداً من الأعمال التراثية الميدانية المهمة، التي عكف البحّاثة على كتابتها ونشرها، من أجل تصحيح الخطأ، وتقويم المعوج، وبيان الأشابة من العريق، والغث من السمين، والصميم من اللصيق؛ ذلك أن اللهجة الإماراتية، شأنها شأن غيرها من اللهجات العربية، شهدت الكثير من التبديل والتحوير والتغيير بفعل اختلاط الألسن، بسبب الاحتكاك بالشعوب الأخرى. وقد سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان مواطن الخطأ وتسرّب الغلط إلى صميم اللهجة، وتوضيح كيفية التعامل مع تدوين المواد المتعلقة بهذا المبحث المهم، وما يقتضيه ذلك من حيطة وحذر.

ويستهلّ المؤلف ببيان ما تنطوي عليه اللهجة الإماراتية من ثراء وتنوّع في معجمها اللغوي، والخصائص الصوتية للهجة الإماراتية، من خلال التركيز على ترتيب الحروف الأبجدية، وطريقة لفظ كل حرف حسب لفظه عند البدو والحضر وأهل الساحل الشرقي في الإمارات العربية المتحدة، والاختصار والدمج في اللهجة الإماراتية، الثنائي الصحيح من الكلمات، الذي يمكن من خلاله التمييز بين الأصيل والدخيل في اللغة، والمرادفات في اللهجة الإماراتية، وصيغ الجمع، التي تعتبر شاهداً على تميّز اللهجة الإماراتية وخصوصيتها، وظاهرة الأخطاء عند الشباب، وحضور حرف الميم في البيت القديم.

7 ـ الثقافة الشعبية

يتألف الكتاب من ستة مباحث رئيسة، يرصد كل مبحث منها ملمحاً من ملامح الثقافة الشعبية وأهم منابعها التي استقى منها البحّاثة مادته التراثية والثقافية، وهي: التراث والثقافة الشعبية، الساحل (الاسم القديم لدولة الإمارات العربية المتحدة)، التأريخ في الذاكرة الشعبية، المعتقدات الشعبية والبحر، المطر: (صفاته ومعانيه وطقوسه)، المهن والحرف التقليدية في الإمارات.

8 ـ أمثال السنع

يستعرض هذا الكتاب نخبة مختارة من الأمثال الشعبية المتداولة في الإمارات العربية المتحدة، تناقلها الناس جيلاً بعد جيل، من باب حب الحكمة والموعظة الحسنة، وقد حرص الإماراتيون دوماً على تداول الأمثال؛ لما فيها من فوائد مستخلصة من الدين الإسلامي الحنيف.

يحتوي الكتاب على مائة وسبعة وستين (167) مثلاً من الأمثال الشعبية الإماراتية، موزّعة على ثلاثة محاور رئيسة، هي:

ـ الآداب العامة، وتشمل آداب المأكل والمشرب، وآداب الطريق.

ـ معاملة الآخرين، ويحتوي على آداب الضيافة وآداب الحديث والاستماع.

ـ القناعة.

الحكايات الشعبية والخرافية

تحظى الحكايات الشعبية بأهمية كبيرة في أوساط المجتمع الإماراتي، ويكاد لا يخلو بيت من ذكرها واستحضارها ليل نهار، وهي حقل غنيّ وثريّ ومتنوّع، وتؤدي دوراً بارزاً في تنشئة الأطفال، وصقل مواهبهم، وتنمية مداركهم وتربيتهم على المثل والقيم النبيلة الموروثة عن الآباء والأجداد، من خلال ما يُلقى على مسامعهم من حكايات تستحضر معاني جميلةً وقيماً أصيلة، وهي متنوعة الأشكال، بحسب النسيج أو الهيئة وحسب طريقة السرد والموضوع، كما أن المرحلة السنّية لها دور كبير رئيس في تشكيل التنوع.

وتكاد الحكاية الشعبية تنحصر بحسب البحّاثة، في الأنواع الآتية: (الخريفات، القصص، الخرافات، السوالف، قصص الأمثال، القصص التاريخية، سويلفات، القصص الدينية، حكايات الحيوان، حكايات المعتقدات، حكايات الفراسة).

1 ـ خرافات

يمثّل هذا الكتاب في الواقع دراسة في الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي، من خلال الاتكاء على ما دوّنه المؤلف وجمعه من معلومات استقاها من الثقات من رواة وإخباريين.

يتضمن الكتاب عشرين خرافة، وهي: أم الصبيان، بو السلاسل، بابا درياه، أم الهيلان، أم كربة وليفة، بعير بلا راس، بعير بو خريطة، بو راس، جني الرقاص، حمارة القايلة، خطاف رفاي، روغان، سويدا خصف، عثيون، غريب، النغاقة، الضبعة، فتّوح (عفريت القرم)، أم الدوّيس.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ليكون متاحاً للمتحدثين بها، وينمّ هذا الفعل ـ في الحقيقة ـ عن انتشار تجربة البحاثة وأعماله، التي أصبحت مقروءة بلغات أخرى غير العربية.

2ـ حكايات خرافية

يضم هذا الكتاب نخبة مختارة من الحكايات الخرافية التي اشتهرت في مجتمع الإمارات، وهي: الربان وابن الأخت، السلطان والسبع، ميره والهام، بنات واق واق، دواء الحمل، عزيز، العنزة السحرية، غدير الغزلان، بديحة.

3ـ النية ذهب

يتألف الكتاب من عشر حكايات، هي: حكمة امرأة، نصيب الحطاب، البيدار والحية، النوخذة، النية ذهب، حب الملح، زوجة الطواش، طويل القامة، نفنوف السعادة، أم حميد. ومما جاء في حكاية «النِيّة ذهب»، عنوان الكتاب: «بعد مضي شهرين باضت الحمامة بيضة زجاجية شديدة اللمعان والصفاء، ولم يكن يعرف ما هي، أخذ الحطاب البيضة إلى الصاغة ليبيعها، فلم يقدر أحد من الصاغة على تقدير ثمنٍ لها!».

4ـ غاية والحنيش

حكاية شعبية إماراتية تشبه قصص سندريلا، والجميلة والوحش، «غاية» تعيش مع خالتها الظالمة، ولا تجد خلاصها إلا عن طريق ثعبان التقته في البراري، يتبين لاحقاً أن الثعبان ما هو إلا شيخ إحدى القبائل، وقد مُسخ لأسباب انتقامية متعلقة بوالده، تنقذه غاية بقبولها الزواج منه، وهكذا يعيشان معاً في هناء.

5ـ دجاجة ميثانة

ميثانة، امرأة عجوز وحيدة، كل ما تتمناه هو الحصول على بنت، أو حتى دجاجة، كي تؤنس وحدتها وترافقها في أيام الشيخوخة. تتحقق أمنيتها، فتربي دجاجة كابنتها الوحيدة، إلى أن يأتي ابن الوالي ليطلب يدها. هل سيتزوج فعلاً من دجاجة؟ رسالة هذه القصة هي أن من عامل الآخر بلطف وطيبة يجازى دائماً بالخير؛ لذا سوف يحب القرّاء الصغار هذا الكتاب كثيراً.

6ـ كنا كنا

قصة رجل فقير يجد طائراً سحرياً يتفاءل بوجوده في بيته، لكنه يختفي، ولا يستطيع الرجل استعادة الطائر فأل الخير عليه، إلا حين يردد معه أمام السلطان اللازمة العامية الإماراتية: «كنا كنا». كتاب يُعرِّف الصغار على هذه اللازمة من الموروث الشعبي.

7 ـ أمير البحار

حكاية خيالية شعبية من تراث الإمارات، تحكي قصة صياد فقير، تمرّ عليه أيام دون أن يصطاد سمكة واحدة، إلى أن يظهر له مارد البحر، الذي يطلب يد صغرى بناته للزواج. تضحي الفتاة بحياتها ومستقبلها، وتنتقل إلى العيش في القصر السحري، وهناك تكتشف حقيقة المارد. حكاية تطرح مفهوم التضحية والقناعة، من خلال قصة جذابة بأحداثها وخيالها.

8ـ موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي

تُعدّ أول وأهم موسوعة تراثية عن الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي، جمع فيها البحّاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم كمّاً كبيراً من الكائنات الخرافية، التي شكّلت جزءاً مهماً في المخيال الشعبي الإماراتي، وأبطالها لهم أشكال مخيفة، ولهم قوى خارقة، كما أن أحداث هذه الحكايات غريبة وعجيبة، وفيها مفاجآت غير متوقعة، وترتكز على العناصر الآتية: (البحر، النخلة، البياض، السواد، الإيمان، القهر، الحسد).

ومن بين الكائنات الخرافية التي تحدث عنها: «الراعبية، السّعْلوّة، الشبيّة، الضّبّاحَة، الضّبعة، أم الصبيان، بو السلاسل، العتم، النارية، النّغّاقه، الهامة، بابا درياه، أم الهيلان، أم رخيش، أم كربة وليفة، بعير بلا راس، بعير بو خريطة، بو راس، بو سلع، جنّي الرقاص، جنّي المريجة، حصّة وعيالها، حمارة وكلاب القايلة، خطاف رفاي، روغان، سدرة الصنم، شَنَق بن عَنَق، كهف الدابة، عثيون، غريب، فتّوح (عفريت القرم)، أم الدوّيس».

الأعمال الشعرية

تتكئ تجربة الشاعر الدكتور عبدالعزيز المسلّم، على تراكم شعريّ ثرٍّ تكوّن على مدى سنوات طوال، تشكّلت فيها وعَبْرَها تجربة المسلّم الشعرية المائزة لغةً وأسلوباً، وذلك ما تعكسه بجلاء قصائده الشعرية الأولى التي حلّق فيها في عوالم الشوق والتوق، وسبح في غياهب الحب مع الصّب، وتغنى فيها بالوطن وأمجاده ورموزه، فجاءت ساحرة وآسرة بلغة جميلة وأسلوب ماتع، حاويةً ألواناً شعريةً متنوعةً تحيل إلى ملمح فريد في تجربة الشاعر.

مجموعة «سفر الليالي»، هي باكورة الأعمال الشعرية المنشورة في ديوان، تلتها مجموعة شعرية أخرى بعنوان: «بقايا الليل»، ثم «طفولة حب وسلام»، و«لحظة».

تتويجاً لتلك المسيرة الشعرية الرائدة جمع الشاعر أعماله الشعرية الشعبية بين دفتي كتاب، وضمّت 114 قصيدة متنوعة الأغراض والموضوعات، من بينها: (حروف، حلم، صورة، صباح العيد، يا عيد عود، الشمس، صارت قصيدة، ساعة، شموس الذكريات، محتار، عرب، اكتبي يا أرض، عيد الصفا، ابتسم، يا كويت، بقايا الليل، من جفاها ومن لفاها، ارحل، الضيا والليل، وغيرها من القصائد المضمّخة بالحب والجمال).

التراجم وسِيَر الأعلام

وثّق الدكتور عبدالعزيز المسلّم في كتاباته ودراساته التي رفد بها المكتبة الإماراتية والعربية سِيَرَ نخبة من الأعلام من الرعيل الأول، من المبدعين الإماراتيين، الذين فارقتنا أرواحهم، ولازمتنا أتراحهم، وتركوا بصماتهم خالدة أبد الدهر، ومن أولئك: الراوي الكبير راشد الشوق، والشاعر المفلق علي بن رحمة الشامسي، والنهام بوسماح، ورائد البريد أبو أحمد، ولفيف آخر من الأعلام الذين شكّلوا جزءاً كبيراً من ذاكرة المؤلف، وأثروا تجربته ونتاجه الثقافي.

5ـ دروب الود

يستعرض الكتاب 22 شخصية ملهمة ومؤثرة، موزّعة على أربعة دروب، وهي: درب التراث الثقافي، درب الفن والأدب، درب شعراء النبط في الإمارات، درب الأصدقاء، وهم: أحمد بن ماجد، أحمد المزروعي، جوليا موراندي، راشد الشوق، سلام الراسي، رونالد كودري، هداية السالم، عبدالله المناعي، بارعة علم الدين، عبداللطيف الصمودي، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الماجدي بن ظاهر، راشد الخضر، علي بن رحمة الشامسي، راشد بن طناف، صقر النعيمي، حمد أبو شهاب، ياقوت سيف، محمد بن مساعيد، ناصر النعيمي، عبدالله العويس، عبدالله ناصر.

أدب الرحلة

1ـ مدائن الريح.. ارتياد الآفاق واكتشاف الذات

يحتوي الكتاب على يوميات ومشاهدات الكاتب التي تحتفي بالمدن ومعالمها، وبالظواهر والوقائع التي استأثرت باهتمام رحالة أتيح له عبور المحيطات والتجوال في القارات، والتطواف في المجاهل والمجابات، ليعود من تجواله إلى مدينة القلب، مكتشفاً أن الحب الأول لا ينسى أبداً، حيث نيطت عليه التمائم في أول أرض صافحها جسمه.

كانت مدينة خورفكان الواقعة على الساحل الشرقي لدولة الإمارات مهد رحلاته الأولى في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم، ثم توالت بعدها رحلات عديدة في الكثير من الأقطار والأمصار والبلدان، من بينها: لبنان، ليبيا، سلطنة عمان، الأردن، تايلاند، الهند، مصر، المغرب، البرتغال، فرنسا، أمريكا. والمدن: بيروت، طرابلس الشرق، طرابلس الغرب، عمّان، صور، بانكوك، بنغلور، ميسور، بنديبور، حيدر آباد، دلهي، القاهرة، زنجبار، الدار البيضاء، الرباط، مراكش، الصويره، لشبونة، باريس، أطلنطا.

1 - هذه القراءة منتخبة من دراسة للكاتب تتناول بالبحث والتحليل تجربة البحاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم وملامح مشروعه الثقافي عبر أكثر من ربع قرن، مشفوعة بشهادات قيّمة وموثقة لنخبة من الخبراء والباحثين الذين واكبوا تجربة المسلّم الثقافية، وسيصدر الكتاب قريباً إن شاء الله.

2 - قام الزميل الدكتور شاكر نوري ـ مشكورا ـ بترجمة معظم هذه الشذرات إلى اللغة الفرنسية ضمن كتيب جميل وأنيق صدر عن معهد الشارقة للتراث.

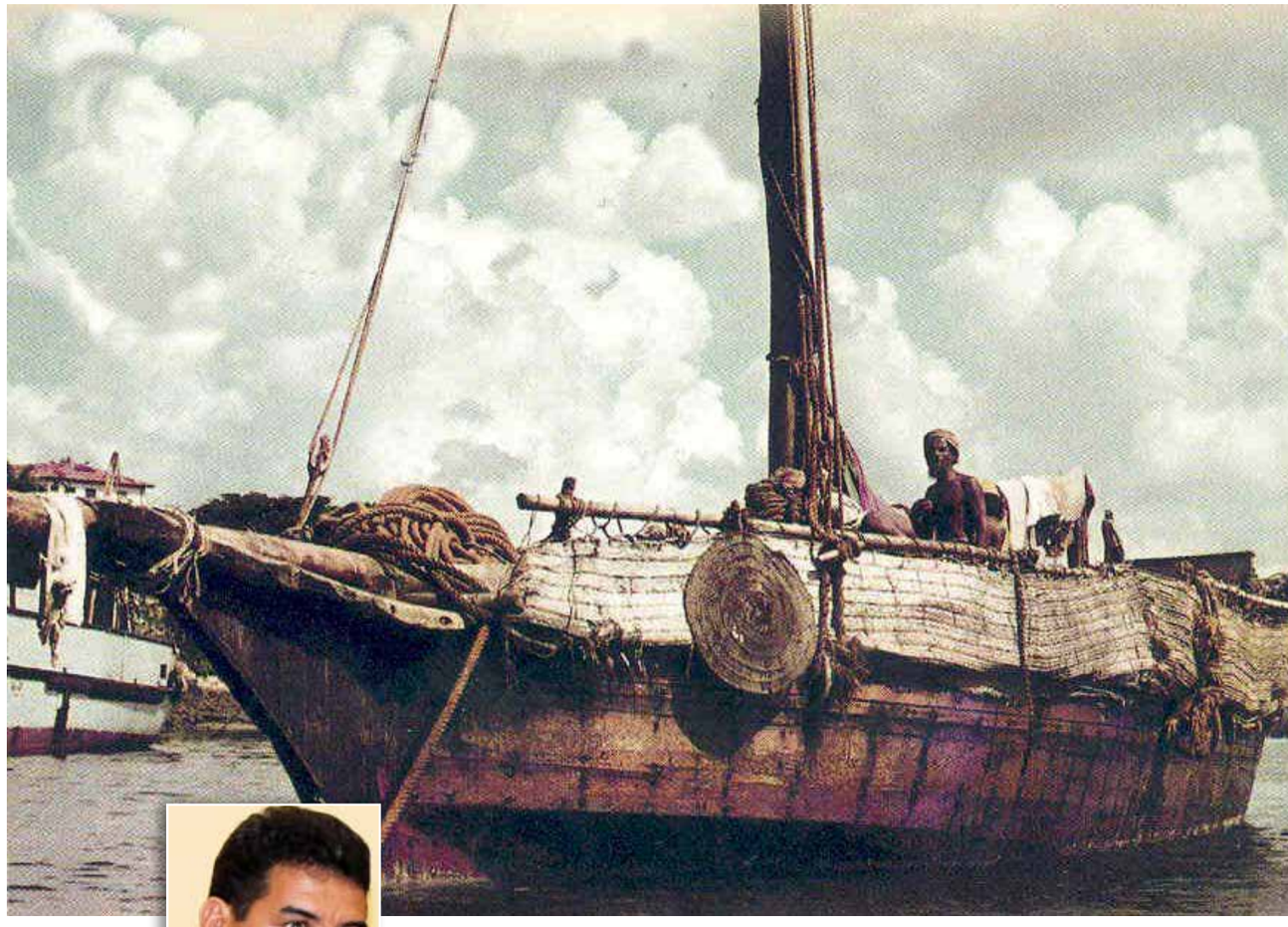

سيف بن سعيد الزبادي.. راوي تراث البحر

محمد ولد محمد سالم
كاتب صحفي ـ موريتانيا

يعود الفضل إلى «يوم الراوي» - الملتقى الدولي للراوي حالياً - في التعريف بالكثير من الرواة الإماراتيين، وتوثيق تاريخهم، وتثمين عطائهم، ومن أشهر هؤلاء الراوي سيف بن سعيد الزبادي، راوي البحر ومنشد شلاته، الذي كرّمه الملتقى عام 2007، باعتباره راوياً رئيساً قدم عن طريق مروياته جوانب مهمة من حياة المجتمع الإماراتي التقليدي، وقال عنه الباحث د. عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث في تقديمه له: إن ذاكرته الخصبة اختزنت كمّاً كبيراً ومهماً من

ذاكرة الإمارات وأحداثها ورموزها».

وسيف بن سعيد الزبادي، يعرف كل شيء عن غناء البحر والأوقات التي يغنى فيها، والأبيات التي تغنى لكل حالة، يروي تاريخ بحارة أم القيوين منذ بداية القرن حتى فترة انحسار تجارة اللؤلؤ، وتحول البحارة إلى الأعمال الأخرى، كما يروي تفاصيل حياة أهل أم القيوين في تلك الفترة، وكيف كانت المدينة يحيط بها سور كبير، ويميزها قصر الشيخ ومنازل كبار التجار والمسجد الكبير والسوق التجارية.

تتوزع بيوت السكان حول تلك المعالم، وكانت مدينة عامرة في تلك الفترة، كثيرة الحركة، وشكلت ميناء تجارياً قوياً يعتمد على صيد اللؤلؤ وبيعه في الهند ثم استجلاب أنواع التجارة من الهند، وإفريقيا وغيرها على السفن التي كان يمتلكها أهل أم القيوين، وقد شكل ذلك عامل قوة وازدهار لهذه المدينة في تلك الفترة، ويذكر الزبادي أسماء كبار تجار اللؤلؤ في تلك الفترة، ومنهم خلف بن سلطان، وجاسم بوعصيبة، وعبدالله منصور، وسيف بن عبدالله بن محمد بوهارون، ومحمد بن علي وعبدالله بن علي، وقد ازدهرت تجارتهم كثيراً، وازدهرت معها فنون صيد اللؤلؤ، وكان هناك ربابنة «نواخذة» كبار أيضاً مثل محمد وسعيد وأحمد أبناء بلقحود ومحمد عبدالرحمن خردقوه وعلي آل بومهير وسيف بن إبراهيم.

في مروياته عن تاريخ الغوص في أم القيوين والمنطقة، يوثق سيف الزبادي أسماء مناطق صيد اللؤلؤ التي كان يرتادها البحارة لغناها بمحار اللؤلؤ، ويسمى الواحد منها «الهير»، منها «هيرات أريلة» و«أبوالخشاش» و«أبوالبزم» و«العد»،

الراوي: سيف بن سعيد الزبادي..

ويصف حنكة قادة السفن في معرفة المناطق التي يتجمع ويوجد فيها محار اللؤلؤ، والطرق التي يسلكونها، ويقول الزبادي «إن الربان (النوخذة) الجيد هو الذي يستطيع أن يحدد تلك المناطق ويقود سفينته إليها»، ويتحدث عن بعض الأحداث المهمة في تاريخ المنطقة، مثل الفيضان الذي أصاب دبي، فأدى إلى هجرة سكان منطقة النيفة إلى أم القيوين، ليؤسسوا منطقة خاصة سموها النيفة، ومثل غرق إحدى السفن التجارية الكبيرة التابعة للإمارة نفسها، وكانت مبحرة من الهند ومحملة بالبضائع، فغرقت في بحر عمان، وهلك جلّ من كانوا عليها وذهبت بضاعتهم كلها، وهذه السفينة تسمى «المروتي».

كان الزبادي شاهداً على نهاية عصر تجارة الغوص، واضمحلال الأنشطة المرتبطة به، وحدث ذلك بعد الحرب العالمية الثانية عندما اخترع اليابانيون اللؤلؤ الصناعي وأقبل عليه العالم، وبدأ انحسار هذه التجارة في الإمارات، فوجد الكثير من الرجال والشباب والعمال الذين كانوا يعملون في مختلف الأنشطة المرتبطة بهذه التجارة أنفسهم بين عشية وضحاها عاطلين عن العمل، لا يملكون طريقة لكسب قوتهم، فاضطر الكثير منهم إلى الهجرة إلى الكويت والسعودية، بحثاً عن العمل، بعد اكتشاف النفط فيهما، وبدء العمل على استخراجه، وكان ذلك في منتصف القرن قبل اكتشاف النفط في الإمارات.

مارس الزبادي فن الشلات، وهو نوع من الغناء الشعبي الخليجي لا تصاحبه آلات موسيقية، ويعتمد على الغناء حسب ألحان صوتية متعددة، حسب البحور الشعرية والمناسبات التي تلقى فيها، وحسب طبقات الصوت، ويكون الدور الأساسي في الإجادة فيه لصوت المغني وطول نفسه، وأجاد سيف الزبادي كل أنواع الشلات، سواء ما ارتبط منها بالبحر والغوص، أو ما ارتبط بالمناسبات الاجتماعية الأخرى، كما مثل بلاده الإمارات ضمن الفرق الشعبية التي كانت تشارك في المهرجانات الفنية في السعودية والكويت وقطر والبحرين وغيرها.

«البروكار» الدمشقي

التاج الذي يزيّن عرش سورية

ريم الحمش
كاتبة ـ سورية

من عبق تاريخ دمشق العريق وغناها الثقافي والإنساني، وما أُثِرَ عن أهلها من عادات وتقاليد وروائع الفنون التي توارثت عبر الأجيال ظهرت عشرات الحِرف اليدوية من الفخار، والزجاج، والحلي، والمجوهرات، والإكسسوارات، وأنواع المفروشات المطعمة بالعاج والصدف والعجمي، حياكة الغزل والنسيج، فاشتهر البروكار الشامي والدامسكو، الذي منح اسمه لأقدم عاصمة مأهولة في التاريخ دمشق منتهى الدقة والإتقان وجوهر الجمال المكنون.

البروكار.. هو الاسم الذي يطلق على النسيج الدمشقي الفاخر المنسوج من خيوط الحرير الطبيعي والمطعم بخيوط الذهب والفضة لتزيده جمالاً وبهاءً، أما التعريف الفرنسي للبروكار فهو خيوط من ذهب ونار على علم.

تقول الروايات التاريخية إن أصل البروكار الدمشقي يعود إلى أكثر من ألفي عام، حيث كانت خيوطه الحريرية تستورد من الصين، ولاسيما أن دمشق كانت محطة مهمة على طريق الحرير القديم، وفي القرن الماضي وما قبله استخدم الحرفيون السوريون الحرير الذي تنتجه بلدة الدريكيش السورية، التي اشتهرت بتربية دودة القزّ، وتغذيتها بأوراق شجر التوت، ومن ثم كان الحرير المنتج يرسل إلى حلب لمعالجته وبرمه وفتله وتبييضه، ثم صبغه حسب الطلب ليكون جاهزاً للنسج في منطقة «القيمرية» بدمشق القديمة، التي سميت بالهند الصغرى، لاشتهارها منذ القدم بتجارة المنسوجات.

تعتمد صناعة البروكار التقليدية على عنصرين أساسيين: الإنسان الحرفي، والنول اليدوي، وفي بداية القرن الماضي كان في سورية نحو ألف نول يدوي، يعمل عليها آلاف الحرفيين، لكن هذه الأنوال تقلصت إلى نول واحد قديم في سوق المهن اليدوية بالتكية السليمانية في دمشق، ونولين آخرين، بينما تقلص عدد العاملين في هذه الحرفة إلى ثلاثة معلمين، وعدد من العمال لا يتجاوز العشرة، وفي المحصلة فإن الزمن لا يعود إلى الوراء، لكن البروكار الدمشقي المنسوج يدوياً لا يزال صامداً بألوانه الساحرة ونقوشه الشرقية ومطرزاته الذهبية والفضية، وهو يقاوم من أجل البقاء والاستمرار، يدعمه في ذلك حماة التراث وعشاق الإبداع الدمشقي.

أنواع البروكار وزخارفه

للبروكار أنواع تختلف باختلاف المواد المستعملة مع الحرير في عملية النسيج، فمن البروكار ما هو عادي (سادة)، ألوانه حسب الأذواق والطلب، وهذا يختلف بين دولة وأخرى، ومن البروكار ما هو مزيّن بخيوط ذهبية أو فضيّة، وقد تكون هذه الخيوط من معدني الذهب والفضة، ودور هذه الخيوط ينحصر بالرسوم وأشكال البروكار التزيينية، وتشمل هذه الرسوم أشكالاً آدمية وراقصات، ومنها ما هو نباتي أو حيواني، كالفيل والغزلان والطيور، وقد تجتمع هذه الرسوم في

مهاد نسيج واحد، فتكون الرسوم متعددة المواضع، حتى إن المرء قد لا يستطيع تمييز ذلك إلا بجهد، كما قد تكون رسوم البروكار ونقوشه مُبسّطة، والموضوع الرئيس لهذه الرسوم واضح مثل رسمة صلاح الدين في معركة حطين، وروميو وجوليت، والراعي، ونقشة السبع، ونقشة ألف ليلة وليلة، التي تروي قصص شهرزاد، ونقشة الطاووس، ونقشة الصيد والقوارب، التي تروي رحلة الصيد للسلاطين والملوك، ورسمات من تراث المنطقة تجسد بإتقان على السطح الحريري.

مراحل العمل

يتم رسم الرسمة المنتقاة على ورق ملّيمتري، ليتم بعد ذلك تدقيقها لتنزيلها على الآلة، فالنول يتألف من خيوط الشبكة الموصولة بالآلة، حيث هناك إبر أفقية وأخرى عمودية تشبك الخيوط في الآلة لإخراج الرسمة المطلوبة.

ماكينة جاكار

يتم تشكيل الجاكار من ألواح كرتونية عدة، تكون على أعلى النول، وهي متحركة بصورة مرتبطة بسنانير، والمهم هو معرفة عدد الثقوب التي تشغل السنتمتر للمربع الواحد، فعندما يدار النول فإن المكوك الخاص بالخيوط العادية يمر كالمعتاد بين الطيقان على اختلاف أنواعها، أما المكوك الخاص بالخيوط الذهبية فإن مروره يرفع سنارات لعدد الثقوب، وهكذا حتى يتم الشكل ثم يتكرّر العمل كلما تكرر الشكل. يقول حرفيون عاملون في هذه المهنة إن تبدل الأزياء أثر في صناعة

البروكار، أنه قماش نظراً لحياكته يدوياً، من متر واحد من هذا القماش في اليوم، وبالتالي فإن إنتاجه قلّ كثيراً بانخفاض عدد الحرفيين والأنوال، إلا أن الضربة الموجعة التي تلقتها حرفة نسيج البروكار كانت على يد المهندس الفرنسي جاكار، الذي زار دمشق أيام الانتداب الفرنسي على سوريا، واطلع على نول دمشقي قديم، ورسم تفاصيله، ثم عاد إلى فرنسا ليصنع آلة نسيج سميت باسمه «ماكينة جاكار»، ثم استورد بعض التجار هذه الآلة، وأصبحوا ينتجون البروكار الآلي، وهو يكاد لا يمت بصلة إلى هوية وروح البروكار اليدوي، لكن هؤلاء التجار أصبحوا يسوّقون البروكار الصناعي، ويبيعونه باعتباره يدوياً، مستغلين جهل الزبون العادي، ويضرب الحرفي أحمد مثالاً عن الفرق بين البروكار اليدوي والبروكار الآلي بالقول: إنه كالفرق بين سجادة مصنوعة يدوياً ومهارة وحرفية، وأخرى صنعتها الآلة وتفتقد إلى الروح، ويمكن أن تتكرر في آلاف النسخ، لكن الحقيقة أن هذه الآلة وإنتاجها الصناعي أضرت كثيراً بحرفة البروكار الدمشقية العريقة، وأساءت إليها.

ولاسيما مرتفع الثمن، ولاينتج الحرفي الماهر أكثر

الأوروبيون والبروكار

النخبة الأوروبية لا تزال تقدر وتعرف قيمة البروكار الدمشقي المصنّع يدوياً، فقد غزا أوروبا، وكان يعرف باسم «دامسكو» نسبة إلى دمشق، ثم عرف في إيطاليا باسم «بروكاتلو»، الذي تحول بالفرنسية إلى «بروكار» ليشير إلى هوية هذا الإبداع السوري الذي يعني اختصاراً قماشاً مصنّعاً يدوياً من الحرير الطبيعي ومطرزاً بخيوط ذهبية أو فضية، ويلاحظ أن غالبية السياح الأوروبيين الذين يأتون دمشق يسألون عن البروكار، ويتوقون لرؤية النول اليدوي الذي ينسجه، وانتقل هذا الاهتمام من مستوى الأفراد إلى مستوى الدول، فقد استضافت فرنسا أحد معلمي صناعة البروكار الدمشقي أحمد شكاكي، لمدة ثلاثة أشهر، مع نوله اليدوي، حيث أذهل الفرنسيين بما كان ينسجه، كما أن بعض النخب العربية تعرف قيمة البروكار وتقدره، فقد استضافت دولة عربية المعلم شكاكي مع نوله، وعمل هناك على إنتاج البروكار الدمشقي لمصلحة أحد القصور الرسمية.

ارتدته إليزابيث وماري أنطوانيت

يتبوأ البروكار الدمشقي مركزاً عالمياً مهماً، وقد اختارته إليزابيث الثانية، ملكة بريطانيا، لحياكة فستان زفافها، نسج خصيصاً لها من الحرير الطبيعي الموشّى بخيوط الذهب والفضة، والمحلّى برسوم نباتية خاصة، وقد نسج بروكار ثوب

الزفاف الملكي المعلم الأيوبي على نول يدوي قديم يعود إلى عام 1890، وأمضى ثلاثة أشهر حتى نسج مائتي متر منه، قدمها رئيس الجمهورية السورية آنذاك الراحل شكري القوتلي عام 1953 هدية للملكة من سوريا، بمناسبة زفافها، ولا يزال طراز بروكار الملكة بنقوشه ورسومه يحمل اسمها حتى الآن، وقبل ملكة بريطانيا تذكر الرواية القديمة أن الملكة ماري أنطوانيت، زوجة الملك الفرنسي لويس السادس عشر آخر ملوك فرنسا، كانت مولعة بالبروكار الدمشقي، وكانت خزائنها تضم 72 ثوباً منه عام 1782، ولم تكن شهرة البروكار الدمشقي ناتجة عن ولع الملكات والملوك به، بل إن شهرته العريقة والقديمة هي التي دفعت بالملكات إلى اختياره والتعلق والمباهاة به، والفستان موجود إلى يومنا هذا في متحف في لندن كتحفة فنية قيّمة.

وشاح أميّة

في سورية ينظر المسؤولون بأهمية إلى هذه الصناعة التقليدية العريقة، إذ إن وشاح أميّة، وهو أرفع وسام رئاسي سوري، هو من البروكار الدمشقي الموشّى بالذهب والمصنوع يدوياً، كما أن أرائك مجلس الشعب السوري، ومقاعد قاعات الشرف في مطار دمشق الدولي، مصنوعة يدوياً وعلى النول الدمشقي القديم، وهو ما يشير إلى أن هناك أنواعاً من البروكار، الخفيف (وزناً) يستخدم للأزياء، ولاسيما للعرائس وملابس السهرة، والوسط يستخدم لصناعة السترات، أما الثقيل منه (وزناً) فيستخدم للمفروشات وصنع الحقائب الفاخرة.

جاء في الأمثال الشعبية أمثال عدة خاصة بهذه الحرفة، منها:

كار الطاق ما بينطاق: وهذا المثل يبيّن قساوة هذه المهنة (مهنة النسيج) وصعوبتها، حتى يحصل المعلم على قطعة جميلة (فالطاق هو الخيط)، فلفه وشدّه وضمه أعمال فيها صعوبة وتعب شديدان.

يا باني حيط من خيط: أي كم هو صعب بناء الجدار من الخيوط، بل هو مستحيل، ويقال المثل في حالة تهكم من قضية يصعب حلها.

مثل مكوك الحايك: ويضرب هذا التشبيه في الإنسان المتحرك دائماً الذي لا يهدأ أبداً، فمن مكان إلى مكان، فهو يشبه مكوك الحائك الذي لا يقف إذ يمر من مكان إلى مكان بسرعة.

كذلك جاء ضمن الأغاني الشعبية الخاصة بهذه الحرفة تبين لنا سحر البروكار وعمق مدلولاته:

حبيبي جبلي ..... جبلي بروكار
حبيبي كارو ..... أحلى كار
جبلي المدهب ..... جبلي المحجب
بروكار مركب ..... وقلي سهار
حبيبي جبلي ..... جبلي بروكار
جبلي كارو أحلى كار
قلي ياحلوة ..... بروكار للحلوة
ما أحلى السدة ..... والقمر دار

من مدينة دمشق النور ذات الحضور التراثي والتاريخي النقي كانت ولا تزال تؤكد للعالم رقي هويتها, وإبداعاتها ذات الجودة والأصالة والتي تمثل عامل جذب سياحي للمزيد من قوافل السياح العرب والأجانب وتوفر لهم فرصة التعرف عليها عن طريق الحرفيون صنّاع الجمال الباحثين عن الإبداع.. المميزون عن كل البشر.. إنهم أصحاب الحرف اليدوية التي تجد فيها عبارة وعبرة ..فيها صورة و فكرة, ومن المعروف أن صورة واحدة قد تغني عن ألف كلمة إذاً لندع الكلمات والصور نفسها هي التي تتكلم و تفصح عن مكنوناتها.

السينما تخلّد جمال «تاجوج» الذي أذهب عقل «المحلق» وأرداها قتيلة

نهلة محكر

كاتبة - السودان

تلعب السينما منذ انطلاقتها في القرن التاسع عشر دوراً كبيراً كوسيطٍ ناقلٍ للثقافات والعادات والتقاليد والموروثات، وطرح الأفكار والرؤى، إضافةً إلى توثيق حياة الناس بكلياتها، والتوثيق للفنون بكل ضروبها المختلفة، واستصحاب الماضي، وإعادة محاكاة التاريخ منذ بدء الخليقة. كما أنها تقوم بتجسيد الحكايات والقصص التراثية والشعبية والأساطير، وتحوّلها إلى صور مرئية بشكلٍ مبدعٍ وخلّاق.

كانت أفلام مثل بوكاهانتس وآنا والملك وصوت الموسيقى وتايتانيك والقلب الشجاع وغيرها الكثير من عناوين الأفلام العالمية الخالدة في أذهان جمهور السينما، في الأصل قصصاً حقيقية، تناولتها السينما بالمعالجة، كلّ حسب رؤية المخرج، مع الاحتفاظ بأصل تلك القصص والحكايات. وفي عالمنا العربي لدينا الكثير من القصص والحكايات والأساطير التي تحولت إلى أفلام سينمائية، كقصة مجنون ليلى، وعبلة وعنترة، والفارس المغوار أبوزيد الهلالي والزناتي خليفة وغيرها.

وعلى الرغم من أن السينما السودانية قد بلغ عمرها مائة عامٍ ونيف، ورغم الثراء الكبير للثقافة السودانية والتراث السوداني المملوء بالقصص والحكايات التي يمكن إنتاج مئات الأفلام منها، إلا أن ما تم إنتاجه في هذه الفترة لا يرقى إلى طموح السينمائيين السودانيين، وحصل تراجعٌ كبير وتدهور في صناعة السينما السودانية، وتوقف عن الإنتاج قارب العقدين من الزمان، إلا أنها الآن عادت للانتعاش على أيدي مجموعة من الشباب المهتمين بأمر السينما.

المخرج السينمائي السوداني الراحل جاد الله جبارة، كسر بعض الجمود الذي أصاب السينما السودانية، واستلهم أشهر قصة حب في التراث القصصي الشعبي السوداني، هي قصة «تاجوج والمحلق»، وحوّلها إلى فيلم سينمائي بعنوان «تاجوج» في عام 1980، عالج فيه القصة المعروفة لهذين العاشقين، وعكس في فيلمه ثقافة وبيئة وعادات وتقاليد

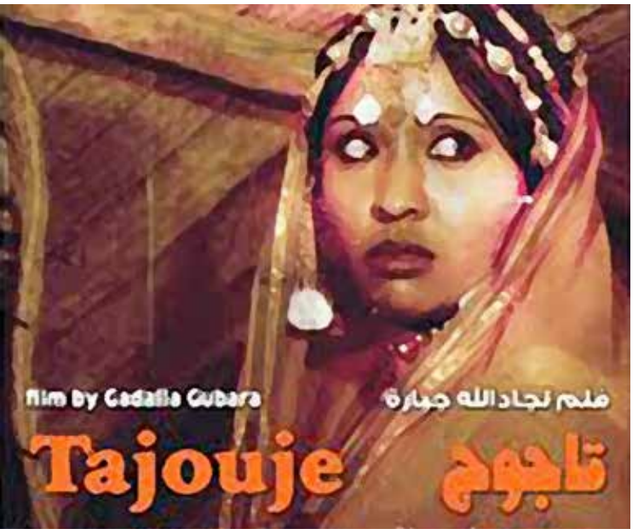

تلك المنطقة التي كانا يعيشان فيها، والفترة التاريخية التي جرت فيها أحداث قصتهما. الفيلم روائي طويل مدته نحو ساعة وعشرين دقيقة تقريباً، ومن إنتاج استوديو جاد، قصة وتوليف شابو، وقام بوضع السيناريو له جاد الله جبارة والريح عبدالقادر، قام ببطولته الفنان صلاح بن البادية في دور المحلق، والفنانة ماجدة حمدنا الله في دور تاجوج، بمشاركة مجموعة مقدّرة من نجوم الدراما السودانيين، كالفنان الراحل عوض صديق، والفنانة فايزة عمسيب، والفنان محمد شريف علي وغيرهم.

جرت قصة تاجوج والمحلق في القرن السابع عشر في شرق السودان على ضفاف نهر ستيت، قريباً من الحدود السودانية الإثيوبية الإريترية، حيث تقطن قبيلة الحمران، وقد كانت تاجوج ابنة شيخ القبيلة، والمحلق ابن أخته.

كانت تاجوج تمتاز بجمال أخاذ فاق كل بنات قبيلتها، إضافة إلى ذكائها وحلو معشرها، ومعسول حديثها. وكان الكل يود خطب ودها ونيل رضاها. ولم يكن المحلق أقل منها، فقد اشتهر بوسامته الفائقة، وكونه أحد الفرسان الأشاوس لقبيلة الحمران، كما يمتاز بصوت عذب، وكان يقول الشعر ويغنيه. لكنه، كما كثير من أقرانه يمارس عادة «النهيض»، وهي الإغارة على الآخرين وسلبهم ما يملكون من الإبل. حين وقعت عينا المحلق على تاجوج للمرة الأولى جُنّ بها، وطلب من أمه أن تخطبها له، ولم يكن يعرف أنها بنت خاله، فقد كان وأمه يسكنان حيّاً آخر. وحين طلبتها أمه من أخيها، جعل لها مهراً كبيراً، واشترط أن يترك عادة السلب، وقد وافق على ذلك، واستعان بأبيه لدفع مهرها الغالي.

لم يمض الكثير على زواجهما حتى دبت الخلافات بين تاجوج والمحلق، بسبب أنه كان يتغنى بها وبحسنها في أشعاره وفي كل مكان، حتى صارت حديث الناس، وكان ذلك من العيب عندهم، وفي يوم استبد به العشق والهيام بها، وطلب منها أن ترقص له عارية، كما ولدتها أمها، فاستهجنت الأمر، لكنه ألح في طلبه، واشترطت عليه أن يلبي لها طلباً واحداً بعد أن تقوم بذلك، وأغلظت عليه للحلف فوافق، وبعد أن لبت له رغبته، طلبت منه الطلاق، فذهل! لكنه لم يملك إلا أن يلبي لها طلبها، وخرجت إلى بيت أبيها، وخرج هو ذاهلاً هائماً في السهول، بعد أن حاول ردها مراراً وتكراراً. رقّ قلب خاله، واشترط عليه إن أراد أن يردها له أن يمتنع عن الغناء وقول الشعر فيها لمدة ثلاث ليال، وفي آخر ليلة، وحين اشتد به الشوق والهيام، وهو ساهرٌ يرقب الفجر، سمع ديكاً يصيح غير بعيد عنه، فقال:

كُر ياديك تصيح ماك البراك تعبان
ماشفت القبيل قامت من الدخان
الصادق يقول أريل مع الغزلان
والكاضب يقول خلقت بلا مصران

وزاد عليها:

فص الماظ مركب فوق مُجمَّر
وفص عينيك يا أم خشماً مُجمّر
فوق بستان تحت سالك مضمر
جليدك طاقة الجبدي المنمر

وهكذا انتقض شرط عودته لمحبوبته تاجوج، وانتهى به الأمر هائماً على وجهه، يساكن وحوش الفلوات، ويناجي تاجوجه، ويتغنى بجمالها.

ولم يكن مصير تاجوج بأحسن منه، فقد غارت عليها وعلى نساء من قبيلتها مجموعة من قطاع الطرق، حين كنّ عائدات من عزاء في أحد السادة في «فريق» مجاور، وحين علم قطاع الطرق أن تاجوج بينهن، تركوا المال والمجوهرات والذهب والإبل، وصاروا يتقاتلون عليها، حتى كادوا يفنوا بعضهم، فقام شيخهم وطلب تاجوج، وسدد لها طعنة من رمحه أودتها قتيلةً في الحال.

كثيرة هي القصص والحكايات التي يذخر بها التراث والذاكرة الشعبية السودانية، تنتظر المشتغلين بأمر السينما لتحويلها إلى صور بديعة، تخلّدها، وتحفظها لقادم الأجيال، فمن يا ترى يكون عليه الدور بعد تاجوج والمحلق؟ لربما كانت «فاطمة السمحة».

ألوان وفنون من تراث الجزائر المكنون

أ ـ نورية آيت محند
مدرس أكاديمي
معهد الشارقة للتراث

ماذا هذا العنوان؟ كان هذا العنوان شارة لحصة إذاعية دامت مدة خمس سنوات في الجزائر، وبالتحديد في إذاعة العقبان بمدينة سعيدة، وأردت أن أفيد القارئ والمهتم بالتراث المحلي والعربي والعالمي، وأن يرتوي من بحر تراث الإنسانية التي ظلت لسنين وسنين، تورّث هذا الكنز للأجيال.

سأحاول من خلال هذا العنوان أن أعرّج على الجزائر وولاياتها الثماني والأربعين، من خلال التعريف بها وبعاداتها وتقاليدها.

دعونا نبدأ بالعاصمة وتسمى الجزائر العاصمة (إيكوزيوم)، وتعني جزيرة النورس، يقال عنها أيضاً «دزاير البيضة» لبياض أبنيتها ومعمارها، هي البهجة، وتلقب بالمحروسة ومزغنة، كلها أسماء لبلد رائع بثقافته وزخمه وعراقته وتاريخه المجيد.

إن الحقل التراثي المادي وغير المادي يحاكي حنين التراث والمكنونات الحكائية والحرفية، التي تضيء سماء جزائرنا الحبيبة، وليس غريباً على تراثيات بلدنا، هذه المظاهر المعرفية المتجددة، التي تسمو بها، وخاصة المبادرات التي تغرسها أجيالنا السالفة للخلف الصالح، للقيام بالنهضة التراثية وتألقها الإنساني والمجتمعي.

تحظى الجزائر بحميمية دافئة، تجمع محبي التراث من المحاربين والمهتمين، من أجل المحافظة على الهوية الثقافية، والفنون الإنسانية، لا سيما التنوع البيئي والحرفي والمجتمعي، الذي تحظى به بلادنا من لوحات فنية حيّة، من حياة زراعية، وجبلية، وبدوية، وبحرية.

إضافة إلى المفردات ومرئيات الحكايات الشعبية، والصناعات الحرفية والمأكولات والألعاب التراثية، المنطلقة من صميم الذاكرة والموروث.

أردت في هذه المقدمة البسيطة، أن أنير عقول القارئين ومحبي هذه المجلة، التي فتحت لنا المجال للتعبير عن كل ما يختلجه الفؤاد، دون عناء، ولنفض الغبار على موروثنا وميراثنا الذي تركه الأجداد، لنتداوله بين الأجيال القادمة بكل فخر واعتزاز، كما تركه السلف للخلف.

وفي هذا المقام أردت أن أبدأ بالولاية الأولى، أو بالأحرى العاصمة، فهي كما ذكرنا تسمى المحروسة، وهي التي تحرسنا وتحرس علينا طيلة المشوار، عبر هذا التراث الخاص ببلد الجزائر، وحتى نستطيع أن نتعرض إلى كلّ الولايات دون استثناء، وسوف نتعرّف إلى كلّ ولاية وميزاتها وخصوصياتها، وكل ما يميزها عن غيرها، حتى نعرّف ببلادنا القارئ المحب للتراث العالمي، ومن خلال مجلة «مراود»، التي يقرؤها الباحثون من كلّ حدب وصوب، والتي هي فرصة سانحة للتعرف إلى الجزائر وتراثها العريق المكنون، الذي يجب أن يرى النور، ويعرّف بها كل فضولي وغيور على تراثه.

والحديث عن التراث هو الحديث عن الأشياء البسيطة، التي تربينا في أحضانها، والتي عانقتنا، وعانقنا من خلالها أفراح طفولتنا البريئة، وكبرت فينا، وأصبحت جزءاً لا يتجزّأ من حياتنا. هذه الأشياء التي نصنفها أولاً في ذواتنا، قبل أن نصنّفها في مجتمعنا ومحيطنا الذي نعيش فيه، فمهما كانت النتائج، فهي تحصيل حاصل، فما تعلمناه من المؤكد أن يظهر في المحيط المعيش بطريقة واضحة وبدهية.

والتراث هو ملاحق لحياتنا حتى نكبر، وهو غنيمة إنسانية ورثناها من ماضينا البسيط والجميل، الذي نظل نحمله في قلوبنا وذواتنا إلى آخر قطرة من دمنا، ويظل في دائرة النوسطالجيا الجميلة التي لا نريد أن نستيقظ منها، مهما حاولنا، لأنها دفينة في خيالنا المبدع، بل تتربّع على عرش الذاكرة الإنسانية الأبديّة، التي نعود إليها كلّما ضاقت بنا الحياة، والمقصود هنا حياة العصرنة والتكنولوجيا الصاخبة التي أصبحت أحياناً ترهق كاهل المحب والغيور وعاشق التراث.

وهذا ما يجعلنا نغار ونخاف على تراثنا، ونحافظ عليه خوف الاندثار والأفول.

هيا بنا ندخل إلى المحروسة بلاد سيدي عبدالرّحمن الثعالبي، سلطان لبلاد، هذا الولي الصالح صاحب الكرامات الذي بمثابة العين الساهرة على هذا القطب الرائع، وهي العاصمة، هذه المدينة التي تقع شمال قارة إفريقيا، بين تونس والمغرب، وهي من أكبر البلدان العربية والإفريقية من حيث المساحة، وهي عروس البحر الأبيض المتوسط، المطلة عليه من جهتها الشمالية، ومن شرقها تقع تونس الخضراء، ومالي والنيجر من الجنوب، ومن الغرب يقع المغرب والجمهورية الصحراوية وموريتانيا، ومن خلال هذا الموقع كانت الجزائر مهمة جغرافياً، مما أكسبها أهمية تاريخية كبيرة، وتلقب ببلد المليون والنصف مليون شهيد، لما مرّ عليها من ويلات الاستعمار الفرنسي،

كما تعتبر قطباً سياحياً مهماً جداً، نظراً لموقعها الاستراتيجي المهم، وكما ذكرنا سميّت بـ«البهجة»، المحروسة، بني مزغنة، وإيكوزيوم في الفترة الرومانية.

العاصمة: فيها ما لذّ وطاب من العادات والتقاليد، فيها من الأعراس والمناسبات السعيدة، التي تميّزها عن بقية المناطق، كما نعلم أن الجزائر متأثرة بالثقافة العثمانية التي استوطنت فيها، والثقافة الأندلسية التي استقبلتها الجزائر بعد سقوط غرناطة، وقدوم الموريسكيين للجزائر، واستقرارهم فيها، كل هذا خلق نوعاً من التزاوج والتأثر الثقافي بين هذه الشعوب التي صنعت تنوعاً جميلاً، نأخذ منه شذرات صغيرة وبسيطة من بحر كبير من التراث.

لنذهب إلى القصبة التي تتميز بطابعها العمراني المميّز والمعروفة بأزقتها الضيقة والتي يشترك فيها بعض الدول المجاورة كتونس والمغرب وحتى بعض دول الخليج العربي. وهذا ما يصنع الزخم والازدواجية والتشابه فيما بين الدول.

تعدّ القصبة الابن الشرعي للجزائر العاصمة، لأنها وديعة عمرانية من أيام الأتراك، وهي عين الجزائر والحبل السرّي الذي يربط ماضي العاصمة بحاضرها، بمجرّد أن تطأ قدماك العاصمة والقصبة بالتحديد، تشتمّ عبق الماضي في أزقتها الضيقة، ودرجها الذي يؤدي إلى مختلف البيوت ذات الطراز المعماري الجميل، فهي الوجه المشرف للعاصمة والذاكرة الممتلئة بالتراث الغني والعيشة الرضية البسيطة بساطة أهلها، وزقاقها التي تعتبر تسلسلاً جيلياً، يجمع القديم بالحديث، ويتواصل مع الحاضر، وما تعرف به طريقة اللباس، كالطربوش والسروال العربي عند الرجال والحايك، وسروال الزنقة والمدور، والبدرون ومحرمة الفتول عند النساء. كما تعرف القصبة بهندستها المعمارية من أقواس ودكاكين صغيرة وضيقة، التي تحمل بداخلها زخماً وغنى لا يستهان به من الحرف الشعبية، التي كانت توصف أو تلقّب شوارعها وأزقتها بالحرفة المنسوبة إليها، مثل زنقة النّحاسين، وهي خاصة بصناعة النحاسيات، كما يلقب في الإمارات بـ(الصفّار).

وزنقة القدّارين، أي من يصنعون القدر أو القدور، وزنقة السرّاجين، لمن يصنعون السروج وكل مستلزمات الفرس والفارس، وزنقة الحدّادين، وكل ما يخص المعادن والذهب والفضة أي زنقة الصياغين، وزنقة القنداقجية أي مكان صنع مقابض الأسلحة، وزنقة الفخارجية، وهم الحرفيون الذين يصنعون الأواني الفخارية، وزنقة العرايس، وتباع فيها كل لوازم وجهاز العروس، فكلما دخلت إلى زنقة تنسى الزنقة الأخرى، ولا تمل من السير في داخلها، لما تجده من متعة في رؤية الحرفيين وهم يبدعون ويعملون كأنهم خلية نحل متكاملة.

نخرج من الأزقة والدروب، لنذهب إلى داخل منازل القصة، لنذهب إلى داخل منازل القصبة، لنحاكي النساء العاصميات بلباسهنّ الأنيق، الذي يشدنا لمعرفة ما تخبئه من جمال وراء البدرون وسروال الزنقة والشقّة ومحرمة الفتول المصنوعة من الحرير الخالص بأنامل المرأة العاصمية التي يقال في حقها «بنت القاع والباع والخلخال مربّع»، والحايك والقويّط القوي الشاهد على أنوثة ليس على المرأة العاصمية فحسب، بل المرأة الجزائرية بصفة عامة.

فإذا دخلت العاصمة، عزيزي القارئ، تقابلك أبواب خمسة، هي:

باب الواد: وهو أحد أحياء العاصمة القديمة، التي تعتبر رافداً من روافد التراث الجزائري بامتياز، وكانت عبارة عن مرسى يشهد إقبالاً كبيراً من التجار والصيادين والسفن التي تقل البضائع، وسميّ بباب الواد؛ لأنه يوجد فيها واد يقع بالقرب من المدينة، حيث كان مصب الوادي في البحر.

باب عزّون: وهو الباب الثاني، الذي يسمى عند أهالي المنطقة بالقصبة، نسبة إلى أحد ثوار المنطقة، وهو من أهالي القصبة الذي ثار ضد الحاكم العثماني، والذي بدوره حاصر المنطقة بجيشه، وقتله في مكان يطلق عليه اليوم بباب عزون.

باب الجديد: وهو الباب الذي شيّد تسهيلاً لدخول سكان المناطق الغربية إلى العاصمة، لهذا سمي بباب جديد.

باب الجزيرة: وهو باب يسهّل دخول البحّارة من عرض البحر، وكانت تقع بجانبه ثكنات عسكرية للجيوش الانكشارية، وهي أقوى فرق الجيش العثماني.

باب البحر: ويسمى أيضاً باب الديوانة أي مخصّص للتجارة البحرية، وكان يتميّز بخمسة أجراس موضوعة على الباب، حيث كان الصيادون يدقونها إيذاناً بوفرة المنتوج البحري من شتّى أنواع السمك.

لقد عرفت هذه الأبواب بكبر حجمها وضخامتها، وكانت مصنوعة من الخشب الخالص، وبها نقوش وزخارف رائعة وجذابة، وكانت هذه الأبواب تفتح في الصباح، وتغلق في المساء، ولا تزال هذه الأبواب شاهدة على مسار حياة تراثية وعاصمية بامتياز.

تعرف العاصمة بالمأكولات الشعبية المميزة واللّذيذة، التي تحتوي على الأطباق المتنوعة، نذكر منها الرّشتة، الشوربة بيطة، الفريك، الطعام، والحلويات بأنواعها مثل مقروط المعسل، مقروط اللوز، المشوّك، العرايش، الكعك، الغريبية، البقلاوة والفانيد.

لو تكلمنا عن الألعاب الشعبية، فعلى غرار ألعاب الأطفال

العادية، تعرف العاصمة بلعبة نسوية رائعة جداً، كانت تحلّ محل التلفاز، وكانت ملاذ الفتيات ومتعتهنّ، ألا وهي «الفال والبوقالات».

وهي لعبة حكر على النساء، ومسلية جداً، تنسي عناء اليوم وتعبه، وهي عبارة عن آنية فخارية أو نحاسية، توضع فيها بعض المصوغات للفتيات، وتقوم صاحبة البوقالة بخلط المصوغات، ثم تخرج مصوغة معينة، ويلقى عليها الفال، وهو عبارة عن كلام موزون بالقافية، ويمدح صاحبة الفال، وتعطى لها بعض الإشارات لمستقبلها، وكمثال تقوم الفتيات الحاضرات بوضع عقدة في طرف الثياب أو الوشاح والسماع للبوقالة، ويقال في لعبة الفال «بسم الله بديت، وعلى النبي صليت، نطلب ربي يكملي في بوقالتي واش نويت وما تمنيت».

وتعتبر هذه اللعبة من أهم الألعاب في السهرات الرمضانية، وتقام في أسطح الدار أو وسط الدار بعد الانتهاء من العمل البيتي والتنظيف، ويسارع الجميع في تحضير أشهى الحلويات مع الشاي والقهوة والمشروبات، ومنها الشراب المحلي، الذي تعرف به العاصمة، وهو «الشاربات»، وتستعد البنات للبوقالات وسماع الفال الزين، وكمثال عن البوقالة نأخذ واحدة من ملايين البوقالات:

«بسم الله بديت، وعلى النبي صليت، ويا ربي لحنين حققلي ما نويت وتمنيت».

«السفينة اللي جات باش نكافيها، باللّوز والسكر نطعم غاشيها، وبالزبدة والعطر نطلي سواريها، ونطلب ربي لعزيز للحج يديها».. ثمّ تطلق الزغاريد للفتيات.

ما أجمل هذه اللعبة وسط فسيفساء من الأطباق الشهيّة والألبسة التراثية الأنيقة المزخرفة بشتى الزخارف والألوان الزاهية الرائعة.

كانت هذه قطرة من بحر التراث بالعاصمة الأبية، التي إذا ما دخلتها تنبهر، لما تحويه من زخم وغنى ثقافي رائع، ويعتبر فخر الجزائر الحبيبة.

نسدل الستار لندخل إلى ولاية أخرى في العدد القادم، إن شاء الله.

لنختم بما قيل عن العاصمة من المغني الشعبي عبدالقادر شاعو:

البهجة محلاها وحشها عني جار .....
ما نقدر ننساها عقلي راح معاها
شحال شافت عياني .....
من بوادي ومداني
زينهم ولا سباني .....
ماغيرلي لفكار
مكتوبي راد نختارها .....
مانفارق بهاها
نعيش في بر يسواها .....
حكمت عليا لقدار

الشيخ السويسري «إبراهيم بوركهارت» وأمثاله الشعبية المصرية

د. رضوى زكي
كاتبة وأكاديمية ـ مصر

كثيراً ما تكون المصادفة باباً واسعاً للقاءٍ غير مدبر.. ففي زيارة لأكبر شوارع القاهرة التاريخية، قادتني قدماي إلى زيارة مدافن باب النصر في صباح يوم جمعة، حيث شيوخ المقرئين الجالسين لتلاوة ما تيسر من آيات القرآن الكريم لزائري ذويهم في تلك المدافن. تشابهت كل القبور، فيما عدا قبراً مميزاً يأتي إليه الغرباء للزيارة بصفة مستمرة منذ مائتي عام (1817–2017)، على الرغم أن صاحب القبر لم يُرزق الذرية، وليس بمصري الجنسية؛ هو الشيخ السويسري «إبراهيم بن عبدالله بوركهارت».

إبراهيم بوركهارت: من سويسرا إلى بلاد الشرق

صارت بلاد الشرق منذ القرن الثامن عشر أرض الأحلام التي سعى رحّالة الغرب إلى اكتشاف سحرها ومكنونها العربي الخلّاب، وفي عام 1874 ولد بمدينة لوزان السويسرية طفل سُميّ «جوهان لودفنج بوركهارت»، كان مقدراً له أن يجوب تلك بلاد التي عشقها لاحقاً. وحين بلغ بوركهارت سن السادسة عشرة ذهب إلى ألمانيا لدراسة علوم القانون والفلسفة والتاريخ، وبعد أن أنهى دراسته الجامعية، واجه صعوبات في إيجاد عمل مناسب، فقرر السفر إلى لندن للبحث عن عمل ملائم.. فكان أن توجه اهتمامه إلى مسار آخر بعد أن قرر أن يُكّرس حياته للترحال في الأقطار العربية ومجاهل قارة إفريقيا، عقب لقائه برئيس جمعية استكشاف إفريقيا في لندن، وتكليفه رسمياً القيام برحلة إلى أعالي النيل لاستكشاف منابعه. كان من أهداف بوركهارت من أسفاره أن يصبح أول أوروبيّ يزور الحرمين، ونذر أن يسجل كتابةً ما رآه من عادات وتقاليد وثقافات شرقية، ولإتمام مهمته على أكمل وجه؛ درس بوركهارت اللغة العربية في جامعة كامبريدج بلندن.

كانت مدينة حلب هي بوابته إلى الشرق، بعد أن نصحه معلمه بالتوجه إليها، فشد إليها الرحال في عام 1809، وأمضى ثلاث سنوات، أتقن خلالها لهجتها العربية، وانفتح على ثقافتها الشرقية، وقرر التماهي لأقصى درجة مع أهل تلك البلاد، فأطلق بوركهارت لحيته، وارتدى الزيّ العربي، وأطلق على نفسه اسم «الشيخ إبراهيم بن

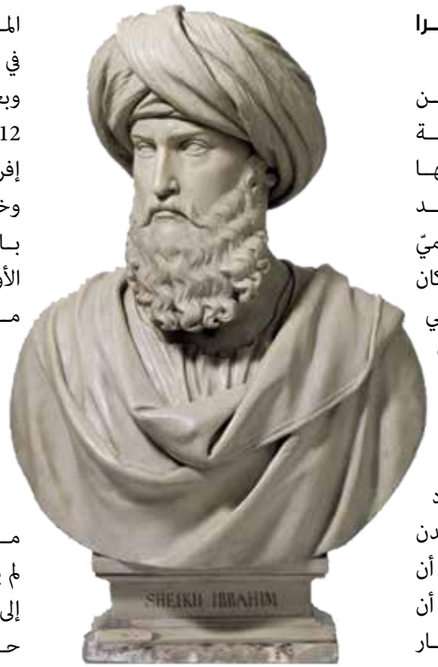

عبدالله»، بعد أن اعتنق الإسلام، ودرس القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعض العلوم الشرعية، وعاش كتاجر مسلم في سوريا.

ومن أرض حلب التي استقرّ فيها قام بوركهارت بالترحال في بين عدد من

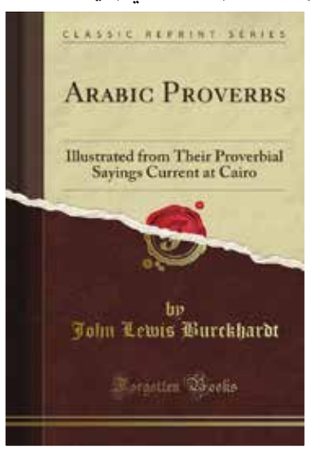

المدن السورية، كما زار المناطق الأثرية في تدمر في سوريا، وتوجه إلى العراق، وبعلبك في لبنان. وتوجه إلى مصر في عام 1812، ليبدأ بتنفيذ مهمته المرتقبة إلى إفريقيا، وفي طريقه مرّ بأرض فلسطين، وخلبت عقله أطلال مدينة البتراء بالأردن، التي كانت مجهولة للزائرين الأوروبيين، فقام بوصفها وتسجيل ما كانت عليه، فأعاد اكتشاف تلك الجوهرة المنحوتة في قلب الصحراء.

الشيخ بوركهارت في بلاد النيل

وصل الشيخ إبراهيم إلى القاهرة، ومكث فيها ثلاثة أشهر، ثم دفعه حبه للاكتشاف للذهاب إلى صعيد مصر، والتي قادته إلى عوالم جديدة لم يخطط لزيارتها؛ فمنها توجه جنوباً إلى بلاد النوبة، حيث سجل ملاحظاته حول عادات أهل النوبة، وعادات البدو في المناطق الصحراوية، كما شاهد آثار جنوب مصر وبلاد النوبة، واكتشف معبدي أبوسمبل الذي كان مطموراً تحت الرمال.

ثم انطلق من بلاد النوبة إلى مدينة جدة، ليؤدي فريضة الحج كمسلم يؤدي فروضه، واختبر إسلامه شيوخ ثقات في الحجاز، وقد أسهمت زيارة بوركهارت للحرمين المدني والمكي، في تصحيح العديد من المعلومات السائدة المغلوطة عند الأوروبيين عن الإسلام وشعائره.

عاد بوركهارت إلى مصر مرة أخرى، وطاف بمدينتي الإسكندرية وسيناء، وكانت محطته الأخيرة بمدينة القاهرة، التي ظل فيها يعاني مرضاً معوياً أصابه في الحج، إلى أن توفي في نهاية عام 1817. دفن إبراهيم بن عبدالله بالقاهرة، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية في مدافن جبانة باب النصر، ونُقش على

قبره باللغة العربية كتابات جاء فيها: «هو الصمد، هذا قبر المرحوم إلى رحمة الله تعالى الشيخ حاج إبراهيم بن عبدالله بوركهارت اللوزاني، تاريخ ولادته في المحرم 1199 من الهجرة (1784م)، وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة في 16 ذي الحجة سنة 1232هـ (1817م).

حرص بوركهارت خلال أسفاره إلى النوبة وبلاد الشام والحجاز ومصر على تسجيل أبرز العادات والتقاليد الشعبية في تلك الأقطار التي تتباين من موضع لآخر، وكتب عدداً من المؤلفات المهمة، منها: «رحلة إلى النوبة وبلاد السودان»، «رحلة في سوريا والأراضي المقدسة»، «رحلة في الجزيرة العربية»، «ملاحظات على البدو والوهابيين». كما اقتنى الشيخ إبراهيم عشرات المخطوطات العربية النادرة، ومنها مخطوط غير منشور عثر عليه مصادفة في إحدى مكتبات القاهرة، كان المادة الأساسية لكتابه البارز عن أمثال القاهرة الشعبية في العصر الحديث.

أمثال بوركهارت الشعبية في القرن التاسع عشر

أمضى بوركهارت خمس سنوات متقطعة من الترحال في مصر، ونتاجاً لمعايشته لعامة المصريين، بعد أن أمضى حياته متجولاً كبسطاء الناس، دوّن كتابه الأخير قبل وفاته بشهور، وتناول خلاله العادات والتقاليد المصرية، من خلال رصده مجموعة من الأمثال الشعبية التي وصلت لمسامعه حين عاش في العاصمة في مطلع القرن التاسع عشر. نقل بوركهارت تلك الأمثال من مخطوط يعود في الغالب للقرن التاسع الهجري، يُنسب إلى مواطن قاهري يُدعى «شرف الدين بن أسد»، فاهتم

بها، ورتبها وشرح وعلق عليها، بعد أن ترجمها إلى الإنجليزية، ووضع لها عنواناً معبراً هو: «الأمثال العربية أو شمائل وعادات المصريين المحدثين كما تصورها الأمثال العربية»، أو Arabic Proverbs، or the Manners and Customs of the Modern Egyptians.

أرسل بوركهارت كتابه إلى لندن قبل وفاته بشهور عام 1817، فيما خرجت الطبعة الأولى عام 1830، ثم ترجم إلى الألمانية عام 1834، وأعيدت طباعته عام 1875. والكتاب عبارة عن نسخة وحيدة من أقدم مجموعة للأمثال الشعبية المصرية، فقد ضاع النص الأصلي المخطوط، فيما بقيت النسخة الإنجليزية التي وضعها الشيخ إبراهيم. لم تكن تلك الأمثال سوى كلمات دون شرح أو تعليق، حذف منها بوركهارت جانباً كبيراً، لما اتسمت به من الجرأة وقلة التهذيب، وكان عددها يزيد على الألف، انتخب منها بوركهارت 782 مثلاً شعبياً. وقد لجأ إلى تفسير العديد من تلك المقولات، بسبب اختلاف اللهجة المصرية الشعبية المفعمة بالكنايات والتلميحات الجذابة، والإسقاطات المستمدة من واقع حياة أهل مصر. فتلك الأمثال التي تتردد على ألسنة العامة تعبر عن عمق حكمة وفلسفة الأحداث العابرة، وتتميز بأنها تحمل قدراً من الاتزان في الكلمات، بعبارات شعبية يفهمها ويستعملها أهل القاهرة، باستثناء الطبقات العليا التي تستهجن أن تُعبّر بطريقة بسطاء المصريين.

كان منهج بوركهارت في كتابه أن يورد الأمثال بحروفها العربية، ويصيغ معناها بالإنجليزية، ثم يقوم بالتعليق عليها وشرحها لغوياً وأدبياً واجتماعياً. ووضع تبويب الأمثال وفقاً لترتيب حروف الأبجدية العربية المبتدئة بحرف الألف إلى حرف الياء.

ولما كانت المعتقدات الشعبية في حقيقتها جوهر ثقافة أي أمة، لأنها تشكّل ما يعتقده العامة، وتوجه عاداتهم وتقاليدهم الموروثة؛ صار المثل الشعبي خير تجسيد لموروثات وحكمة السابقين، والحافظ لها عبر الأزمان، لذا، قدمت الأمثال التي جمعها الشيخ إبراهيم نماذج ثرية لعادات بسطاء المصريين وسلوكاتهم بوجه عام، وبين المصريين المحدثين بشكل خاص، وكأنها أقرب إلى حكايات الرواة الشعبيين، التي تجذب محبي الحكاية الشعبية ومدلولاتها. وعلى سبيل المثال؛ شرح بوركهارت المثل الشعبي الذي يقول: «طلع نقبه على شونة»، وأوضح أن مغزاه فشل الشخص في الوصول إلى مساعيه. وأصل المقولة أن أحد اللصوص

ثقب جداراً، ظناً منه أن يجد مخزناً للغلال، واتضح أنه مخزن للتبن الذي لا يساوي قيمة تذكر، فكلمة نقب معناه ثقب في الحائط، وشونة أي مستودع مكشوف تحفظ فيه الحبوب.

صارت حصيلة تعليقات الشيخ إبراهيم على الأمثال المصرية في القرن التاسع عشر نموذجاً لنظرة الآخر الغربي على تفاصيل المجتمع الشرقي الشعبية، في بلد يتمتع بخصوصية ثقافية وحضارية.. فاستطاع أن ينقل عبر تلك المأثورات بملاحظاته الثاقبة لمحة من ملامح الحياة في المجتمع المصري، فلم يكتفِ بالتسجيل العابر أو التدوين المقتضب؛ بل حاول دراسة عادات وتقاليد المصريين، وتفسير أبرز ظواهرها.

هكذا قام الشيخ إبراهيم بوضع كتاب مهم يعبر عن نبض عامة المصريين، ويبرز نمط حياتهم المتوارث، وأسهم بشرحه تلك الأمثال وتوثيقها في أن يصونها من الاندثار. لقد أولى «السويسري المسلم» العادات والتقاليد المحلية عنايته في البلاد التي حلّ فيها، وفي مصر كانت تجربته أشد ثراءً، على الرغم من قصر مدتها لاحتكاكه بعامة الناس، ما مكّنه من نقل لسان حالهم في كتابه عن الأمثال الشعبية المصرية، الذي عكس رغبة توّاقة في الاختلاط بالعامة، وعشق لكل ما هو شرقيّ، خلال أسفاره التي امتدت ثماني سنوات (1809-1817)، ليرقد جسده في مدفنه بالقاهرة، تاركاً خلفه إضافة للثقافة العربية والإسلامية بوجه عام، وللثقافة الشعبية بوجه خاص.

بالرجوع إلى:

جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية

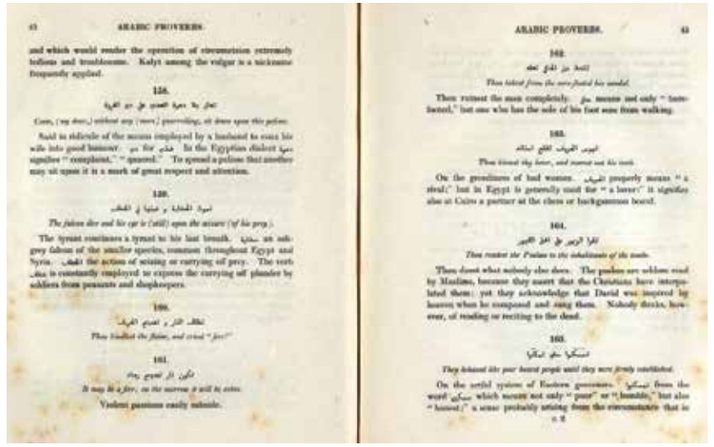

في عهد محمد علي، ترجمة د.إبراهيم أحمد شعلان (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2000).

فاطمة أحمد إبراهيم، «رحلات بوركهارت لجمع المأثورات الشعبية العربية»، مجلة الفنون الشعبية: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، العدد 34 (ديسمبر 1991)، ص 120-134.

عبدالهادي التازي، «الاستشراق والتأليف المعجمي: بوركهارت دفين مصر عام 1817نموذجاً»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 116 (2009)، ص 30-31.

حضر ندوة التراث العربي

نصير شمة: أشعر بين أوتار العود وأنغامه سرد حكائي بمثابة التاريخ

حوار: ظافر جلود

كان حضور الموسيقار العراقي نصير شمة عازف العود العالمي الشهير، جلسات ندوة التراث العربي التي أقيمت مؤخراً في الشارقة، قد أثار الاهتمام، وربما ردات فعل الحضور، فحضور الموسيقى في ملتقى يبحث في شؤون التراث العربي لها من الدلالات العميقة التي يريد من خلالها فنان بمستوى نصير شمة أن يعبر عن جدلية الموسيقى بالتراث منذ عهود قديمة عاشت الموسيقى كتوأم مع روح الطراز المعماري واللوني في حضارة العرب القديمة والحديثة.

لم يكتفي الموسيقار شمه من ترك انطباعات حضوره، بل قدم في احدى جلسات الندوة مداخلة عن علاقة الموسيقى بالتراث، بما في ذلك عمق الآلات الموسيقية التي حكت عبر اوتارها قصص الحكايات.

كانت فرصة لمجلة «مراود» ان نسجل معه هذا الحديث وان كان مختصرا بعض الشيء بسبب انشغالاته.

• اكيد هناك رابط عضوي بين الموسيقى والتراث؟

- نعم، وذا كان الدافع الذي جئت من اجله لجلسات هذه الندوة الذي اعتقد انها فرصة نادرة للحديث عن جذور علاقة استمدت وجودها من حضارة عظيمة سادت معظم الدول العربية، فالموسيقى لديها إحساس بجمال المكان لتعبر عن جمال الروح، فكلما تقاربت هذه المكونات الحسية مع بعضها تركت عبق تأثيرها على المتلقي، كذلك تركت اثرا لا يمكن محوه.

• وهل كان للورقة التي قدمتها دلالات هذه الحضارات؟

- اكيد ، لقد قدمت سردا عن صراع الموسيقى العربية من اجل وجودها الحضاري ، وركزت على العود كونه استطاع ان يحافظ على كينونته العربية ، لقد أسست فرقة عيون لموسيقى الصالة العربية على غرار موسيقى الحجرة العالمية، وصارت «عيون» من أكثر الفرق العربية حضورا لأنها استطاعت أن تعيد للموسيقى أوج بريقها من خلال المزج بين الكلاسيكية والحداثة، وقدمت «عيون» حفلاتها في أماكن

الموسيقى لديها إحساس بجمال المكان لتعبر عن جمال الروح وعمق التراث الإنساني

كثيرة من العالم، ومثلت موسيقى العالم العربي في فرانكفورت، كما افتتحت مهرجان رافيينا الموسيقي في ايطاليا، وعزفت المجموعة على أكبر المسارح العربية والعالمية وقامت بعدة جولات كان آخرها جولتها في بولندا، وحققت نجاحا كبيرا أيضا في جولتها في عدة مدن يابانية. وكذلك فرقة «تخيل»، كما أسست أول أوركسترا تضم عائلة العود ووصل عدد أعضاء الفرقة إلى خمسين عازفا وعازفة، وفرقة أخرى لعازفات العود، لكي احقق حلمي بأن يصبح العود آلة قائدة لآلات العالم، كون العود من أقدم الآلات الموسيقية التي رافقت مراحل حضارتنا ومنذ زرياب.

غرقت في قراءة ابن عربي وابن الفارض والسهروردي ورابعة العدوية، وكذلك بالحلاج، ورحت أغرف من المعاني الدالة في الصوفية لكي أحولها إلى عالم متحرك عبر الموسيقى

• وهذا متاتي من احساسك ومتانة ثقافتك، متى بدا هذا الاهتمام؟

- منذ طفولتي اوليت أهمية للثقافة في حياة الإنسان، واسست نهجا لا يكتفي بثقافة الموسيقى ولا بسقفها الجميل، بل تجاوزته لأقرأ في كل شيء، وفي مختلف العلوم والثقافات، ولأن معاهد تدريس الموسيقى لم تكن معنية إلا بتعليم الموسيقى وعلومها، فقد أسست لطلبتي مكتبة ثقافية غنية، وأضفت لبيت العود صرحا ثقافيا من خلال ندوات أسبوعية يعقدها الطلبة ونستضيف بها شخصيات ثقافية ذات انتماءات فكرية مختلفة، وصارت هذه الندوات نفسها محل إقبال لجمهور كبير وذواق يرغب في المعرفة. هكذا أكدت على قيمة المعرفة الشاملة والتي هي العمود الذي يمنح الفنان والمثقف الثقة خلال وجوده على المسرح.

• وهل كانت للموسيقى دورا في الحفاظ على الجنس الادبي التراثي العربي؟

- نعم الموسيقى حفظت لنا ذلك الالق ،فعازف العود كان من الأهمية بمكان في زمن ازدهار الحضارة العربية من السومريين والاموين

والعباسيين حتى الأندلس وغيرهما ،لدرجة أنه كان يأتي مباشرة بعد حاشية الملك الخاصة، في حين أنه لا يمكن أن يتم توصيف شخص ما على أنه عالم أو فيلسوف إلا إذا كان متقناً وملماً بفنيات الموسيقى، فقد دخلنا الأندلس بالسيف وخرجنا منها أيضا بالسيف، ولم يبق فيها خالداً ما يحيل إلى الحضارة العربية إلا شواهد تلك الحضارة، ممثلة في الفنون والآداب، كما أن تاريخ العرب المعاصر يشهد اهتماماً أكبر بالعمران، يقابله تضاؤل الاهتمام بالثقافة والفنون، بما في ذلك الجانب الروحي لبناء الإنسان، وهو ما يتبدى في أحد مظاهره في تفاقم ظاهرة التلوث السمعي المرتبط بغياب الذائقة الجمالية القادرة على تذوق النص والموسيقى الجيدين، ما يعني الوقوع في فخاخ

الموسيقى حفظت لنا ذلك الألق، فعازف العود كان من الأهمية بمكان في زمن ازدهار الحضارة العربية من السومريين والأمويين والعباسيين حتى الأندلس

النص الرديء الذي تصاحبه أيضا موسيقى رديئة .

• ولماذا العود بالذات؟

- من خلال حلم، عملت على رعايته منذ الصغر، صارت آلة العود الشرقية حاضرة جنبا إلى جنب مع أكثر أغلب الآلات العالمية المعروفة. إضافة إلى التعمق بالعزف على آلة العود أسست أسلوبا خاصا في العزف صار يعرف باسمي، ومن خلال هذا السعي لتكريس العود فتعمقت في قراءة ابن عربي وابن الفارض والسهروردي ورابعة العدوية وكذلك بالحلاج، ورحت اغرف من المعاني الدالة في الصوفية لكي احولها الى عالم متحرك عبر الموسيقى، لذلك فان الاطلاع والبحث والقراءة في أصول تراثنا العربي خلق لدي قدرة على التخيل الموسيقي.

• وهل تشعر بان المتلقي يشعر بكلمة موسيقاك؟

- يولد عندي واشعر به بين أوتار العود وأنغامه، كان سردي الحكائي بمثابة التاريخ الذي أكتبه عبر الموسيقى، وليس التاريخ على ورق، لان الموسيقى في أحيان كثيرة هي ذات فعل سحري أخاذ، وتمثيلاً لكل افتتحت أول فرع لبيت العود العربي في القاهرة، ليبدأ هذا الحلم بالتبلور يوما بعد يوم، والآن أصبح الحلم حقيقة بعد أن افتتحت عدة فروع في مناطق مختلفة من العالم كان آخرها فرع بيت العود العربي في أبو ظبي التي أسست لجمهور عالمي يتذوق آلة العود ويبحث عنها، ومن خلال هذه البيوت تخرجت عازفات وعازفين ينتمون لجنسيات مختلفة منها الأوروبية والأمريكية والعربية.

• لكنك كثير الاهتمام بالشعر والموسيقى الصوفية؟

- هذا سؤال مهم، انا مغرم بالشعر الصوفي كثيرا وربما بسبب طبيعة أسرتي المتدينة وطبيعة منظوري للموسيقى، فتعمقت في قراءة الطرق الصوفية وما اشتق منها فيما بعد، وتعرفت على سيرة الصوفيين الكبار

طرقه إلى السلام، اوقد به فتيل عودي المثمن الذي أضاف نغماً لملامح إنسانية تطلق عبير الحريات دونما دماء أو إقصاء للآخر، بل تحقيقا لتوازن نفسي وذائقة راقية واستمرارا لملحمة التعايش، مما يعني أن الحروب وإن طالت لن

ادعو إلى عودة الآثار التي نهبت والمنتشرة في أغلب متاحف العالم.. أن تعود إلى بلدانها الأصلية، لأنها بالتالي تاريخ هذه الشعوب، وسجلها الحضاري والإنساني

تستطيع أن تنزع آثار بذور الحضارة الحقيقية التي تبني الإنسان.

• وهل مكنت تجربة نصير شمه ان تكون له اسلوبية واضحة؟

- ان تطبيق نظرية الأسلوبية في الأدب على الموسيقى والفنون قائمة ومتجذرة، لأسباب كثيرة أولها وأهمها أن الفنون والموسيقى خاصة تبرز فيها الأسلوبية بطريقة أكثر تمظهرا ووضوحا من بقية الفنون، وأضيف للموسيقى الرسم، منطلقا من أن حاستي السمع والبصر ربما تكونا من أسرع الحواس عملا في جسد الإنسان، وهناك بعض النماذج الفنية التي صنعت لها أسلوبا وشكلت تيارا كبيرا، كالرحبانية وفيروز الذين قاموا بتأسيس تيارا كاملا في الموسيقى جرف الكثيرين الى بريق دائرته ولكنه ظل يقف متميزا وبهوية أسلوبية لم يستطع حتى أكثر مقلديها جدارة أن يتمايز داخلها بصنع أسلوبيته الخاصة».

• أخيرا كيف وجدت هذه الندوة وحضورها المتميز؟

- كانت ندوة رائعة وقد حرصت على حضور اغلب جلساتها، كانت ذو فائدة عظيمة تعلمت منها، لكن بالتالي كنت ادعو وأتمنى ان تقف الجهات المسؤولة والمشاركة في هذه الندوة من حكومات ومنظمات عالمية تهتم بالآثار والتراث ان تدعو الى عودة الاثار التي نهبت والمنتشرة في اغلب متاحف اوربا وأميركا وان تعود الى بلدانها الاصلية، لأنها بالتالي تاريخ هذه الشعوب وسجلها الحضاري والإنساني.

ولد نصير شمه في مدينة الكوت جنوب بغداد بالعراق عام «1963»، وأخذ أول دروس العزف على العود من أستاذه الأول صاحب حسين الناموس. أنهى دراسته الجامعية في معهد الدراسات الموسيقية «النغمية» في بغداد عام 1987. بعدها أصبح تخصصه العزف على آلة العود، وفي سنة تخرجه حاز شمه على جائزة أفضل لحن للأغنية العاطفية في العراق، وقدم حفله الأول في ملتقى الموسيقى العربية الأول في فرنسا مع نخبة من كبار فنانين العراق.قدم أول حفلاته الموسيقية المنفردة في العراق باكرا جدا على مسارح العراق وكان أشهرها حفلته التي قام بها في قاعة الاورفلي في بغداد عام 1985 ،وبعدها تعددت حفلاته خارج الوطن العربي حتى أصبحت تصعب على الحصر، ثم أنجز شمه العود المثمن عن مخطط للفارابي عمره ألف عام وقدمه للمختصين في العراق في حفل كبير عام 1986. وضع الفنان العالمي نصير شمه عددا كبيرا من الألحان لآلة العود وآلات مختلفة أخرى مثل القانون والقيثارة، كما وضع الموسيقى التصويرية لعدد كبير من الأعمال المسرحية والسينمائية والتلفزيونية والروائية القصيرة والوثائقية، ونال جائزة أحسن موسيقى من مهرجان البحر المتوسط في فرنسا عن فيلم «أحلام». وحصل نصير شمه على عدد كبير من الجوائز والتكريمات عربيا وعالميا، وصار العود اسما مرادفا له، وجاءه التكريم الأخير من مؤسسة الفكر العربي التي منحته جائزة الإبداع الفني، وسبقه حصوله على لقب سفير الشرق إلى الغرب من قبل وزارة الثقافة الألمانية.

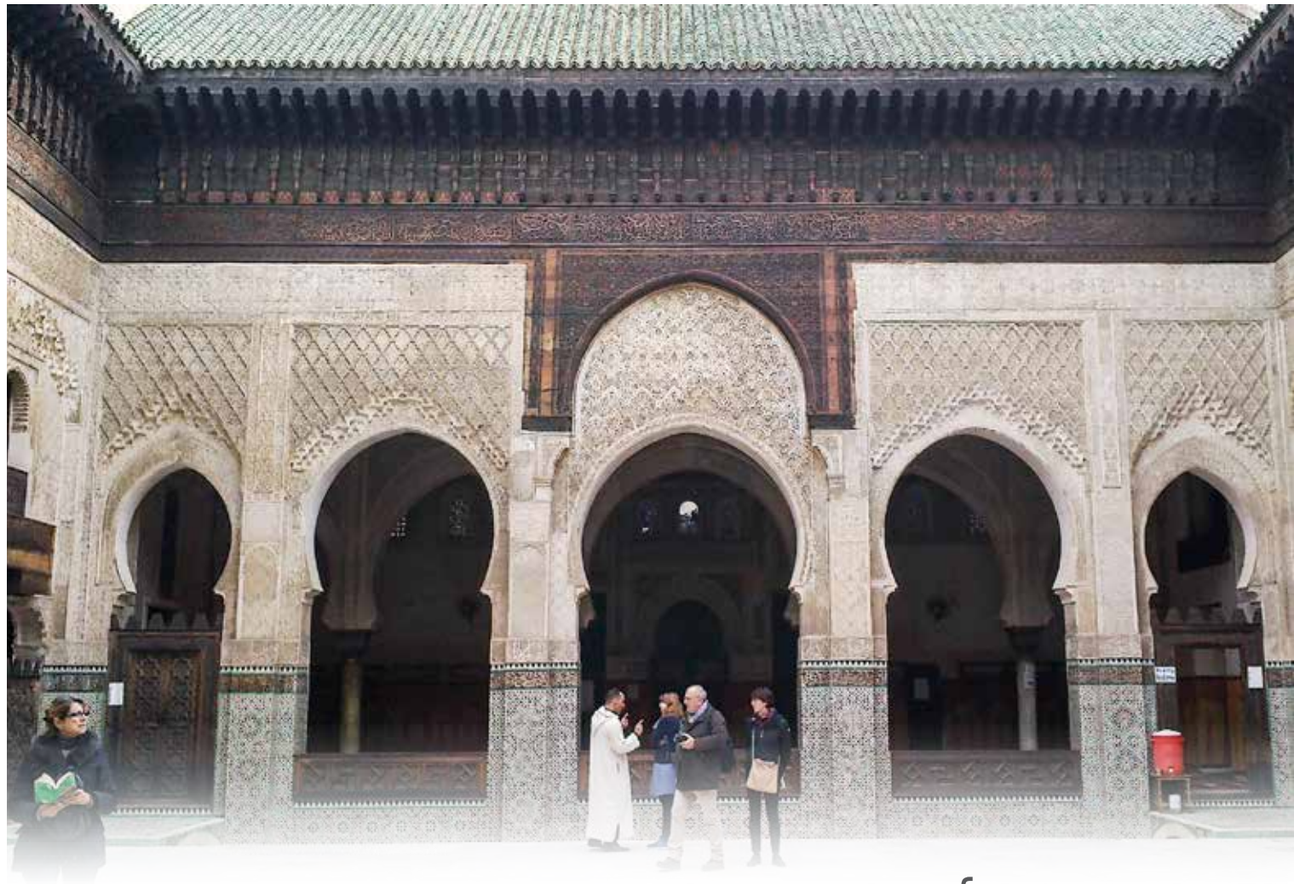

الزليج الأندلسي المغربي

رامي ربيع عبد الجواد
كلية الآثار ـ جامعة الفيوم/ مصر

للحضارة الأندلسية مكانة كبرى بين حضارات العالم الإسلامي، كما أن لفنونها جاذبية وجمالية أضفت على آثارها المادية مزيداً من مظاهر الثراء والترف، والعظمة والجلال.

كان من بين هذه الفنون التي أضفت على عمائرها تلك المظاهر، فن الزخرفة بـ«الزليج»، وقد عرّفه ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/ 1348م)، ضمن حديثه عن مدينة فاس خلال العصر المريني، بقوله: (وتفرش بالرخام دياراتهم وبالزليج، وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملون كالقاشاني، بأنواع الألوان البيض والسود والأزرق والأصفر والأخضر، وما يتركب من هذه الألوان، وغالبه الأزرق الكحلي). كما

وصفه المقري التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)، ضمن حديثه عن فضائل بلاد الأندلس بقوله: (ويصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي، يشبه المفصص، وهو ذو ألوان عجيبة، يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم).

من خلال هاتين الإشارتين يتضح أن فن الزخرفة بالزليج شاع بكل من بلاد الأندلس والمغرب على السواء، بل وكان من خصائصهما على خلاف بلاد المشرق، على أن الشواهد المادية التي ترجع إلى فترات مبكرة منذ عهد الخلافة الأموية بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس، وكذلك وجود مراكز لإنتاج الخزف في ذلك العهد بكل من مدينتي ألبيرة، والزهراء وغيرهما، تحمل على الاعتقاد بأن انتشار الزخرفة بالزليج في بلاد المغرب، إنما كان أحد مظاهر التأثيرات الأندلسية، لما كان بينهما من ترابط حضاري واسع المدى خلال العصور الإسلامية المتعاقبة.

في جولة سياحية داخل أروقة وأبهاء قصور الحمراء بغرناطة، يندهش المرء من تلك الجماليات الفنية الرائعة التي تكسو الجدران والحيطان، وكأنها أستار حريرية مسدلة، مزركشة بأعجب ما يكون من أنواع النقش والزخرف، يلعب فيها الزليج دور البطولة في تكسية المستويات الدنيا من تلك الحيطان، بشتى الزخارف النباتية، الهندسية، والكتابية، وبمختلف الألوان البراقة الزاهية، لوحات (1، 2)، وقد عبر عن ذلك وزيرها ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1375م)، عند وصفه مشور قصر الحمراء، بعد ما تم بناؤه بقوله: (تفننت فيهما الصنائع، وتعدّدت الأشكال والفصوص، ولطفت النقوش، وتناسبت الأصباغ، وماج بحر الزليج في جميع حيطانها).

يؤكد بعض الباحثين على ازدهار صناعة الزليج بقصور الحمراء في غرناطة على عهد بني نصر، بل تصديرها له إلى الأسواق الخارجية بصورة مرتفعة، وفيما يتعلق بالزخارف، فإن البعض يؤكد كذلك على ظهور أشكال هندسية جديدة، لم يعثر لها على أي نظير في أي من المعالم الأندلسية الأخرى، أما الألوان، فيشير بعض المتخصصين إلى ظهور ألوان جديدة منذ عصر بني نصر بغرناطة، لم تكن معروفة من قبل، خاصة فيما يتعلق باللون الأزرق ومشتقاته، لوحات (3، 4)، وهكذا يتبين ذلك التطور الكبير الذي حظي به فن الزخرفة بالزليج بقصور الحمراء على عهد بني الأحمر بغرناطة.

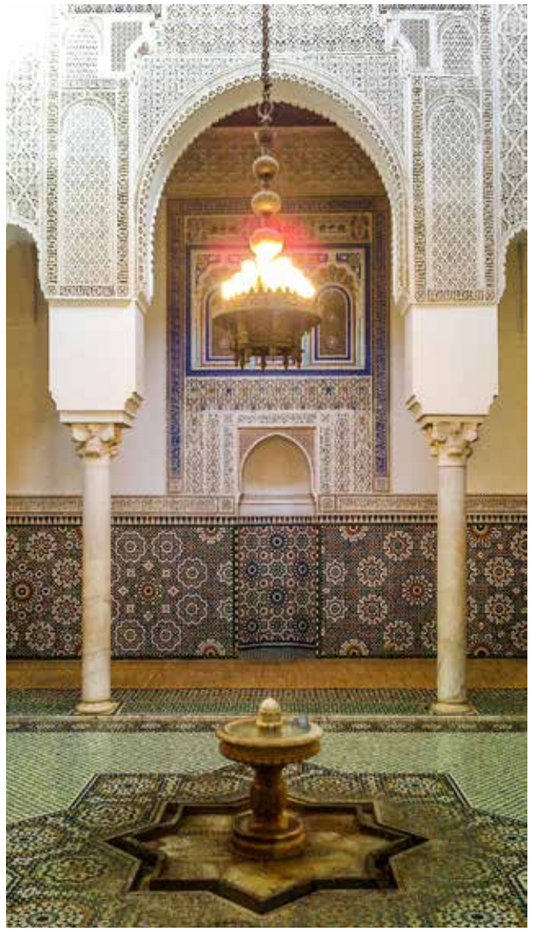

إذا ما عبرنا المضيق (مضيق جبل طارق)، وانتقلنا إلى بر العدوة من أرض المغرب، ثم تجولنا بين دروب وأزقة حواضرها الكبرى مثل مراكش، فاس، ومكناس وغيرها، ووقفنا على مآثر تلك الحواضر، فلا نكاد نجد أثراً يخلو من زخرفة الزليج، فها هي صومعة (منارة / مئذنة) جامع الكتبية بمراكش، شامخة راسخة، دالة على عظمة دولة الموحدين، بجمال فنها وبديع زليجها، لوحة (5)، وهناك قريبا منها بالجانب الآخر من المدينة، صومعة جامع القصبة، تلفت الأنظار باتزانها وانسجامها، وروعة زركشتها الزليجية، لوحة (6).

أما في فاس، حاضرة بني مرين، فالحديث يطول به المقام والمقال عن عرائسها التي قل نظيرها في أي قطر من أقطار

المغـرب، تلـك الـصروح العلميـة (المـدارس)، التـي جمعـت بـين صفـاء الـروح وجـمال المـادة في آن معـا، فجـاءت حافلـة بشـتى أنـواع النقـش والزخـرف، غايـة في الأبهـة والجـلال، ففـي مدرسـة العطاريـن (أعجوبـة فـاس)، كـما وصفهـا بعـض الرحالـة الأوروبيـين، يستشـعر المـرء وكأنـه لا يـزال هنـاك بـين أروقـة وأبهـاء قصـور الحمـراء، لوحـات (7، 8)، ومـن خـلال إطلالـة عامـة مـن صحـن (فنـاء) المدرسـة البوعنانيـة، يجـد الزائـر نفسـه حائـراً إلى أيـن يطلـق بـصره؟! وفي أي جهـة يمعـن نظـره؟! فقـد ألبسـت الحوائـط مـن ألـوان النقـش والزخـرف بالزليـج – فضـلاً عـن الجـص – مـا يجعلـه هائمـاً عـلى وجهـه، لا يـدري إلى أيـن يذهـب؟! وفي أي موضـع يسـتقر؟! لوحـة (9).

إن مـن أهـم مـا تتسـم بـه زخرفـة الزليـج في هـذه المدرسـة البوعنانيـة، هـو أن تكويناتهـا الزخرفيـة الهندسـية جـاءت مماثلـة لنظائرهـا في قصـور الحمـراء بغرناطـة، كأحـد الأدلـة الماديـة عـلى تأكيـد مـا سـبق طرحـه مـن أن فـن الزخرفـة بالزليـج كان أحـد مظاهـر تأثـيرات الحضـارة الأندلسـية في الحضـارة المغربيـة، وذلـك عـلى يـد الفنانـين الأندلسـيين، العاملـين في بـلاط حـكام بنـي مريـن.

مـن جانـب آخـر، فقـد أُطّـرت تلـك المسـتويات الدنيـا مـن تكسـيات الزليـج الدائـرة بصحـن المدرسـة مـن جهاتـه الأربـع بـإزار مـن الكتابـة الشـعرية، في مـدح تلـك المعلمـة وبانيهـا أبي عنـان فـارس بـن أبي الحسـن المرينـي (749 – 759هـ/ 1348 – 1358م)، منفـذة كذلـك بالزليـج، باللـون الأكحـل – الـذي ألمـح إليـه ابـن فضـل اللـه العمـري في كلامـه السـابق ذكـره – وذلـك وفـق أسـلوب فنـي يعـرف بـ«الزليـج المقـشر»، لوحـة (10)، وهـذا الأسـلوب يرجـح أنـه لم يعـرف ببـلاد المغـرب إلا مـع العـصر المرينـي، كأحـد مظاهـر التأثـيرات الأندلسـية الغرناطيـة في العـمارة والفنـون المرينيـة، ومـما ورد بهـذه الأبيـات الشـعرية بصحـن المدرسـة البوعنانيـة:

الحمد لله

ألا سـرح جيـاد اللحـظ حينـا ... تشاهد حسن ما به تعجبونا
فـربعـي في قـرار الأرض صـار ... وحيـدا في البـهـاء بدا يقينـا
وتحسـدني المـدارس في انتمـائي ... إلى خـير الملـوك الأكرمينـا
تـأمـل بهجتـي وانظـر جمـالي ... ومـا رقمتـه أيـدي الكاتبينـا
ترى الشكل البديع في حسن وضعي ... وما أبـدت بـراعـة أجمعينـا
وزادني رونقـا إذ صـرت مـأوى ... لطـلاب العلـوم المهتـديـنـا

آتـيـــه إذ أرى حـــــولـــي ... بدورا من العلماء والمتعلمينا
فرسـم العـلـم بي والـديـن بـاق ... على الـدوام يـرى مصـونـا
فهـــل مـن راغـب في العـــز ... (...) ينـال منـــاه فينـا

انتهـت دولـة الإسـلام في الأندلـس بسـقوط مملكـة غرناطـة عـام (898هـ/ 1492م)، كـما انقضـت الدولـة المرينيـة – حاملـة مشـاعل الحضـارة الأندلسـية الغرناطيـة – عـام (869هـ/ 1464م)، ومـع هـذا وذاك فلـم يتوقـف فـن الزخرفـة بالزليـج عـن مسـاره الفنـي، فقـد حافـظ عليـه حـكام دولـة السـعديين، الذيـن أعقبـوا حـكام دولـة المرينيـين، بمـا توفـرت عليـه حواضرهـم الكـبرى – عـلى مـدار خمسـة قـرون عـلى أقـل تقديـر - مـن ورش فنيـة ومعلمـين مهـرة في هـذا المجـال، فضـلاً عمـن أتي إلى تلـك الحـواضر المغربيـة مـن الأندلسـيين المهاجريـن بعـد سـقوط دولتهـم، ممـن كان لهـم الأثـر الأكـبر في اسـتمرار تلـك التقاليـد الفنيـة الخاصـة بهـذا الفـن بعمائـر الحـكام السـعديين، الذيـن عملـوا في بلاطهـم، ولا تـزال نقـوش قبورهـم بحاضرة مراكـش – مـما يـلي الجهـة القبليـة مـن جامـع القصبـة الموحـدي – شـاهدة عـلى ذلـك، لوحـة (11).

مـن بعـد العـصر السـعدي تـأتي دولـة العلويـين – التـي مـا زالـت إلى الوقـت الحـاضر – وفـن الزخرفـة بالزليـج لم يـزل يحظـى بالانتشـار في حـواضر ومـدن المغـرب كافـة، عـلى شـتى العمائـر مـن مسـاجد، مـدارس، دور، قصـور، سـقايات، حمامـات، وعمائـر دفاعيـة وغيرهـا، يخطـو في ذلـك خطـاه في السـابق، مـع بعـض التطـورات القليلـة في الأشـكال الهندسـية، والزخـارف النباتيـة، والألـوان المسـتخدمة، لوحـة (12)، وذلـك منـذ عهـد موطـد أركان هـذه الدولـة، السـلطان المـولى إسـماعيل بـن الشريـف العلـوي (1082 – 1139هـ/ 1672 – 1727م)، ليعكـس هـذا في النهايـة أحـد مظاهـر الوحـدة الفنيـة العامـة بـين كل مـن بـلاد المغـرب والأندلـس.

د. فراس الطرابلسي
المعهدالعالي للموسيقى/جامعة صفاقس
firas.trabelsi@isms.usf.tn

«الجُرّادْ» لون غنائي نسائي بدوي تونسيّ: خصوصيّاته وامتداداته العربيّة

1- على سبيل التقديم

يُعتبر «الجُرّاد» من بين الأنماط التراثية المنتشرة في أرياف عديد الجهات من البلاد التونسية، وخاصّة منها السّاحلية والجنوبية - الشرقية، وهو خاصّ بالنّساء، ولا يعتمد ضوابط القواعد الشعرية للـ«ملحون»، بل ينفتح على هامش متّسع لحرّية القرض الشعري، فتجد فيه المرأة «الغنّاية» مُتنفّساً للتعبير عن واقعها بأفراحه وأتراحه، فتنقد وتستحسن وتستغرب وتخاف وتضحك الآخرين بشِعرها، اعتماداً على خريطة لحنية - إيقاعية محدّدة.

ويعتبر الجُرّاد نمطاً غنائيّاً سائداً لدى قبائل المثاليث (من ولاية صفاقس وجهات الساحل التونسي عموماً). وكذلك بمجال «نفزاوة» في الجنوب التونسي، وبعض المناطق الجبلية (مطماطة مثلاً).

كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذا اللّون الغنائي في الجنوب التونسي (خاصّة في تطاوين) تختلف ألحانه باختلاف الأطر التي يؤدّى فيها، فتكون خفيفة في الأطر الاحتفالية، وتتسم بالشجن عندما تصاحب الأعمال اليومية أو الفلاحية.

من هذه المنطلقات يحقّ للقارئ في هذه الورقة أن يتساءل عن خصوصيّات «الجُرّاد» الموسيقية بعيداً عن التّوصيف الوجداني والمواقف الانطباعية، إذ ما هي أبعاده الاجتماعية؟ وهل يمكن أن نجد له صدى في ثقافات عربيّة أخرى؟

2- الجُرّاد: بين المعنى اللغوي والدّلالة الاصطلاحية:

جاء في معجم «المُحكم والمحيط الأعظم» لابن سيّده (ت.458هـ) في مادّة [ج ر د]:

- «جَرَّدَ الكتابَ والمصحف: عرّاه من الضبط والزّيادات والفواتح، ومنه قول عبدالله بن مسعود، وقد قرأ عنده رجل، فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: جرّدوا القرآن».
- «جَرَدَ الجرادُ الأرضَ يَجْرُدُها جرداً: احتنك ما عليها من النبات، فلم يُبق منه شيئاً».
- «الجُرَادَ، والجُرَادَةُ: اسم رملةٍ بأعلى البادية».
- «جَرَادَة: اسم امرأة ذكروا أنّها غَنَّتْ رِجَالاً بعثهم عاد إلى البيت، يستسقون، فألهتهم عن ذلك، وإيّاها عَنى ابن مقبل بقوله:

سِحْراً كما سَحَرَتْ جَرَادَةُ شَرْبَهَا بغرور أيّام ولهو ليالِ».

- «الجَرَادَتَان: مُغنّيَتَانِ للنُّعمان».

أمّا في مجال الشعر الملحون، فإنّنا نجد جذر الكلمة [ج ر د] يتشكّل في مصطلح «الجريدة» التي هي عبارة عن مجموعة أغصان تضبطها قواعد في القافية، تكوّن ما يُسمّى بالدّور أو الجريدة، ويختلف عددها حسب القالب الشعري (مثل الملزومة والمسدّس وغيرهما).

وأمام قلة التعريفات لمصطلح «الجُرّاد» من قِبل عدد من الباحثين في طبيعة الممارسات الغنائية النسائية، نحاول فيما يلي فهم دلالاته انطلاقاً من المعاني اللغوية الكثيرة لجذر الكلمة [ج ر د]، بما يمكننا من إيجاد تبرير له على المستوى الاصطلاحي، إذ لا يمكن أن «تخون» الطبيعة اللغوية للمصطلح مستويات توظيفه في المجال التطبيقي. وبالتالي يمكن اختصار تعريفات «ابن سيّده» في الرسم البياني التالي، حسب ترتيب مخصوص اخترناه:

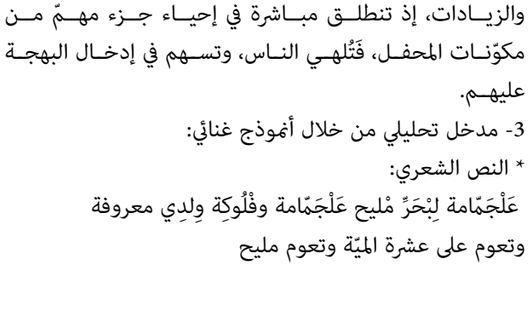

شكل.1: ضبط بعض معاني الجذر اللغوي لكلمة [ج ر د]

فلو حاولنا إيجاد خيط رابط بين هذه التعريفات، لاكتشفنا أنّ النمط الغنائي المُسَمّى بـ«الجُرّاد»، الذي نحن بصدد استقرائه موزيكولوجيا، ينطلق بالضرورة ممّا تدلّ عليه جلّ هذه التعريفات مجتمعة، إذ تأخذ الممارسة من كلّ تعريف بنصيب ممّا يجعل الجُرّاد متهيّئاً على النحو الآتي:

- نمط غنائي تغنيه امرأة تنتمي إلى البادية، وتكون معروفة بصوتها الجميل وقريحتها المتميّزة في نظم الشعر بصفة حينية، تُغنّي في كلّ الموضوعات، ولا تتوانى عن وصف المحاسن أو النقد أو الترحيب أو وصف الناس وطريقة عيشهم، وذلك بمعجم لفظي ينطلق من الحياة العامة وواقع الناس حولها، فتغيب عن نصوصه الشعرية الفواتح والزيادات، إذ تنطلق مباشرة في إحياء جزء مهمّ من مكوّنات المحفل، فَتُلهي الناس، وتسهم في إدخال البهجة عليهم.

3- مدخل تحليلي من خلال أنموذج غنائي:

* النص الشعري:

عَلْجَمّامة لِبْحَرّ مْليح عَلْجَمّامة وفْلُوكِة وِلدِي معروفة

وتعوم على عشرة الميّة وتعوم مليح

صورة.01: غناء الجُرّاد باستعمال التصفيق
بين الغناية وإحدى خمّاساتيها

وسنقتصر في هذه المداخلة على نمط الجُرّاد الموحّد، من حيث أداؤه، وتختصّ به عروش المثاليث في جهات السّاحل التّونسيّ. وسنحاول من خلال السّمع، وخاصّة التّدوين الموسيقي المصاحب استقراء «الوثيقة الموسيقية»، حتّى نتمكّن من الذهاب إلى استنتاجات ذات بعد موضوعي، نأمل أن تحاكي ما لا يمكن اكتشافه بسهولة، من خلال دراسة معاني الألحان وظروف نشأتها.

صورة.02: غناء الجُرّاد في جبال مطماطة (وتظهر فيه الدّربكة)

تتكوّن الوثيقة السّمعية - البصريّة التي جمعناها من خلال تسجيل ميدانيّ خاصّ، من لحن أساسي لا يتجاوز مسافة الرباعية انطلاقاً من درجة اليَكاه نحو درجة الرّاست.
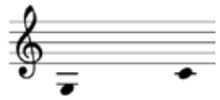
علماً أنّ درجة الارتكاز غير ثابتة، فهي تتغيّر بتغيّر الإطار والحالة النفسية للـ«غنّاية»، بما يدعونا للتساؤل عن مدى أهمّيّة درجة الارتكاز في الخطاب المقامي، وهل يوجد تبرير لما تضبطه المنظومة التقليدية في الخطاب الموسيقي من تحديد لدرجة ارتكاز الخطاب المقامي، طالما تتدخّل العوامل النفسية والإطاران الزماني والمكاني في تحديدها، بما يجعل الخطاب الموسيقي متناسقاً معها؟

ويؤدّى الجُرّاد بطريقة التناوب أساساً بين ثلاث نساء: إحداهنّ الغنّاية والأخريان تسمّيان «الشدّادة» أو «الخمّاسة» أو «الردّادة»، وهي تسمية تتماشى ودورهما الثانوي في الممارسة الموسيقية، باعتبارهما تردّدان جزءاً صغيراً مما تجود على قريحة الغناية من الأشعار. فيكون نصيبهما البيت الشعري الأوّل من كلّ فكرة شعرية تعمل الغناية على تركيزها (حسب الموضوع). ويصاحب ذلك آلة إيقاع، هي آلة الدّربوكة، وتصفيق الجميع ممّن يدور حول الغناية وردّاديتها.

ويعيش هذا اللحن الذي نعتناه بالأساسي تنويعات مضبوطة مرتبطة بالإيقاع الشعري للفظ المنطوق، فيطول ويقصر بطوله حسب الفكرة التي تريد الغنّاية تبليغها، إذ نلاحظ في النموذج التالي مثلاً، أنّ بين اللحن الأساسي المردّد في أوّل القطعة، والثاني الذي جاء بعد غناء «الخمّاسة» فرقاً في الطّول يمكن اكتشافه من دون غناء، من خلال اتباع عدد التصفيقات المصاحبة للبيت الشعري الرئيس الذي غنته الغنّاية في أوّل اللحن، والبيت الثاني الذي جاء إثر ترديد الخمّاسة للبيت الأوّل:
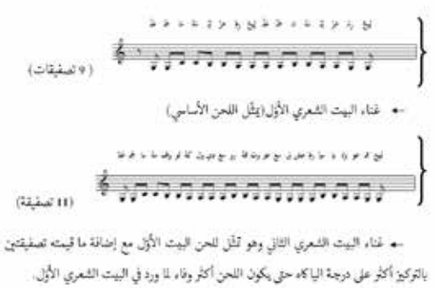
وتعاد هذه التركيبة اللحنية الشعرية إلى حين تقرّر الغنّاية استبدال فكرة النص الشعري، وهي حتى عند تغييرها فكرة النص الشعري، تبقى ثابتة في الوقت نفسه على التركيبة اللحنية:

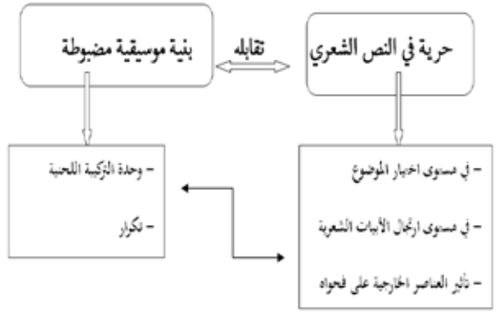

شكل.02 خصوصية النص الشعري والتراكيب اللحنية في نمط "الجرّاد"

يثير هذا الشكل البياني مجموعة من التساؤلات:

- ألا يمكن أن يستكمل الجرّاد ملامحه دون الالتزام بتركيبة لحنية محدّدة؟

- ما الغاية من تكرار الألحان على أبيات شعرية مختلفة؟ هل الأمر متعلّق بضعف في المخيّلة اللحنية، أم هو تعمّد يعكس نمط تفكير وفلسفة في العيش؟

- وهل للتكرار مرجعيّات في الممارسات الموسيقية التونسية خصوصاً، والعربية عموماً؟ وبالتالي هل يمكن أن نتحدّث وجود ممارسات موسيقية مشابهة في جغرافيّات أخرى مجاورة أو حتّى متباعدة؟

للإجابة عن ذلك، سنفتح أفق هذا البحث المتّسع إلى ضرورة دراسة نمط غنائي نسائيّ مصريّ «شعبيّ»، يُقال له في بعض المناطق الجنوبية «المجرودة»، وهي تسمية تحمل الجذر اللغوي نفسه لمصطلح «الجُرّاد»، ولكن كذلك مثقلة بدلالات متشابهة جدّاً على مستوى التنفيذ الموسيقي، وما يرتبط به من تصفيق ودربة وتكرار ورقص كذلك:

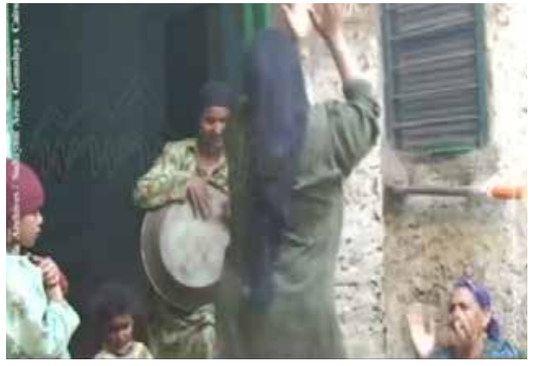

صورة الأجواء الاحتفالية عند أداء «المجرودة» في ليلة الحنّة بـ«تونة الجبل - مركز ملوى - المنيا - مصر»، ويظهر في الصورة: التصفيق والدربكة والرقص

إذ طالما اعتُبر التكرار في الموسيقى العربية وسيلة للتطريب، والتبليغ، والتّأكيد على معنى الفكرة الموسيقية، وجعلها مستساغة وسريعة الحفظ والترديد. ويدخل ذلك في باب عمق دلالات الخطاب الموسيقي المقامي العربي، الذي يستعير من أبسط الظواهر الطبيعية التي تدخل في حياة الإنسان اليومية (تتابع الليل والنهار/ الشروق والغروب/ تتالي الأيّام/ النوم والاستيقاظ). شحنة لتبليغ صور موسيقية سرعان ما تدخلنا في نسق «اليومي» بكل ما فيه من بناء وهدم يتكرّر، ولكنه في أفقه يسعى لتثبيت حياة مزخرفة ومتنوّعة، فهكذا هي حال الجمل الموسيقية المتكرّرة: تهدّ كلّ واحدة منها الأخرى، رغم معاودتها، وهي تبني في الأفق لخطاب متنوّع لا يمكن أن يستشعره إلاّ من عاش الخطاب الموسيقي بعمقه الاجتماعي والنفسي:

وفي هذا السّياق ندفع بمقولة مهمّة لجيل دولوز«Jules Deleuze» في كلام له عن التّكرار وأهمّيته:

«لا يصنع تتابع اللحظات الزمن، إلاّ أنّه يهدمه أيضاً، ويؤكّد فقط نقطة ولادته المجهضة دوماً. ولا يتكوّن الزمن إلا في التوليف الأصلي الذي يتناول تكرار اللحظات، يدغم هذا التوليف اللحظات المتتابعة والمستقلة بعضها في الآخر، ويكون بذلك الحاضر المعيوش، الحاضر الحي، وينتشر الزمن في هذا الحاضر. وينتمي الماضي والمستقبل إلى هذا الحاضر: الماضي حين تُحفَظُ اللحظات السابقة في الإدغام، والمستقبل لأنّ الانتظار هو استباق في هذا الإدغام عينه».

العروس «الشفشاونية» الحناء والحرمل لطرد السحر

أحمد علوة
كاتب - المغرب
ahmedswalem1@gmail.com

في المغرب تتعدد العادات والتقاليد التي تميز كل منطقة على حدة، لتلتقي في الكثير من المشترك الذي يعكس امتزاجاً عجائبياً بين القبائل العربية والأمازيغية من جهة، والقبائل الصحراوية والعربية الأمازيغية من جهة أخرى. وقد توارثت كل منطقة من المناطق هذه العادات وتناقلتها، بما في ذلك طريقة المأكل والملبس والمشرب، وطريقة العيش، وحافظت على تداولها كدليل على هويتها، رغم أنها تحمل الكثير من ملامح الغرابة والطرافة أحياناً.

من بين المناطق المغربية الحافلة بالعادات القديمة، نجد هناك مدينة «شفشاون» بقبائلها المترامية في أحضان جبال الأطلس الكبير في المنطقة الشمالية، التي حافظ سكانها ذوو الأصول الأمازيغية على العديد من طقوس السلف، وعلى رأسها طقوس الزواج أو حفل الزفاف.. هذا الحفل الذي يعد شأناً جماعياً دأبت قبائل هذه المناطق على الإسهام في إحيائه بشكل جماعي، من خلال تقسيم الأدوار بشكل منظم بين النساء والرجال، وفي تناغم عجائبي لا يخلو أيضاً من نفحات دينية لاعتبارات عديدة، أهمها أن مدينة «شفشاون» كانت ولا تزال المنطقة الأكثر إشعاعاً على المستوى الديني، بالنظر إلى مساجدها الشهيرة وزواياها العامرة، ومدارسها الدينية العتيقة، ومواسمها الدينية التي تخلد في تواريخ بعينها لقرون، والتي صبغت المنطقة وسكانها بصبغة دينية، امتزج فيها ما هو أمازيغي بما هو عربي، ولينعكس على الكثير من عادات وتقاليد وطقوس هذه المنطقة.

موكب الخطبة

والد العريس بمعية النساء يتقدمهم إمام المسجد، ذاك هو موكب الخطبة الذي يتوجه صوب بيت والد العروس

لطلب يدها، وهي الخطوة الأولى التي تتم فيها بعد موافقة العروس ووالدها، مناقشة تفاصيل الزفاف، بحضور جميع موكب الخطبة، انطلاقاً من المهر الذي يكون دوماً عبارة عن مال وحلي، إلى موعد حفل الزواج ومكانه، ولتأتي بعد ذلك مرحلة الحسم التي يتم فيها الدعاء للعروسين من قبل الإمام، وقراءة سورة الفاتحة جماعياً، كدليل على نجاح مهمة موكب الخطبة.

هدية الخطبة تؤجل دائماً لما بعد موافقة أهل العروس، وتعد هذه الخطوة إحدى خصوصيات منطقة «شفشاون»، حيث يتم الإعداد للهدية بشكل احتفالي، وطقوس لا توجد إلا في هذا المكان، ابتداء من طقس توسط والدة العريس موكب الهدية، حيث تحمل فوق رأسها طبقاً يضم ملابس تقليدية وبعض الحلي الفضية المتواضعة، إلى جانب أوراق الحناء.. تستقبل والدة الخطيبة الموكب برفقة مجموعة من قريباتها، وينسجم الجميع في الغناء والرقص، ثم تتوجه النساء برفقة الهدايا نحو الفناء، الذي يتوسط بيت العروس، لتوضع الهدايا فوق زربية حمراء، تتحلق حولها مجموعة أحواش المحلية، التي تلهب الفضاء بإيقاعاتها الأمازيغية، مستحضرة في غنائها دائماً وفي مثل هذه المناسبات، موضوع الزواج وفرحة العرس، والتغني بجمال العروس، وأخلاق وعلو شأن العريس.

العجين المخمّر هدية لبيت العروس

فرحة الخطبة تستمر إلى اليوم الثاني أيضاً، وتبتدئ باكراً، حيث تتوجه نساء بمواصفات خاصة (نساء تزوجن لمرة واحدة من رجل تنطبق عليه أيضاً الصفة نفسها)، يتوجهن إلى النهر القريب من القبيلة لغسل القمح في طقس غنائي راقص، ليتوجب عليهن فيما بعد طحن

القمح في الرحى التقليدية، ليحصلن على الدقيق، هذا الأخير سيعجن فيما بعد، ببيت العريس، لإعداد ما يطلق عليه بـ«تخميرة».

«التخميرة» هو عجين يدل على النماء، وعن تحالف الأسرتين، وقد دأبت القبائل هنا على الاعتقاد بأن العجين بما يتضمنه من قمح وماء، يحمل كل معاني الحياة والعيش، ومن ثم حافظ كل أهل هذه المناطق على هذه العادة، بمن فيهم حتى من هاجروا إلى المدن القريبة أو البعيدة.. وهي هدية رمزية ينتظرها أهل العروس بفارغ الصبر، حيث تصلهم هذه الهدية، بعد أن تكون قد اختمرت ببيت العريس، يتوسطها خاتم من الفضة، وموضوعة على طبق زينت جنباته بالصوف والبيض، وليتم الاحتفاظ بالطبق إلى يوم العرس.

الحناء والحرمل لطرد السحر

طقس الحناء افتتاح يوم العرس البهيج، حيث تتناوب النساء على وضع الحناء بيد العروس، هذه الأخيرة تتوسطهن في فناء البيت، ووجهها مغطى بمنديل أبيض، تستقبل هدايا الحاضرات بطريقة فيها الكثير من الإشارات، حيث يتم تمرير الهدايا المقدمة فوق رأس العروس بشكل دائري مرات عدة، لتتكفل والدة العروس فيما بعد، بنثر حفنات من الحنة والحرمل في المكان، طرداً للعين، وتخوفاً من السحر، ولتنسحب العروس بعد ذلك من المكان، لتتوارى داخل غرفتها، إيذاناً بانطلاق الرقص والغناء.

بعد أن يشارف الحفل على الانتهاء، تعود العروس إلى الفناء الذي يضم الفرق الموسيقية، لتجلس من جديد، وهي تغطي كل جسدها برداء أبيض أو أخضر، تتحلق حولها مجموعة من النساء الواقفات على شكل حائط، لحجبها عن العين، بشكل تحرص فيه الواقفات على حجبها جيداً بالرداء، حتى لا تصل لها عين أحد من الحاضرين.

عروس على طبق من ذهب

على الطبق الذهبي المزخرف، تحمل العروس ليلة عرسها على رأسها تاج الأسرة، أو مغطى بمنديل أخضر، ويزيّن صدرها بحلي كثيرة، لتجلس بعد أن يتم الدوران بها وسط النساء، استعداد للرحيل، وهو الرحيل الذي يتم إما عبر الفرس أو على الطبق الذهبي، حسب بُعد أو قرب المسافة إلى بيت العريس، مرفقة بموكب مكوّن من أهلها وجيرانها، ومجموعة أحواش الغنائية، وخلال سير الموكب يعترضه أحد الرجال محاولاً إعاقة وصوله، ما يدفع الحاضرين إلى ترضيته ببعض الهدايا، حتى يفسح لهم المجال، ويعد الطقس إحياءً للممارسات القديمة، حيث كان قطّاع الطرق يحاصرون المواكب، فيعمل المرافقون على حماية العروس، أو يقومون بتأمين الطريق مسبقاً من خلال ترضية زعماء قطاع الطرق.

بعد وصول العروس تستقبلها والدة العريس بالتمر والحليب، بينما يعمل العريس على استقبال الموكب بطريقته الخاصة، وذلك من خلال نثر حبات التمر واللوز والجوز فوق رؤوس الضيوف، فيما يتم إدخال العروس إلى غرفتها، بعد أن تقوم بإزالة تاج الأسرة حتى تتم إعادته إلى بيت والدها.

المرأة .. ورواية الأمثال الشعبية

د. محمد فخر الدين
كاتب مختص بالتراث
والثقافة الشعبية ـ المغرب

أسهمت المرأة في الحفاظ على الأمثال الشعبية، ووظفتها ببراعة في توجيه الناشئة وتربيتهم، واستعملتها في كبر سنّها كلغة خاصة بها، حاملة تجربتها في الحياة، بل كانت بعض النساء كتاباً متنقلاً من الأمثال الشعبية، تذكرها في مجرى حديثها باستمرار، والتوفق في السياق المناسب، وكان الناس يعجبون من قدرة تلك النساء على اختزان تلك الأمثال، وينظرون إليهنّ وكأنهن قادمات من بلاد أخرى، من أرض الحكمة والتجربة التي يحتاجها الإنسان في مواجهة مجريات الحياة وتعقيداتها.

ويعتبر المثل الشعبي الناطق الرسمي باسم هذه الحكمة الشعبية، التي وظّفها القدماء في التسلية والتربية والتعليم، ونقل الخبرة إلى الناشئة، وحلقة التجربة الممتدة من الأجداد إلى الأبناء.

وكان المثل الشعبي على لسان المرأة في الماضي يلعب دوراً تربوياً وتوجيهياً مهماً، ويزوّد الأطفال في الصغر بأسلحة قيمية وأخلاقية، تساعدهم على شقّ طريقهم بنجاح، والابتعاد عن سبل الانحراف، حيث يظل هذا الكلام الجميل يعمل في دواخلهم، كلما خطر موقف مشابه لما تعلموه من المثل الشعبي.

وإذا ما قمنا بجولة في الأمثال الشعبية التي من المرجح أن النساء هنّ اللواتي عملن على تداولها، لارتباطها بحياتهنّ اليومية المباشرة، نجد مثلاً شعبياً يدعو إلى الحزم، ويرتبط بوجبة شعبية كانت تعدها المرأة باستمرار، وبشكل شبه يومي، وتحتاج فيها إلى البخار الصاعد من القدر الذي يعمل على إنضاج القمح ـ السميد

ـ أو أي نوع آخر من الزرع، فقد كانت المرأة تحزم القدر بشريط من الثوب، يسمى قفالاً، حتى لا يتسرب البخار من جانبي القدر أو يضيع دون أن ينضج الطعام.. يقول المثل الشعبي:

ـ «والله إن لم تقفل القدر.. ما أنضجت السميد».

ومن الأمثلة الشعبية الأخرى التي راجت على لسان النساء، تلك التي تشير إلى عدم التسرع في أمر الزواج، والإعداد له الإعداد الملائم: «زواج ليلة.. تدبيره عام».

وكذا عدم التسرّع في كل الأمور المهمة، والتفكير في الأمر قبل الإقدام عليه: «مائة فكرة وفكرة أو ضربة مقصّ واحدة».. بمعنى التمهل في اتخاذ القرارات المهمة حتى لا تسقط المرأة في وضعية لا تحسد عليها، وتصير «مثل امرأة المنحوس، التي لا هي طالق، ولا هي عروس».

وتدعو المرأة في أمثالها الشعبية إلى المسؤولية والتثبت في الأمور، والتمسك بالأخلاق، وعدم التهور، خاصة بالنسبة للمرأة؛ لأن المرأة الخفيفة لن تأتي بأي مهر.. ويقصد بالخفيفة التي لا تهتم بأخلاقها، وغير الثابتة على مبادئها، وبالتالي فهي تميل لهذا وذاك، وتبقى في النهاية من دون زواج.

كذلك للمثل الشعبي رأي في الجمال، فجمال الفعل أحسن كثيراً من جمال الوجه، «الزين في زهر الدفلى وهو مرّ»، أي زهرة شجرة الدفلى جميلة جداً، لكنها مُرّة، فالجمال يكمن في الروح، وليس في المظهر، «لا يغرنّك جمال دفلى وارفة الظل في الوادي» ـ «لا يغرنك زين طفلة حتى ترى أعمالها».

وتدعو المرأة من خلال أمثالها الشعبية إلى التعقل والاتزان، وتحمّل مسؤولية البيت وتربية الأطفال، فالدجاجة الماكثة في عشّها، أحسن من التي تركته: «توف تالي يسدلن تالي يصدرن»، والدجاجة غير الجاثمة على بيضها لا تنجب الكتاكيت، مثل «تافولوست نا ءور ءيسكوطين ف ـ تكلاي ءورار تنورزوم ءيكياون».

وأحياناً يدعو المثل الشعبي على لسان المرأة إلى عدم القناعة بالفتات: «جهد جهده في الصيام وكان فطوره عبارة عن جرادة»، «الذي ابتلي بالتسول يقصد كبار الدور».

ومن الأمثلة الشعبية التي كان لها رواج خاص بين النساء، تلك التي تدعو إلى العمل: «اشتغل يا صغري لكبري»، والابتعاد عن الشبهة في الرفقة: «مع من رأيتك ترافق أشبهتك به»، والابتعاد عن مرافقة النمام والنمامة: «لي قالت لك قالت عنك».. واحترام التجربة التي يراكمها كبار السن: «التي سبقتك بليلة سبقتك بحيلة».

كما تدعو هذه الأمثال الشعبية إلى الكتمان:

ـ فـ«الدجاجة لا تبيض بين الناس».

والانتباه إلى ما قد يجرّه اللسان على صاحبه: «من أين أتتك النار أيها الفرن من فمي».

وألّا يسيء الإنسان إلى غيره بكلام السوء: «فجرح اللسان أقوى من جرح اليد»، ولا يكثر من الكذب، «فالخمير الكثير ينفخ العجين».

كما لا ينبغي تصديق المظهر على حساب الجوهر والحقيقة، فالمظاهر قد تخدع كثيراً، ولا تطابق الجوهر: «أيها المزخرف من خارج ما أخبارك من الداخل؟»، و«الأفعى مزركشة، وفي فمها العطب».

فالمثل الشعبي على لسان المرأة يشجب النفاق حين يكون: «السنّ يضحك للسنّ، والقلب فيه الخديعة»، وذلك الشخص صاحب السلوك المزدوج الذي: «يكوي ويداوي، ويلسع ويدهن».

والفضولي الذي «كالجمل الذي لا يرى إلا سنام أخيه»، ويشبه الوسخ الذي يدخل بين الظفر واللحم، فالفضوليون يتركون شؤونهم ويهتمون بشؤون غيرهم، هم لا ينظرون إلا لعيوب غيرهم، وينسون عيوبهم، «مرض الحمار والبردعة تئن»، «الشبكة شتمت الغربال وقالت له يا بو العيون الكبيرة».

وتدعو المرأة في أمثالها الشعبية إلى المعاملة بالمثل، وعدم استغلال الفرص، «من أكل دجاج الجيران عليه أن يسمن دجاجه»، كما تدعو إلى الاعتناء بالآخرين، خاصة الفقراء: «البطن الشبعانة.. ما درت بالجيعانة»، «الرزق قليل وسقطت فيه ذبابة».

وتدعو المرأة في أمثالها الشعبية إلى تقسيم الأشغال الكبيرة المضنية: «يدخل الجمل القدر جزءاً فجزءاً»، والصبر في الوصول إلى الأماني: «لحلاحة غلبت سحارة»، و«من أراد الحلو عليه أن يصبر للمر»، «يان ءيران تيد ميمنين ءيصبر ءيتيد رزيكنين»، «الذي أراد العسل عليه الصبر لوخز النحل»، والاهتمام بالشؤون الخاصة عوض شؤون الغير، تركت بيتها وذهبت تنظف الحمام العمومي.

وفي غاية الحكمة تقول راوية المثل الشعبي عن اختيار الرفقة المفيدة: «إن الذي لا تقتسم معه مائدة، ولا تسمع منه فائدة، رفقته زائدة».

الغوص في الذاكرة الشعرية النبطية

عائشة علي الغيص
قاصة و باحثة في التراث - الإمارات

قصائد جميلة تسامر فرحتهم، وتترجم أحزانهم وترسم أحلامهم، ترافق مسيرة عملهم اليومي في رحلة البحث عن اللؤلؤ في مغاصات البحار العميقة، رددتها الألسنة فعشقتها القلوب وتوارثتها الأجيال.

اعتمد الإماراتيون في رزقهم قديماً على مهن عدة، منها مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ التي تعد من أخطر وأشق المهن التي مارسوها والتي من خلالها ضربوا نماذج مشرّفة من البطولة والعزيمة وقوة الإرادة، والصبر والتحمل، فلا عجب إذا قلنا إن الغوص رحلة ما بين الألم والأمل، وما بين الحضور والغياب مشاعرهم معاناة وأنين، وتعابيرهم شجن حزين.

وقد كان للبحر والغوص أثره الواضح في الشعر الشعبي، فمن يقرأ الأدب الإماراتي الشعبي يجد كيف ارتبطت حياة الإماراتيين بالبحر منذ قرون طويلة، فقد ركبوا أمواجه، وتحدّوا مخاطره، وصارعوا أهواله، واكتشفوا ما تنطوي عليه أعماقه من كنوز نادرة، ولآلئ ثمينة تأسر القلوب ببهائها وصفائها، وتسر العيون برونق جمالها.

ولقد خلد الشعر الشعبي الإماراتي معاناة البحارة في عرض البحر بحثاً عن مغاصات اللؤلؤ، ومن خلاله عبر الشعراء القدامى عن الأخطار والأهوال التي يصارعونها والمشاق والمصاعب يتحملونها، وآلام الغربة التي تستوطن نفوسهم، والذكريات التي تؤرق منامهم، كما جسدوا حنينهم للوطن وأشواقهم للأهل، فجادت قرائحهم بأروع القصائد وأجمل التعابير، ومن ذلك قول أحد الشعراء القدامى وهو يشكو معاناته البحر وأهواله خلال فترة التحاقه برحلة الغوص، ويذم فيها الغوص:

الغوص غص بريجه — لو فيه الروبيات
ما ينشهي تضييجه — تمضي فيه أوهقات
ذاكر ظليل اللومي — وايحاله امبردات

الروبيات: جمع روبية، وهي عملة هندية قديمة، تم تداولها بسبب اتساع النشاط التجاري لأبنائها مع الهند.

الغصة: ما يعترض حلق الإنسان. الرِّيقُ: ماءُ الفم واللُّعاب.

بريجه: بقلب القاف جيم ريقه، والريق ما سال.

ما يتشهى: لا يستحب.

ظَليلٌ: ظِلٌّ كَثيفٌ دائِمٌ: مكان كثيف الأشجار وواحَةٌ يَحوطُها ماءٌ غَزيرٌ وَظِلٌّ ظَليلٌ.

اللومي: شجرة الليمون المعروفة.

يحاله: مفردها يحلة، وهي القطعة المصنوعة من الفخار أو الطين المحروق، يُشبه في شكله الجرّة لكن حجمه أكبر، وهي عبارة عن زير الماء الصغير الذي يوضع أسفل (الحب) الكبير، فتتلقى قطرات الماء التي تتسرب والتي تكون نقية جداً، وأكثر برودة.

مما سبق نجد أن الشاعر يتخيل الغوص إنساناً ومثابة عدوّ له، يدعو عليه بالغصة، والغصة ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب، ونظراً لما في رحلة الغوص من معاناة وما يواجه من مخاطر، ورغم ما فيه من كسب مادي وما يجنيه من ورائه من مال، إلا أن المعاناة والألم لا توازي ولا تعادل هذا الربح، فيدعو عليه بأن يغص فتكون نهايته الهلاك، ويتذكر الشاعر ذكريات أيام (الصيف) المقيظ، حيث يثمر شجر الليمون، ويخرج الناس في رحلة المقيظ، وفي العادة ن يختار الناس الأماكن ذات الشجر والظل كمصيف لهم في فصل الصيف، حيث اشتداد الحرارة ويستخدمون الفخار لحفظ الماء بادراً.

وهنا يرسم يشخص الشاعر الغوص بإنسان عدوّ، فيرسم له صورة جميلة تظهر مدى معاناته هذه الرحلة وأهوالها.

ويصف شاعر آخر معاناة الغوص على لسان السيب، و(السيب) الشخص الموجود على ظهر السفينة، والذي تكون مهمته جر الغواص إلى الأعلى عند تلقيه الإشارة، فيقول:

يا نوخذ ما أقدر أنا أسوب — الحبل قطع لي يديه
ذاكر دبا ومويهة الدوب — رطب خواطر وشهلية

النوخذة: هو ربان السفينة، وصاحب الأمر والنهي فيها، وهو الحاكم والقاضي إذا تطلب الأمر الفصل بين متخاصمين، وقد يكون النوخذة هو صاحب السفينة التي يقودها، أو يكون مستأجراً لها، أو يعمل عليها لحساب الغير، وهو صاحب أكبر نسبة من المحصول.

السيب: المعين والمساعد المباشر للغواص، وتقع عليه مسؤولية سلامة الغواص، فالسيب هو من يمسك بحبل متصل بينه وبين الغواص، فإذا حرك الغواص الحبل سحبه السيب بسرعة، وهذه المهمة الرئيسة للسيب، كما يقوم بالتجديف من هير إلى آخر، ويقوم أيضاً بتنظيف وترتيب السفينة بعد الوصول، وفلق المحار لاستخراج اللؤلؤ منه، ومن صفاته لابد أن يكون قوي البدن والملاحظة والمتابعة لإشارة الغيص وسحبه من القوع ،ويعتبر السيب في الدرجة الثالثة من حيث الأهمية بعد النوخذة والغواص:

ما أقدر: لا أستطيع.

مويهة: تصغير كلمة ماء.

دبا: منطقة تعتبر من المصايف في فصل الصيف.

رُطُب: جمع رَطب رطب: رُطُب: (اسم) الرُّطَبُ: نضيج البُسْرِ قبل أَن يصير تمراً، والجمع: رَطَبات ورَطْبات ورِطاب والرَّطْبَة: مؤنث الرَّطْبِ.

خواطر وأشهلية: مسميات لأنواع من الرطب.

يصور الشاعر معاناة السيب وهو يخاطب النوخذة شاكياً له معاناته ومدى ما يعانيه من تعب من شدة سحب الحبل، فقد تقطعت يداه، وهو هنا يجسد لنا تعبه الجسدي هذا إلى جانبه تعبه الداخلي، وهو معاناة الحنين والشوق للأسرة، وتلك الذكريات التي تؤرق منامه حينما يتذكر فترة المقيظ في دبا، وهي من المناطق التي كانت تتخذ مصيفاً في الماضي، ودبا منطقة تابعة لإمارة الشارقة، فذكرى تلك الأيام الجميلة مع الأهل، وأكل الرطب الشهي، تضاعف من حنينه للأسرة ورغبته في العودة إلى الوطن.

هذا وقد عرف عن أهل الإمارات ارتحالهم في فصل الصيف إلى المصايف، حيث ترتحل الأسر إلى المناطق الزراعية، ويقضون فيها فترة الصيف، وتعتبر تلك المناطق مصيفاً لهم، ويذهب الرجال إلى الغوص على ظهر السفن العديدة، والتي يملكها التجار والنواخذة للغوص.

وها هو شاعر آخر يصور معاناة الغوص فيقول:

يبغض عليه موسم الصيف — يوم البحر ضايج بالاسفان

موسم الصيف: الذي تتجمع فيه السفن في الخيران (جمع خور) استعداداً للرحيل الى الغوص والمعنى أنه يكره هذا الموسم المؤذن بالفراق والمتاعب.

كما يصور لنا شاعر آخر موقفه مع النوخذة قبل رحلة الغوص مخاطباً النوخذة، حيث إنه يرفض العمل في معه لقلة الأجرة التي سيدفعها النوخذة، فهناك من سيدفع له أكثر، ولأن المهنة شاقة ومحفوفة بالأخطار، فلا بد أن يكون

الأجـر يـوازي مشـاق المهنـة:

يا نوخذة دوك بيـزاتك وين ما ريت الزود با خاير

دوك: بمعنى خذ.

بيزاتـك: لفظـة تطلـق عـلى العملـة النقديـة، والبيـزة عملـة هنديـة كانـت متداولـة قديمـاً، وهـي مـن النحـاس الأحمـر. يبـدو لنـا مـن البيـت السـابق أن الغـواص سـيرجع المـال للنوخـذة، وسـيبحث عمّـن سـيدفعه لـه أجـرة أعـلى، ليلتحـق للعمـل معـه عـلى ظهـر سـفينته، فالمهنـة شـاقة وصعبـة، مـما يدلـل عـلى شـدة المعانـاة، وشـظف العيـش الـذي يعانيـه الغـواص.

وكذلـك يبـين أحـد الشـعراء القدامـى أسـباب الالتحـاق بمهنـة بالغـوص، ومـن الأسـباب التـي يذكرهـا شـدة الحاجـة وظـروف الحيـاة القاسـية، قائـلاً:

يا الغوص ما يبتيك من أخيار لـو مـا عليـه حـق وديـون

في شـف بوحلقـة وبـو هيـار لي نـاجي عـرضـه ومصيـون

لـي ما نهـي للقيـظ حضـار دب دهره في البيت مخزون

ما يبنيك: لم نأتك.

من خيار: من رغبة.

لولا: أداة استثناء.

ديون: ما يقترض الإنسان.

حلقـة وهيـار: مـن أدوات زينـة المـرأة والحلـق القـرط الـذي يزيـن الأذن. والهيـار: مـن أدوات زينـة شـعر.

ما نهى: لم يذهب.

للقيظ: لقضاء فترة المقيظ.

ثمّـة أسـباب كثـيرة دفعـت أجدادنـا إلى خـوض غـمار مهنـة الغـوص، وعـلى رأسـها توفـير لقمـة العيـش، وعـدم وجـود مصـادر رزق بديلـة، تغنيهـم عـن المخاطـرة بأنفسـهم في عـرض البحـر، لذلـك لم يكـن أمـامهم إلا أن يتوجهـوا للبحـر والغـوص في أعماقه، ليواجهـوا شـظف العيـش، فقـد اضطـر الشـاعر للالتحـاق برحلـة الغـوص، ليـس رغبـة، ولكـن لسـداد الديـن الـذي اقترضـه مـن أجـل الـزواج، وبوشـف بوحلقـة وبوهيـار كنايـة عـن الزوجـة والتـي تسـتحق المخاطـرة بالـروح مـن أجلهـا، فهـي امـرأة كريمـة عزيـزة تصـون عرضهـا وتـلازم بيتهـا، لم تخـرج للاسـتمتاع برحلـة المقيـظ. حيـث يكـون الرجـال في رحلـة الغـوص في تلـك الفـترة. ومـا أن يعلـن النوخـذة تقديـم موعـد الرحلـة حتـى يبـدأ الهـمّ ينخـر في قلـب الغـواص، وتبـدأ رحلـة الشـقاء بالنسـبة لـه، فهـا قـد حـان موعـد الغيـاب وفـراق الوطـن والأهـل، وهـذا مـا يصـوره لنـا أحـد الشـعراء القدامـى.

وأشقا من نواخذة أرقى قبل غوص في مياحينه

عذبوا الإنسـان بالفرقـا وأبعدوا به عن مضانينه

يصـف لنـا شـاعر معانـاة الغـواص، وقـد أعلـن النوخـذة تقديـم موعـد رحلـة الغـوص قبـل الموعـد المتفـق عليـه، مـما تسـبب بـالألم والحـزن للنفـس، حيـث اقـترب موعـد الغـراق عـن الأهـل والأحبـاب بذائقيـة فنيـة عاليـة جـداً، وبحـسّ مرهـف في القصيـدة التاليـة، نـرى حالـة الغـواص النفسـية، وقـد تذكـر محبوبتـه فتـزداد نبضـات قلبـه مـن شـدة الشـوق واللهفـة، فيشـبه حالتـه بمـن قرَصتـه الحيّـةُ: لدغتـه أو بالإنسـان الـذي قرصـه الـبرد فآلمـه.

الهير: بقلب الجيم ياء بلهجة أهل الإمارات الهجر.

نقوص: من نقص قل.

أهواس: الهاجس الذي يدور في خلد الإنسان.

تطري: تلح وتمر ببالي.

جني: بقلب الكاف جيم. كأنني: أداة تشبيه.

مقـروص، قرَصتـه الحيّـةُ: لدغتـه، لسـعته قرَصَـه البرْدُ: آلمـه، اشـتدَّ عليه .

لي من تذكر خاطري ناس زاد الهيـر في حـالي نقـوص

الله أكبـر يا هي أهـواس تطـري على بالي وأنا أغوص

يدق قلبـي دق الأجـراس وأصيح جني تقول مقروص

وهـذا الشـاعر خلفـان بـن يدعـوه، وهـو مـن مواليـد إمـارة دبي، يصـور أنـه لا يعبـأ بالبحـر، ومصاعبـه وأهوالـه، وعمـق ميـاه، ولا مـن شـدة البـرد، وإنمـا الـذي يهمـه ويقـضّ مضجعـه، هـو الشـوق للحبيـب، يقـول:

واحسرتي ضاق الفضا بي يوم أبعدوني عن حبيبي

ايلومنـي لي ما درا بـي لي من الفرقـا صويبـي

ما همني غوص ولا بي بـرد ولا غـزر الغبيبـي

لي صاحب وصله ثوابي ما هوب زرات أو عيبـي

ويؤكـد شـاعر آخـر معانـاة الغـواص، حينـما يجـن الليـل فتـأتي الذكريـات لتـؤرق منامـه، حيـث تكالبـت عليـه الهمـوم، حينـما تجلى أمامـه طيـف الخـل، الـذي أجـرى دموعـه فناجـاه (قلتلـه) فهـو روحـه ومنبـع سـعادته نـور دنيـاه، الـذي يسـتضيئ بـه، حيـث أثـر غيابـه عـلى نفسـه، فأخـذ ينشـد الأشـعار ليسـلي بهـا النفـس في الغيـاب، ثـم يناجيـه بـأن يترفـق بـه عازمـاً عـلى العـودة إليه تاركاً الدنيا، وكل ما فيها في سبيل سعادته ولقائه أحبته.

يُـومْ رَقْ اللّيـلْ واسْـوَدْي يَـا هُمُـومٍ بِـتْ أجَاسيهَا

بت أعـاذل صافي الخـدي دمعتـي من الموق ياريها

طيـف خلي مسـهر عنـدي نـور الـدنيـا ومـا فيهـا

قلتله يـا روحي سـعدي نـار شـوقي من يطيفهـا

يوم تتركني خلي وحـدي أنشـد الأشـعار وأوريهـا

روف بي يـا زاكي اليـدي ثيـب روحـي لا تشجيها

بصنـع لخـلـي وبـردي بتـرك الـدنيـا ومـا فيهـا

ومـن شـدة الولـه، ويتمنـى أحـد الشـعراء أن تشـاركهم النسـاء رحلـة الغـوص، فتخمـد نـار الشـوق حينـما يـرى تلـك الجدايـل الجميلـة فيعـبر قائـلاً:

لـيت الحـريم يمـدن الغـوص أغوص ويسوبن علينـا

لا من ظهرت اشوف لعقوص متخالطـات بـاليدينـا

يمدن: رحلة الغوص تكني بمدة.

ويسـوبن: يمتهـن مهنـة السـيب الـذي يقـوم بسـحب الغيـص مـن قـاع البحـر.

لي من ظهرت: كلما خرجت من قاع البحر.

أشوف: شاف بمعنى رأيت.

العقوص: مفردها عقص، وهي الجدائل.

متخالطات: ممتزجات.

مـما سـبق يلمـس المتلقـي البعـد الإنسـاني جليـاً في القصائـد، فهي تجسـد مأسـاة الإنسـان في هـذه الرحلـة، وهـو يعـاني أهـوال البحر وأخطـاره، وقـد فقـد أمنـه واسـتقراره، كـما نجـد أن الشـعراء اسـتعانوا في التعبـير عـن تجربتهـم الشـعرية بعـدد مـن وسـائل التعبـير الفنـي مـن لغـة موحيـة، وصـور فنيـة شـكلت في كثـير منهـا لوحـات تصويريـة متكاملـة، وسرد شـعري جميـل، وقيـم نغميـة متناغمـة.

ختاماً:

تعـد أشـعار الغـوص مـن أكـثر القصائـد الشـعرية الملتصقـة بالإنسـان، فقـد كشـفت لنـا عـن القريحـة الشـعبية المرهفـة الحـسّ، والمعـبرة عـن الهمـوم والأشـجان، وقـد جسّـد فيهـا الشـعراء تجربـة الغربـة عـن الوطـن في سـبيل لقمـة العيـش، وجسـموا مـا كابـده البحـارة عـبر الرحلـة مـن أهـوال، ومـا تحملـوه مـن آلام.

- يمثـل الغـوص ركنـاً أساسـياً مـن حيـاة الإنسـان الخليجـي عمومـاً، والإمـاراتي خصوصـاً، بـل جـزءاً مـن عاداتـه وتقاليـده وتراثـه، فهـو لم يكـن مجـرد عمـل للكسـب والارتقـاء بالاقتصـاد، بـل مهنـة تراثيـة احترفوهـا، وكان غايتهـم فيهـا البحـث عـن اللؤلـؤ الـذي يعـدّ مـن أهـم الجواهـر وأثمنهـا، ولذلـك حـاز اهتمامهم، وشـغل فكرهـم، وأشـعل جـذوة خيالهـم، فأبدعـوا قصائـد خالـدة، عكسـت حقيقـة مهمـة، هـي أن الغـوص ورحلاتـه لم تكـن لتنعكـس عـلى الجانـب الاقتصـادي والاجتماعـي فحسـب، بـل انعكسـت عـلى النتـاج الثقـافي والـتراثي والأدبي.

- وثّقـت قصائـد رحلـة العديـد مـن مظاهـر الحيـاة الاجتماعيـة، كرحلـة المقيـظ، وأدوات زينـة المـرأة (حلقـة وهيـار) وأدوات الطعـام (اليحلـة) وأنـواع الرطـب (رطـب خواطـر وشـهيلة). والعمـلات النقديـة المتداولـة في تلـك الفـترة (الروبيـة). طاقـم سـفينة الغـوص مـن النوخـذة والسـيب والغـواص، ومناطـق المقيـظ (دبـا).

فـلا خـلاف إن قلنـا أن أشـعار رحلـة الغـوص تعـد وثيقـة تاريخيـة تختـزن واقـع الحيـاة الاقتصاديـة، وعدسـة أساسـية لتصويـر مظاهـر الحيـاة الاجتماعيـة، وتجسـيد الحيـاة الفكريـة والثقافيـة، ولهـذا يدفعنـا واجبنـا نحـو أمتنـا ووطننـا وتاريخنـا نحـو العنايـة بجمـع مأثورنـا وتدوينـه، وتوثيقـه بهـدف الحفـاظ عـلى المـوروث الثقـافي، ليغـدو زوادة للأجيـال القادمـة، والمحافظـة عـلى الهويـة الوطنيـة وتعزيـز مقوماتهـا.

اكتشاف التراث العربي.. (2)

كيف تعرفتُ بكتب التراث؟

إيهاب الملاح
كاتب وناقد مصري،
وباحث في التراث الثقافي

دائماً ما تبدو هناك حاجة ملحّة إلى ما أطلق عليه «كتب المداخل والمفاتيح»؛ تلك التي تتوسط بين القرّاء المبتدئين الذين يستهلّون طريقهم، ومن ثمّ خطواتهم الأولى، معرفة أي من فروع المعرفة، وبين بحار العلم الزاخرة ومحيطات المعرفة التي بلا شطآن ولا ضفاف. أقول ذلك في ظل اتساع الفجوة المرعبة (هل أقول ثقباً أسود؟!) بين الناشئة والشباب والإقبال على القراءة، والتعرف بتراث أمتهم وتاريخ شعوبهم، فضلاً على تجديد المعرفة التي تستدعي طول الوقت مدّ الحبال، والأواصر بين الأجيال التي تتوالى موجاتها بلا انقطاع، وبين أعلام تراثهم البعيد والقريب، وإنتاجهم الذي يجب أن يكون دائماً بين أيديهم، وتحت أعينهم، ولا يفارق تكوين وجدانهم، وتشكيل عقولهم.

لذا فإن إشاراتٍ إلى مثل هذه الكتب والمؤلفات تبدو ضرورية، خاصة في مجال التعرف إلى التراث العربي الزاخر. تتحدد الوظيفة المباشرة لمثل هذا اللون من التأليف في التعريف بعيون تراثنا العربي في مجالات إنتاجه المعروفة آنذاك؛ في الأدب، والتاريخ، والتراجم والسير، والتصوف، وعلم الكلام والعقائد، والعلوم والفنون.. كما أنها تأخذ بيد من يرغب من الأجيال الشابة في التعريف والاطلاع على مؤلفات تراثية عظيمة؛ صارت من «تراث الإنسانية» وليس «التراث العربي» فقط؛ مثل: شعر أبي العلاء المعري ونثره، أو كتابات أبي حيان التوحيدي، مثقف القرن الرابع الهجري، أو مؤلفات الجاحظ الموسوعية، أو «المقدمة» الفذة لابن خلدون (واحد من أعظم المؤلفات التأسيسية في تاريخ العمران البشري وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ).. إلخ.

خلال الرحلة الممتعة التي كان يخوضها الطموحون منا للبحث عن كتب التراث في مستهل حياتهم، وعن النصوص التأسيسية منه، التي يستطيعون قراءتها والإفادة منها، كان ثمة مساران في البحث:

القراءة عن هذه المصادر والتماس تعريف مبسط عنها وعن سياق تأليفها، ونبذة مختصرة عن مؤلفيها أولاً، ثم البحث عن المقالات والكتب والدراسات التي تشكل مِفتاحاً للدخول إلى هذا العالم والتعرف به، ومن ثم الإقبال على نصوصه وقراءتها.

أما المسار الثاني، فكان ببساطة هو التحصل على هذه النصوص، ثم قراءتها بعناية، واكتساب الخبرة اللازمة للاستئناس بلغة التراث وتجاوز صعوباته الظاهرة وتشابكاته العديدة.

في المسار الأول، وهو محل اهتمامنا هنا، يمكن الإشارة إلى كتبٍ جليلة؛ صارت بدورها كلاسيكية ولا يستغنى عنها، تتلخص مهمتها الأولى في التعريف ببعض كتب التراث ببساطة ويسر، وتُسهل على طلابها تكوين رؤية عامة منظمة لجمع شتات هذا التراث، والاعتماد على تصور زمني واضح لنصوصه وتعاقبها، أفقيا ورأسيا، من خلال الموضوع الواحد، أو المؤلف الواحد، أو الفترة الزمنية الواحدة.

في هذا الصدد، يمكن الإشارة، مثالا، إلى كتاب المرحوم جمال الغيطاني «منتهى الطلب في تراث العرب» (صدر عن دار الشروق في تسعينيات القرن الماضي)، وهو من الكتب التي تُساعد كثيراً في التعريف ببعض الكتب الموسوعية في تراثنا القديم، أو كتب أخرى جمعت شتات هذا التراث ونظمته تبويباً وتصنيفاً؛ كما في كتابي «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان، و«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين.

في المسار نفسه، يمكن الإشارة إلى موسوعة «تراث الإنسانية» التي كانت تصدرها وزارة الثقافة المصرية في الستينيات من القرن الماضي على شكل مجلة شهرية، تضم قراءات لأعظم الكتب التي أنتجها العقل البشري، وشكّلت تراث الإنسانية في مختلف الحضارات والأزمان (جُمعت أجزاؤها بعد توقفها عام 1971 في تسعة أجزاء صدرت في سبعة مجلدات).

في «تراث الإنسانية» (أصدرت منها هيئة الكتاب المصرية طبعة جديدة في عشرة أجزاء حتى الآن خلال العام 2017/2016) يمكن قراءة مقالات وافية عن عشرات الكتب في التراث العربي، ليس هناك - في ظني - مدخلٌ أحسن منها للتعرف بروائع الفكر والأدب العربي في القرون الثمانية الأولى للهجرة، يكفي أن يطالع قارئها مقالاً عن «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي، بقلم زكي نجيب محمود مثلاً، أو عن «العِقد الفريد» لابن عبد ربه له أيضاً، أو مقالاً وافياً عن الكتاب ذاته لمحمد خليفة التونسي. أو يقرأ مقالاً لعبداللطيف حمزة، عن الموسوعة العظيمة «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي المصري، أو يجد المحقق القدير إبراهيم الإبياري يكتب عن «نهاية الأرب في فنون الأدب» لشهاب الدين النويري.. وهكذا.

أيضاً، فإن للمرحوم الأستاذ الناقد والأكاديمي القدير د.سيد حامد النساج كتابٌ قيم، صدر عن دار المعارف المصرية العريقة، بعنوان «رحلة التراث العربي»، وهو كتاب تعليمي بامتياز، على غزارة مادته، واتساع المدى الزمني الذي غطى إنتاجه (من النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة حتى القرن الثالث عشر)، لكنه، ورغم ذلك، يعطي المفاتيح اللازمة للتعرف بحركية وحيوية هذا التراث عبر القرون، مدخل مناسب لمن لا يعرف شيئاً عنه، ويريد أن يتعرفّه. كتابٌ ابتغى مؤلفه التعريف بأبرز وأهم كتب التراث العربي عبر تاريخه، فتعرض للجاحظ ومكتبته العامرة، وتوقف تفصيلاً أمام واحد من أهم كتبه وأجملها «البخلاء». واستعرض رحلة «المقامة العربية» وتطورها، وأفرد فصلاً طويلاً لأكبر مؤلف تراثي عرفه العرب، وهو كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، كما تابع «مشوار كتب الرحلة في التراث العربي»، واختتم رحلته بكتابين تراثيين من العصور المتأخرة.

من بين هذه الكتب أيضاً، أذكر ذلك الكتاب اللطيف السهل «مع التراث» للكاتب والقاص الراحل يوسف الشاروني (صدر ضمن أعماله الكاملة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب)، وهو من الكتب التي تكسب قارئها معرفة واسعة بجوانب مجهولة من تراثنا الأدبي الزاخر، ويمكن من خلاله التعرف إلى طائفة معتبرة من أهم النصوص السردية العربية على الإطلاق، سيكتشف مُطالعه أن للعرب تراثاً رائعاً عن «الحب» وأحواله ومقاماته وصباباته وشجونه ومواجده، سيعرف أن هناك كتاباً جميلاً اسمه «طوق الحمامة في الألفة والألاف» لفقيه عربي مسلم اسمه ابن حزم، عُد هذا الكتاب من أروع كتب الحب في تاريخ البشرية!

وسيعرف أيضاً أن أدب الاعترافات والسيرة الذاتية لهما وجود بارز في تراثنا العربي (وإن لم يكن بذات الجرأة والكثافة والتنوع في الآداب الغربية)، فتناول الشاروني نصوص الأمير أسامة بن منقذ، والإمام أبو حامد الغزالي، والإمام جلال الدين السيوطي، في كتب رائعة من أهم كتب السيرة في تاريخنا العربي، وعن أدب البحر والشخصيات الخيالية التي رصعت نصنا الخيالي الخالد «ألف ليلة وليلة»، وبحث ممتع عن الأصول التاريخية لشخصية «السندباد البحري» الشهيرة.

هذه مجرد «عينة» من الكتب التي تعرضت للتعريف بأبرز وأهم كتب التراث العربي في مجالات متعددة ومتنوعة، وظيفتها الأولى كانت التعريف والتمهيد لقراءة هذه الكتب مباشرة، تكاد تشترك جميعاً في الغاية التعريفية والهدف التثقيفي المباشر، والإشارة إلى أبرز مظان تراثنا العامر، خاصة الإبداعي الأدبي منه، ثم تختلف بعد ذلك في طريقة العرض، والمنهج، كما تتباين في الأسلوب والاختيارات والمصادر المختارة. ويكاد يخرج قارئها منها بمعرفة تؤهله لمطالعة النصوص التي قرأ عنها في هذا الكتاب أو غيره، كما أنها تحرضه تحريضا جميلاً على اقتناء تلك الكتب في طبعاتها المدققة الميسورة، وبما يثري وعي وتكوين المقبلين على قراءة هذا التراث والتعرف إليه.

وللحديث صلة.. إن شاء الله.

يعود بناؤه إلى القرن التاسع عشر الميلادي

سوق الشناصية..
عين شاهدة على تاريخ الشارقة العريق

تحقيق: رنا إبراهيم

على ضفاف كورنيش الشارقة، حيث رائحة البحر والمباني التراثية العتيقة ثمة تفاصيل تروي ملامح الحياة القديمة التي عاشها الآباء والأجداد في فترة الخمسينيات من القرن الماضي، في مكان يحمل الكثير من الذكريات لأهالي إمارة الشارقة، وهو «سوق الشناصية، السوق التاريخي الذي يمتد على مساحة 5900 متر مربع، ويعد من أقدم وأكثر الأسواق حيوية في المنطقة قديماً، ويعود بناؤه إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

ويعتبر سوق الشناصية الذي يربط بين سوق العرصة في منطقة المريجة بسوق الشيخ صقر بن محمد القاسمي في منطقة الشويهين، هو المكان الذي كان يتبادل فيه التجار بضائعهم ويشتري فيه الناس احتياجاتهم، وهو الملتقى اليومي الذي كان يجتمع فيه أهالي المنطقة، ليروى كل واحد منهم أمور الحياة ويتبادلون التجارب والخبرات التي تعينهم على تحمل الحياة الصعبة في الماضي.

وتعود تسمية سوق الشناصية بهذا الإسم نسبةً إلى التجار القادمين من منطقة شناص، وبناءً على توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وتجسيداً لرؤية هيئة الشارقة للاستثمار والتطوير (شروق) في تطوير إمارة الشارقة والمرافق السياحية والاقتصادية فيها، تم اعتماد مشروع إعادة بناء السوق على الأساسات التي تم اكتشافها، ويحتوي السوق اليوم على الحرف اليدوية، والأزياء الإماراتية والمسابيح، والحلويات التقليدية، والأثاث وغيرها من الحلي والأحجار الكريمة، ذات الطابع المعاصر بروح ثراثية أصيلة.. ومازال هذا السوق بكل ما يتضمه من سكيك ومحلات حاضرة في ذاكرة الرعيل الأول الذين عاصروا السوق وكانوا شاهدين على مراحل التطور والنهضة التي تشهدها الإمارة اليوم.

تجارة الطيبين

لسوق الشناصية مساحة من ذاكرة الراوي الإماراتي علي القصير (أبو محمد) 75 سنة- حيث كان يملك منجرة في السوق، ويقول: « في فترة السبعينيات من القرن الماضي، افتتحت منجرة لصناعة الأبواب التي كان يطلق عليها إسم «حلاق»، والنوافذ بكل مكوناتها وأشكالها، بالإضافة إلى تشكيل أقفال النوافذ وكان يطلق عليه اسم «صفصوف» وهي عبارة عن قطعة خشبية صغيرة تستخدم كقفل للنوافذ في تلك الأثناء، وكان عندها السوق هو الشريان الحيوي لإمارة الشارقة وكان مكتظاً بأهالي الإمارة، الذين يترددون على السوق لشراء الدعون والحصير والمالح وغيرها من المستلزمات والمواد الغذائية والملابس، وفي بداية التسعينيات،

علي القصير: عدد المحلات في السوق كانت لا تتجاوز الـ 10 محلات، وكان السوق يضم مطعماً واحداً يسمى «مقهى أحمد سارباد».

انتقلت للعمل في قطاع التربية وأغلقت المنجرة التي تحمل الكثير من الذكريات في نفسي».

ويشير القصير إلى أن اقبال الأهالي على المنجرة كان يعتمد على المباني التي تشيد، حيث كان عمال المنجرة يذهبون لأخذ مقاسات الأبواب والنوافذ ويبدؤون بتشكيلها على حسب طلب الزبون، أما السوق فكان الأهالي يترددون عليه بشكل يومي لشراء الطعام حيث لم يكن في تلك الأثناء كهرباء ولا ماء، وبالتالي كانت هناك حاجه ملحة لشراء المستلزمات اليومية من السوق، ويقول القصير: «عدد المحلات في السوق كانت لا تتجاوز الـ 10 محلات، وكان السوق يضم مطعم واحد يسنى « مقهى أحمد سارباد» حيث كان مقر تجمع الشباب والشواب في كل يوم صباحاً ومساءً، وما يميز السوق هو تعدد المساجد حيث يوجد في السوق مسجد عبيد بن عيسى النابودة الذي يعود تاريخة لأكثر من مئة عام».

عمل القصير في وزارة التربية والتعليم حتى عام 1997، وبعدها قرر التقاعد

علي القصير

ليقضي وقته مع أصدقاء الماضي في سوق الشناصية لاسترجاع ذكريات الماضي الجميل.

خليفة السويدي: كان السوق عبارة عن دكاكين بسيطة معدودة، وفيها 3 مبانٍ مشيدة من طين، وكانت سكيك السوق من رمال غير مرصوفه، وتطل على الميناء

ملتقى يومي

ذكريات طفولة محمد كشواني (أبو علي) 71 سنة- في سوق الشناصية مازالت عالقة في ذاكرته، ويرويها ويقول: « في

محمد كشواني

نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، كنت أقطن في منطقة قلب الشارقة القريبة من الشناصية، والتحقت مبكراً بالمدرسة القاسمية وكنت يومياً وبعد الإنتهاء من الدوام المدرسي آتي لزيارة سوق الشناصية برفقة زملائي في المدرسة الذين مازلت أذكرهم جيداً، وكنا نمضي سويعات من الوقت في اللعب ومطالعة جديد السوق والتحدث مع الباعة، حيث كان لوالدي مقهى في سوق «العرصة» القريب من الشناصية وكانت له علاقة مع التجار والباعة». ويقول كشواني أن في مرحلة الشباب كانت الشناصية هي مقره الدائم ويقول: «سوق الشناصية هي الملتقى اليومي الذي كان ومازال يجمعنا حتى يومنا هذا، حيث ألتقي يومياً بالشواب في مقهى الشواب الكائن في السوق، وهم أصدقاء الصبا، لنتسامر ونتذكر ماضينا الجميل وكيف تحولت المنطقة من سوق شعبي بسيط إلى سوق سياحي أثري، متمسكاً بطابع العراقة والأصالة».

ويروي خليفة ثاني السويدي (أبو ثاني)- 70 سنة- ذكرياته، ويقول: « كان سوق الشناصية عبارة عن دكاكين بسيطة معدوده، وفيها 3 مبانٍ مشيده من طين، وكانت سكيك السوق من رمال غير مرصوفه، وتطل على الميناء كما هو

خليفة ثاني السويدي

الحال عليه الآن، فكانت تعتبر الشناصية هي المتنفس الوحيد لأهالي المنطقة، حيث كنا نمضي الوقت لمراقبة البحر والتسامر في أجواء من الألفة والمحبة، وعند غياب أحد من الأصدقاء كان الكل يتفقده ويسأل عنه، لقد كانت الشناصية هي ملتقى الأصدقاء، فقد كنت أقطن في منطقة الخان، وأتي يومياً إلى الشناصية مشياً على الأقدام دون كلل أو ملل، من أجل لقاء الأصدقاء».

أما خميس سالم السويدي (أبو محمد)- 85 سنة- فكان يعتبر سوق الشناصية هو الواجهه الأولى والوحيده له ولأفراد أسرته للتسوق ولقضاء الوقت برفقة الأصدقاء والأقارب من خلال التجمع اليومي في فترة ما بعد الظهيرة، ويقول: « مازالت رائحة البحر تذكرني بسوق الشناصية العتيق، هذا السوق الذي كان شاهداً على ماضي الشارقة الجميل، حيث المباني المتواضعة المصنوعة من الطين ومن حصى البحر، والألفة والمحبة التي كان تجمع أبناء الحي والواحد، فقد كان الشناصية هو الملتقى اليومي لأهالي المنطقة، وفيه يتم شراء جميع المستلزمات اليومية، وكان يشتهر السوق بصناعة البشوت الذي يزين بالرزي الذهبي، بالإضافة إلى سويعية الحريم وهي العباءة التي كانت ترتديها المرأة

خليفة راشد المنشوي

في الماضي، بالإضافة إلى صناعة الحصير والعريش وغيرها من الصناعات».

خميس السويدي: مازالت رائحة البحر تذكرني بسوق الشناصية العتيق، هذا السوق الذي كان شاهداً على ماضي الشارقة الجميل، والألفة والمحبة التي كانت تجمع أبناء الحي والواحد.

استراحة النوخذة

في فترة الخمسينيات من القرن الماضي، كان سوق الشناصية هو الوجهه الرئيسية للصيادين الذين يأتون له بعد رحلتهم البحرية الطويلة المحفوفة بالمخاطر والتعب، ليكون سوق الشناصية هو محطة الاستراحة الأولى، ليروي كل صياد منهم مغامراته في البحر، ويتبادلوا التجارب والخبرات التي تعلموها منه، ويقول النوخذة والصياد خليفة راشد المنشوي (أبو علي)- 70 سنة- « بعد العوده من رحلة الصيد المتعبه، كنا نجمع صيدنا الثمين، ونعرضه للبيع في سوق السمك القريبة من الشناصية، وبعدها يتجمع جميع البحارة في سوق الشناصية وكنا نسميه «عمارة»، لنتبادل أطراف الحديث ونروي مغامراتنا في البحر، ونتحدث عن ارباحنا في صيد السمك، وبعدها نذهب بجولة في سوق الشناصية لشراء حاجيات المنزل من طعام وأدوات».

يشير المنشوي، أن المرأة الإماراتية في الماضي كانت حاضرة في سوق الشناصية حيث كانت تذهب برفقة أطفالها لشراء حاجيات المنزل لمساعدة ومعاونة زوجها، وكانت طريقة البيع تعتمد على المفاصله في السعر، غير أن أسعار البيع كانت في متناول يد الجميع، وكان السوق يضمن مطعم واحد ويسمى «مقهى» وفيه يتم بيع الخبز والعيش ولحم والصالونة.

مخيلة المكان لا تهذي

غالية خوجة
كاتبة وشاعرة ـ سوريا

لم تخطئ الغيمة موسيقاي حين عزفتْ نبضاتي، هناك، على الطرق المؤدية إلى نفق صخري، ثم غافلتني، ودخلت ضوءاً معتّقاً داخل الجبل.
بقايا سور حجري قديم، زقزقة ترانيم وعصافير وموسيقا، وكلام نخل لا تفهمه إلاّ أبجدية مخبوءة في جِرار السماء.
الوقت مرّ من هنا، ولم يمرّ من هنا.
مخازن مازالت سنابلها تلمع، ورياحها تتلألأ، وحكاياتها تضيء، ولم تيبس عن سماء رأت «زنوبيا» هنا.
لم تكن المسافة بعيدة عن الأزمنة، ولا الأزمنة بعيدة عن المسافة، وفي مدينة شمل برأس الخيمة، تقف أطلال قصر (الزبّاء) مثل أسطورة غامضة، مازال درجها الحجري يحتفظ بآثار من صعدوه، ونزلوه، مطاردين أحلامهم وفصولهم وأسئلة الخلود.
الأنفاق المائية مازالت تروي أشعاراً وأغانٍ وسهرات لم تخرج من ذاكرة القمر.
زنوبيا التي لم تنم حتى الآن، تحدق في السماء، وتفكر برحلة إلى الشام، ثم دبي، ثم تدمر، ثم الشارقة.

وفي هـذا المـكان المأهـول بـالأسرار، الآثـار المتجـذرة تفتـح بواباتهـا عـلى الأزليـة، لنسـمع أصـوات السـيوف، وقعقعـة الريـاح، وهديـل الحـمام، بينما المـاء الـذي كان هنـا، مـازال يكتـب عـلى الصخـور يوميـات الحيـاة، ومنهـا مـا كان يجـري في هـذه الأسـواق، فتهطـل أصـوات الباعـة، وتمتـزج مـع رائحـة التوابـل، وازدحـام القوافـل القادمـة مـن أصقـاع الأرض، وحـركات الناقـات والخيـول، ولا تنتهـي مـع قـرع الطبـول، بـل تبـدأ مـع أحاديـث المـاء المتواجـد، منـذ تلـك الحقبـة، في جـرة كبـيرة لم تكتشـفها البعثـات الأثريـة بعـد.
الوقـت مـازال في السـاعة الحجريـة، يـرنّ، يـئنّ، يتلفّـت لأحاديـث التجـار المتدليـة سـتائرَ شـفافة بـين الـورود والأعشـاب والأشـجار.
والأسـئلة المبللـة بالمطـر العتيـق، تتسرب إلى تلـك الأتربـة، زمانـاً إثـر زمان.
مخيلـة المـكان لا تهـذي، لكنهـا تجـدل حروفهـا مـع الرائحـة القديمـة النابعـة مـن التشـققات، ليخـرج عاشـق لم يـذُبْ هيكلـه العظمـي، نافضـاً غفوتـه الأخيرة، ثـم يجلـس تحـت شـجرة النخيـل منتظـراً حبيبتـه القادمـة مـع قافلـة سـتصل مـن الشـام بعـد مسـافة ثلاثـة أيـام.
القـصر الصخـري المتراخـي فـوق الأزمنة، يتكلـم، والمـاء القديـم يـدوّن: قيـل، جـزء مـن هـذا القـصر يظهـر ويختفـي مـرةً كل (100) عـام، فطـوبى لمـن يـراهُ آن شروقـه، وطـوبى لمـن يـراه آنَ غروبـه.
هـل تعلمـون أن الزبّـاء تظهـر بـين الآنَـيْن مثـل لمحـة خاطفـة؟
قيـل: لم تجـدني العرافـة التـي تقمصـت روحـي منـذ أربعـة آلاف سـنة، ولم أجـد منهـا سـوى تعويـذة صـارت أشـجارَ زيتـون ونخيـل وأجنحـةَ طيـور.
المكان يتكاشف.
الزمان يتكاثف.
الموسـيقا تعلـو أكـثر، وتصـير جـسراً مـن قـوس قـزح يخطفنـي كلـما عـبرتُ مـن نفـسي إلى الأسـئلة.
الطبـول تُقـرع، وراقصـات قديمـات تخرجـن مـن الجـدران، يبـدو أن قافلـة العـروس وصلـت مـن الشـام، فلـم يكـترث المحتفلـون بالوقـت المتحجّـر وهـو يفتح صنـدوق الجدة الفسيفسـائي، ليتنـاول مخطوطـة قديمـة، تشـير إحـدى صفحاتهـا إلى طريـق تصـل تدمـر بـرأس الخيمـة، وتشـير في صفحـة أخـرى إلى رقيـم طينـي أوغاريتـي، وفجـأة، نـرى القـصر يختفـي، لكننـي أطـارد أطيافـه لأسـتعيد نبضـاتي، وإلاّ فإننـي سـأنتظر مائـة عـام لتعـود إليّ، أركـض بـين الآثـار، لكـنّ الجبـل يبتعـد، الأنفـاق المائيـة تلتئـم، الزمـان الـذي صـار مـاءً يعـود إلى سـاعته الحجريـة، فترشـقني زنوبيـا بموسـيقا الحضـور الممزوجـة بموسـيقا الغيـاب، وتأمـر جنودهـا بإغـلاق بوابـات القـصر.
وحدهـا نبضـاتي المرتديـة لضـوء قديـم، تركـض خـارج النفـق الصخـري، تتلبّسـني مـن جديـد، وتعطينـي ورقـة مـن مخطوطـة قديمـة كانـت في صنـدوق الجـدة، وريثـما أسـتجمع قـواي، تخطفـون الورقـة الأثريـة، وتترجمـون عنوانهـا «مخيلـة المـكان لا تهـذي»، متسـائلين: تـرى، مـن كتـب هـذه القصـة؟

كتابٌ

في سطور

المردّدات الشعبية

هـذا الكتـاب بحـث ميـداني في المـردّدات الشـعبية المغربيـة عامـةً، ومـردّدات منطقـة المغـرب الشرقـي خاصـة، جمعهـا المؤلـف مـن خـلال بحـوث وحـوارات ولقـاءات مباشرة، أجراهـا مـع بعـض سـاكني مـدن وقـرى ودواويـر، وقسّـمه إلى فصلـين، تنـاول الأول منهـما المـردّدات الخاصـة بالحيـاة الدينيـة، واسـتعرض الثـاني المـردّدات المتعلقة بالحيـاة الاجتماعيـة. وقـد قـدّم المؤلـف في هـذا الكتـاب مـادة تراثيـة غنيـة وأصيلـة في مضمونهـا ومحتواهـا، غـاص فيهـا في أعـماق تـراث المنطقـة المدروسـة، متتبّعـاً كل الرمـوز والعنـاصر المرتبطـة بالمـردّدات بشـقيها المدروسـين، الدينـي والاجتماعـي.

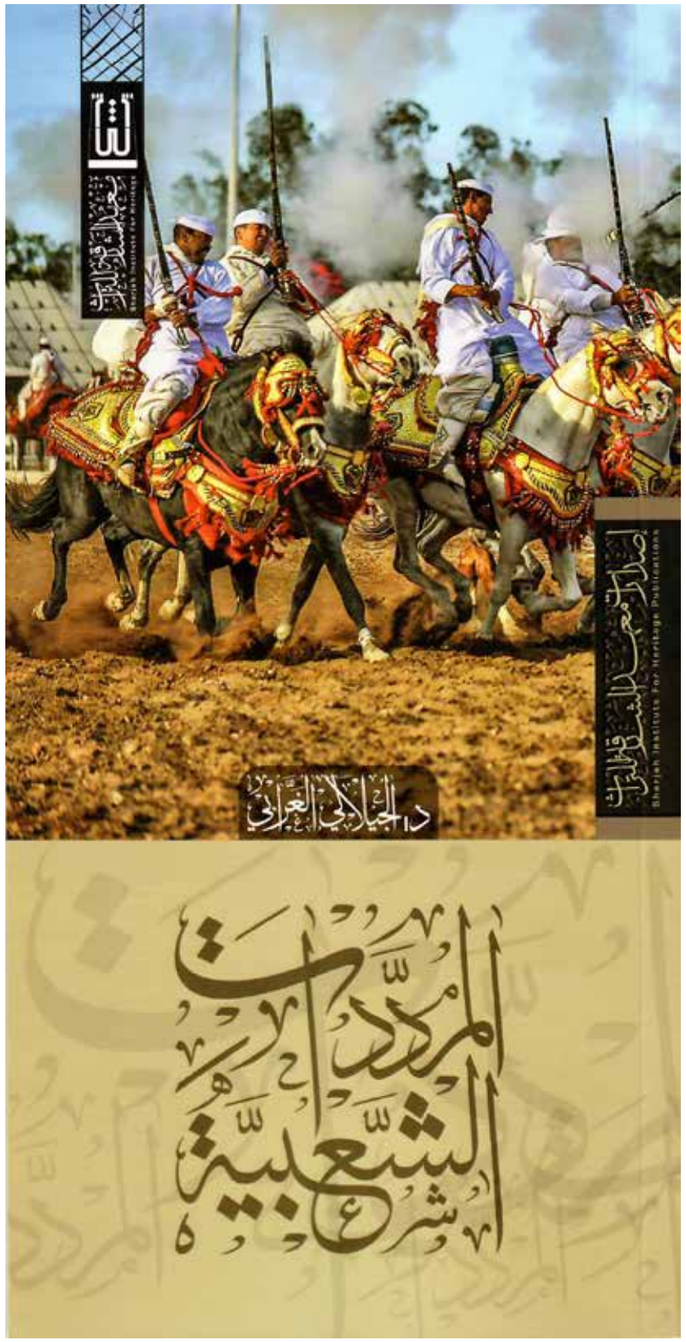

كاريكاتير

ملح الأيام

د. منّى بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

لم تعد «أيام الشارقة التراثية» مجرد حدث تراثي تنتهي فصوله بانتهاء أيامه، بل أصبحت تظاهرة كبرى، مؤسَّسة على قواعد مكينة، تعكس اهتمام الشارقة بالتراث الثقافي، وجهود معهد الشارقة للتراث في المحافظة على تراثنا الجميل من الضياع والاندثار، وفي كل عام ثمة جديد يضاف إلى سجلّ «الأيام» الزاخر بالعطاء.

هي «الأيام» الجميلة بجمال تراثها، الغنية بغناه، تسافر بكم في عوالم التراث الثقافي الفسيحة، وتدعوكم إلى استكشاف خباياه وأسراره، التي يبوح بها بين جنباتها، وفي أرجائها، وتمنحكم فرصة للتذكّر والاستحضار، والعيش في أزمنة غابرة وأمكنة حاضرة، لا تزال تساوم البقاء.

ويتنفّس زوّار «الأيام» فيها عبق التراث الإماراتي الفوّاح، بما يرمز له من عراقة وأصالة، حيث تبرز البيئات التراثية جمالها، وتكشف ألق ماضيها وتنوّعه وثرائه وغناه، وهي مدعاة للتأمّل والتفكّر والاحتفاء بما خلّفه الآباء والأجداد من تراث زاخر، يتمظهر في حُلَلٍ شتى، منها العادات والتقاليد الاجتماعية، والحرف اليدوية، والفنون الشعبية، والأزياء والزينة والحلي وغيرها.

من القيم الجميلة التي تذكيها «الأيام التراثية» في نفوس الزوّار والمتابعين، هي قيمة التواصل الثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب والثقافات، فهي ملتقى الحضارات، ومركز الثقافات، بما تحمله من قيم ومُثل وعادات وتقاليد تعكس خصوصيتها الثقافية، وغنى موروثها الشعبي، وانفتاحها على الثقافات الأخرى المجاورة لها، أو النائية عنها، في نطاق التراث الإنساني، الذي يجمع العالم كلّه مهما شطَّ به المزار.

وفي «الأيام» تجمع الشارقة الباسمة تراث العالم كلَّه تحت مظلة واحدة، وفي أجواء حانية، ملؤها التسامح والتعايش والتواصل والتبادل. أكثر من ثلاثين دولة من مختلف أنحاء العالم، من بينها: السعودية، طاجيكستان، السودان، الصين، اليابان، الكويت، إسبانيا، بيلا روسيا، المكسيك، البحرين، مصر، براغواي، كرواتيا، العراق، سلطنة عمان، الأرجنتين، البوسنة، إيطاليا، المغرب، الجزائر، الأردن، فلسطين، موريتانيا وغيرها كثير.

والأجمل أن كل ثقافة تقدّم صورة جديدة لأنماط مختلفة من الممارسات الثقافية التي تجسّدها فرق الأداء الشعبية والموسيقى الفولكلورية، والحرف التراثية، والعادات القولية، وغيرها من العناصر التراثية التي تعكس عمق المخزون التراثي الشعبي لهذه الدولة أو تلك، من خلال العروض اليومية التي تقدّمها في ساحة «الأيام». تتحاور وتتجاور، وتتشرّب كلٌّ منها من معين الثقافات الأخرى، وتعرض تجربتها في مجال التراث الثقافي، وتطلع على تجارب جديدة في هذا المجال.

هكذا غدت «الأيام التراثية» سيلاً متدفقاً لا تجف منابعه، ولا تنضب مصادره، وموعداً لا نخلفه، يتفيأ ظلالها ـ ذات اليمين وذات الشمال ـ نزاعٌ من الناس والأجناس، وينهلون من معينها الزاخر، وظلّها الوارف، ونشاطها الهادر والآسر، وهي لوحة تراثية فريدة، وحلّة قشيبة تكتسيها الشارقة كل عام، مُضْفِية على المشهد الثقافي والتراثي رونقها وبهاءها وسحرها الفتّان.

the efforts of the Sharjah Institute for Heritage to preserve it from the loss and extinction.

The ١٦th edition of the Heritage Days comes in a new and distinctive form under the slogan «With Heritage, We Rise». It is consistent with the mission of Sharjah Institute for Heritage, in the preservation of heritage, cultural identity and local privacy.

In this issue, we present a special report to celebrate passing ١٥ years of Sharjah Heritage Days, and showing the most prominent periods it and its role in the preservation and promotion of the UAE heritage.

This issue highlights the International and Arab participations of the Sharjah Institute for Heritage and the activities recently organized, including participation in the Paris International Book Fair, hosting the weekly Austrian and Jordanian heritage, along with international and Arab participations, through which the Institute delegation toured Arab and International capitals, shedding light on the Emirati heritage.

It also includes a number of rich heritage topics which enriches its content, including: a study entitled: Mohammed Al Suwaidi's Poetry Collection «Bracelets in the Hands of Moon», a review about «I Feel Beaten» a poem by Salem Bin Obaid, chapters of the biography of the poet Ghanem Al Qasili, and a literary analysis of the poem «Basmatik Ya Zein» or «What a Your Smile you Have my Beloved», by the poet Maadd Bin Dien Al Kaabi, which was sung by the Emirati singer Abdulaziz Al Sharari, in addition to a documentary presentation of «The Art of Wanna», an Emirati folk art associated with the famous art of Al Ayala, though it can differ in rhythm, tone and timing of performance.

The issue of this month also contains many important cultural articles and reports, including: Emirati Treasures, the Damascene Brocade.. A Crown Adorning Syria›s Throne, the Swiss Sheikh Ibrahim Burkhart and his Egyptian Folk Sayings, the Moroccan Andalusian Zellige, Al Jurad: a Tunisian Bedouin Songs by Women, The Shafshonya Bride, Henna and Other Things to Expel Magic, the Woman and the Popular Proverbs, diving in the Nabataean Folk Memory, and finally discovering the Arab heritage.

The interview of this issue presents the experience of the Iraqi musician Naseer Shamma, describing his musical vision, intellectual background and artistic career. It also discusses the memory of the heritage site by tracing the smell of the UAE heritage in the historical Al Shanasiyah Souq, presenting the beautiful memories associated to its inhabitants, reflecting the importance of the Souq and its commercial value in the past.

In this new and rich issue, the reader will be encountered with a journey in the worlds of heritage, a tour in the corners of the Emirati popular memory, including literature and arts along with ancient heritage images reflected in the folk tale, heritage crafts and verbal traditions.

With Heritage, We Rise

On April, every year, Sharjah is adorned with its beautiful heritage days through events from the heart of Sharjah, where historical and heritage monuments are shown as a witness on the beautiful past and genuine heritage, thanks to the support and encouragement of His Highness Sheikh Dr. Sultan Bin Mohammed Al Qassimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah. The annual event of Sharjah Heritage Days is the gift and appreciation by Sharjah to heritage itself which is regarded as a bridge bringing the cultures of the world together, with their diversity, richness, and memories of our beautiful heritage.

Through their previous editions, The Heritage Days have contributed to highlighting the aesthetic values and elements of the UAE heritage. The Days also have been working to consolidate the values, traditions and customs of the UAE, in a special way reflecting Sharjah›s cultural, civilised and pioneering role in highlighting the vibrant image of heritage, in all its forms and aesthetic values. This also reflects